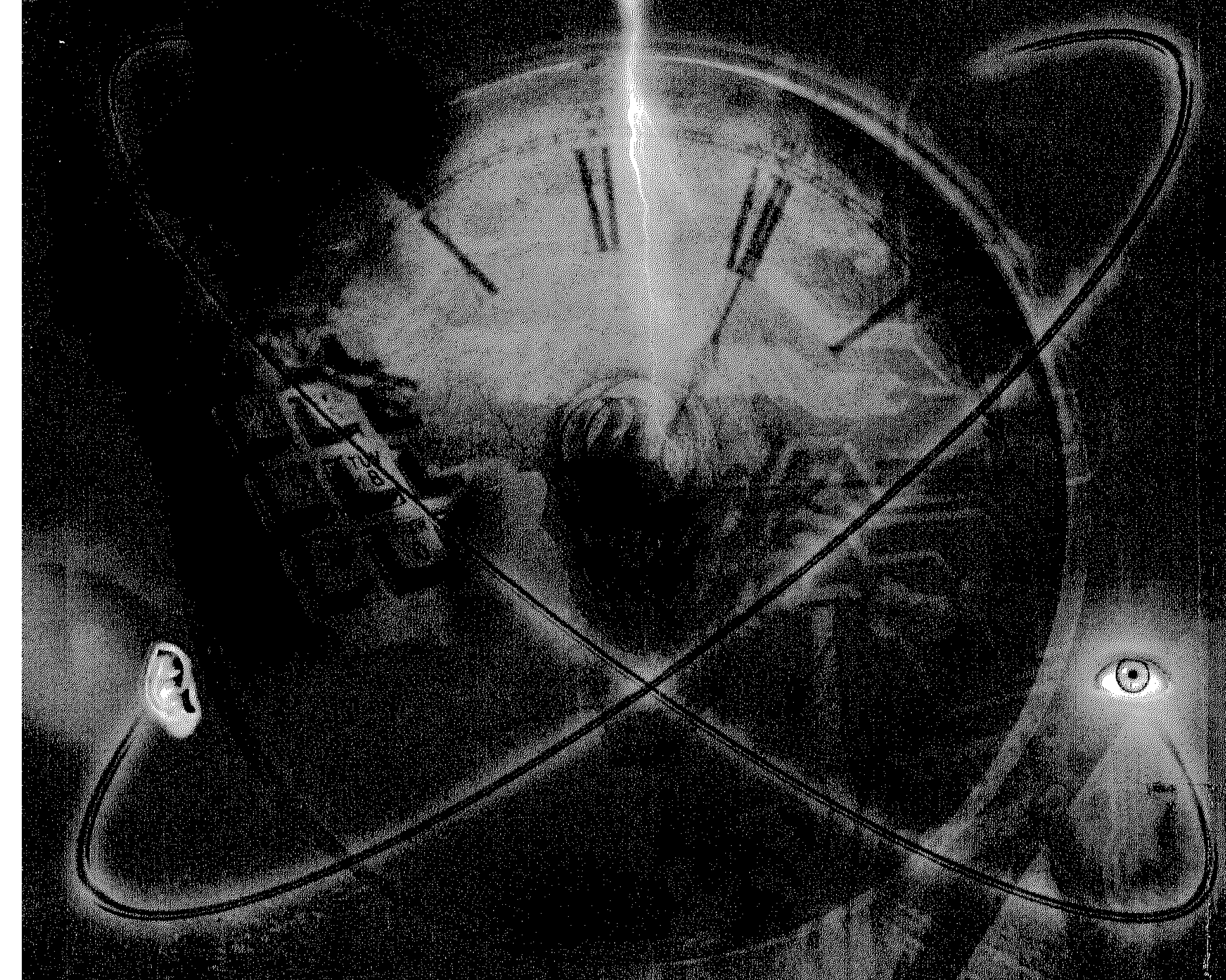
موسوعة

الأمن والإستخبارات في العالم



تأليف د. صالح زهر الدين

ملف الإستخبارات الإسرائيلية

موســوعــة
الأمن والاستخبارات في العالم

موسـوعـة
الأمـن والاسـتخبارات في العالـم

د.صالح زهر الدين

ملف الإستخبارات الإسرائيلية

الجزء السادس

المركز الثقافي اللبناني

المركز الثقافي اللبناني

للطباعة والنشر والتأليف والترجمة والتوزيع

بيروت ـ هاتف: ٠٥/٤٦١٧٧٧ ـ ٠٥/٤٦١٨٨٨ ـ ٠٣/٧٥٣٦٦٣

الطبعة الأولى

٢٠٠٣

ملف الاستخبارات الاسرائيلية

الدبلوماسية اليهودية
والارهاب الصهيوني في العالم

اختلف الباحثون حول طبيعة «الدبلوماسية»؛ منهم من قال أنها علم، وبعضهم قال أنها فن، وآخرون قالوا أنها تقنية، وقليلون أجمعوا على أنها كل هذه الصفات دفعة واحدة، ونحن منهم. ولذلك كانت الدبلوماسية علماً وفناً وتقنية، ولا تزال.

إلا أن «دبلوماسية» اليهود، تختلف عن كل دبلوماسيات العالم، باعتبارها دبلوماسية من نوع آخر، ومن طبيعة أخرى، وفي سبيل هدف ـ ربما ـ يتيم، في نهاية النصف الثاني من القرن العشرين. وهي في القاموس الصهيوني تنحصر بكلمة واحدة هي «الارهاب»؛ ويكفي أن الانجيل المقدس وصف اليهود باللصوص.

واذا كانت البشرية، على امتداد تاريخها الطويل، قد شهدت أنواعاً من الارهاب متعددة، لكن الارهاب الصهيوني يبقى متميزاً في هذا الإطار، ومتطوراً في الوقت نفسه تبعاً لطبيعة العصر. ويذهب بعض المفكرين الى القول أن كلمة ارهاب بمعنى Terrorisme لم تتبلور، في مضمونها الحديث، إلا في القرن الثامن عشر. ففي ضوء تطور الثورة الفرنسية وتدابير قادتها المتعاقبين، ظهرت ابتداء من العام ١٧٩٤ كلمة Terrorisme، المشتقّة من كلمة رهبة Terreur المشتقّة بدورها من أصل لاتيني هو Tersere و Terrere ومعناهما جعله يرتعد ويرتجف. وكان قد جاء تعريف الـ Terreur في قاموس

الأكاديمية الفرنسية العام ١٦٩٤ بما يلي: رعب، خوف شديد، اضطراب عنيف تحدثه في النفس صورة شرّ حاضر أو خطر قريب.

وبنوع من التفصيل الدقيق لهذا الموضوع، قدّم «جوليان فروند» محاولة للتعريف، فاعتبر أن «الارهاب يقوم على استعمال العنف دون تقدير أو تمييز، بهدف تحطيم كل مقاومة، وذلك بإنزال الرعب في النفوس». ويضيف بأنه «لا يرمي فقط، وكما يفعل العنف، الى القضاء على أجساد الكائنات وتدمير الممتلكات المادية، بل يستعمل العنف بشكل منسّق ليخيف النفوس ويرهقها؛ أي أنه يستعمل جثث العنف ليزرع اليأس في قلوب الأحياء».

هذا وتاريخ البشرية حافل بعمليات الارهاب، إنْ كان ذلك على المستوى الفردي أو المؤسساتي أو الحكومي (الدولتي)، مع الفوارق ـ طبعاً ـ بين حدث إرهابي وآخر. ولن نغوص عميقاً في خضم هذا الموضوع، حيث تنتصب أمام أنظارنا إبادة «الهنود الحمر» في موطنهم الأصلي أمريكا على يد «المتحضّرين البيض». وكذلك القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما اليابانية في ٦ أغسطس ١٩٤٥، وبعدها بأيام ثلاثة قنبلة ناغازاكي، وإبادة الآلاف من البشر خلال دقائق معدودة، وإحلال الدمار والخراب في كل زاوية من زواياها، إضافة الى إفساد التربة لعشرات السنين اللاحقة، وقتل الحياة فيها. ومن المؤكد أن العالم لن ينسى من استعمل السلاح الذرّي «الارهابي» لأول مرة ضد الجنس البشري في التاريخ.

وكذلك آلاف الأطنان من القنابل والمتفجرات على فيتنام، التي أنزلها الاستعماريون الفرنسيون والأميركيون، ولم يحصدوا سوى الهزيمة.

ومن منطلق استرداد «الهيبة الأميركية» والثأر للهزيمة في فيتنام، أرسلت الولايات المتحدة أحدث آلات الموت والدمار الى لبنان، والآلاف من جنود البحر «المارينز»، خدمة لحلفائها الصغار والكبار من محترفي الارهاب. ولم يكن حظّها بأحسن مما أصابها في الهند الصينية؛ كما عمدت الى تلغيم

موانىء نيكاراغوا عام ١٩٨٤، وإرسال «المكّوكات الفضائية» المحمّلة بأسلحة تدميرية من النوع الذي يفتح الباب أمام حرب الفضاء الكوني، أو ما يسمّى بـ «حرب النجوم» أو «حرب الكواكب» التي يكمن فيها تدمير الكوكب الأرضي.

وما عجز عنه الارهاب البريطاني في الهند، أنجزه الارهاب الأميركي بأحدث وسائله المتطورة، لسبب بسيط هو «خطأ في التقدير» لم يفطن له الكمبيوتر الأميركي، عندما حدث «غلط كيميائي» في مصانع أميركية لانتاج الغازات في الهند، في شهر ديسمبر سنة ١٩٨٤، أدّى الى إبادة جماعية لألوف المواطنين وإصابة عشرات آخرين بالعمى والشلل، قبل أن يتّضح السبب الحقيقي، وهو أن الشركة المذكورة متخصصة بانتاج الغازات السامة وتحت اسم مدني؛ وقد تكون «متخصّصة» في مشاريع الـ «سي. آي. إي» ضد الشعب الهندي لقهره وإذلاله.

وطبيعي أن يكون العالم بأسره في أواخر القرن العشرين، مهدّداً بالدمار والفناء الشامل، ومرهوناً بـ «كبسة زرّ» يتحكّم فيها مصابون بداء «جنون العظمة» حيث يقول جورج شولتز: «القوة والدبلوماسية تسيران معاً دائماً، جنباً الى جنب (. . .). ان دبلوماسية لا تساندها القوة لا تكون فعّالة».

إن هذا التلميح الى «الارهاب الاميركي» لا يعني أن الدول الاستعمارية الأخرى (خصوصاً فرنسا وبريطانيا) كانت بعيدة عن انتهاج هذا الاسلوب، بل كانت تتنفّسه يومياً وبصورة غير منقطعة على الاطلاق، ولو أصبح «النموذج الأميركي» طليعياً في هذا المجال.

ولما كانت اسرائيل ترسانة عسكرية، وقاعدة أميركية متقدمة جداً في منطقة الشرق الأوسط، فليس من الغرابة أن «تسرّب إعلامياً» ارهابها النووي تمهيداً لتسريبه حقيقة في ساعة الصفر (كما حدث في أواخر عام ١٩٨٦ عن طريق الخبير النووي الاسرائيلي مردخاي فانونو).

فالارهاب الصهيوني هو الارهاب الأميركي ذاته. . إنه «الارهاب الدولي» المصدّر شرعياً، من دولة الى دولة، ويتطور أكبر وأعمق وأشمل. وما لم يستخدم في الهند الصينية، استخدم في المنطقة العربية ـ وفي فلسطين منها تحديداً ـ على أيدي الصهاينة، وبتطبيق جيد وفق فهم واستيعاب لا بأس به، ليكون على مستوى أهمية الارهاب نفسه والغاية من ورائه، بعد أن تعزّزت الروح الشوفينية والعسكرية والتعصب الديني في نفوس اليهود وانعكست بدورها على الحياة السياسية والاجتماعية.

ومن هنا، وفي معرض الاشارة الى مذابح الصهيونية وجرائمها في فلسطين، وأثناء مناظرته مع سفير اسرائيل في كندا، أكد المؤرخ البريطاني الكبير «أرنولد توينبي» بقوله أن: «المجرم لا يمكن أن يكون مجرماً أكثر من مئة بالمئة». كما ذكر في كتابه أيضاً «اليهود والغرب الحديث» أن «جرائم اسرائيل هي أفظع من جرائم النازية».

ويبقى السؤال الكبير: كيف نشأ الارهاب الصهيوني؟ وما هي مقوماته؟.

في الحقيقة، استلزمت فكرة قيام الدولة الاسرائيلية، تواجد مؤسسات ومنظمات عديدة تقوم كل منها بمهام مختلفة، ولكنها متضافرة. فقد سارعت المنظمة الصهيونية العالمية بإنشاء الوكالة اليهودية، والصندوق القومي اليهودي (كيرن كايمت) لتشرف على عمليات الهجرة والأستيطان لموجات اليهود التي تمّ تهريبها الى داخل فلسطين. وكان من الواجب ـ وفق الرؤية الصهيونية ـ أن تتواجد مؤسسات تستوعب وتنظم جهود الآلاف من المهاجرين اليهود. فما كانت السنوات الأولى من عشرينات هذا القرن تأتي، حتى كانت الأرض الفلسطينية تموج بمنظمات سياسية ومؤسسات اقتصادية ونقابات للعمال ومزارع وقرى لها خصائص عسكرية.

وقبل ذلك كله، فقد فرض المشروع الاستعماري سيطرته على أجزاء من الأرض الفلسطينية اعتماداً على مؤسسات ومنظمات عسكرية تم بناؤها في

السنوات الأولى من القرن العشرين؛ وتأسست وفق ذلك مؤسسات ومنظمات عسكرية كانت مهمتها حراسة المزارع والتجمعات اليهودية؛ وسرعان ما تطورت حتى تحولت الى منظمات كبيرة لها استراتيجيتها وأسلوب تفكيرها الذي يميزها عن التطور الطبيعي للجيوش الثورية في مراحل التحرير الوطني. فهي تختلف عن كل الجيوش الوطنية في طبيعة المهمة المنوطة بكل منهما. ففي حين تكون مهمة الجيوش الوطنية والثورية تحرير تراب الوطن والدفاع عنه، فإن مهمة المنظمات العسكرية الصهيونية هي طرد سكان الوطن الأصليين، وسرقة الأرض وتفريغها من أي مظهر قومي لأصحابها، وإنشاء مؤسسات اقتصادية لتنظيم النهب والاستنزاف المادي لتلك الأرض.

والجيش الذي تكون مسؤولياته محصورة في تلك المهام، فإن طبيعته هي طبيعة استعمارية استيطانية تجعله طرفي نقيض مع أيّ جيش وطني يسعى لتحرير وطنه...

ومن هنا فإن العنف والارهاب يصبح هو الاسلوب الوحيد، والتفكير الوحيد لدى المنظمات العسكرية الصهيونية؛ وحتى بعد قيام الدولة فإن العنف والارهاب يتحول الى طابع عام للكيان الصهيوني الراهن في تفكيره. وسياسته وأدبه وفنونه، حتى يتحول المجتمع كله الى منظمة عسكرية كبيرة لها كل مواصفات مؤسسات الارهاب.

والحقيقة أن التنظيم العسكري الاسرائيلي يحتل وضعاً غريباً وشاذاً. فالمجتمع الاسرائيلي يوصف عادة بأنه «أمة تحت السلاح».

ويقول «برنارد فرنييه» في كتابه «الجيش والسياسة في الشرق الأوسط» أنه اذا كان من الممكن أن نلقّب هذه الدولة أو تلك بأنها مجتمع يحكمه العسكريون، فإن المجتمع الاسرائيلي بأسره هو «ثكنة مسلحة»، وهو أشبه ما يكون بـ «اسبرطة» الاغريقية وهذه ليست مجرد مبالغة. بل إن اسرائيل هي مجتمع عسكري، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وكل شيء في الدولة هو لخدمة الحرب.

● ففي عام ١٩٠٧ أنشأ المستعمرون اليهود في فلسطين أول قوة مسلحة منظمة، حملت اسم «منظمة الحرس اليهودي ـ هاشومير»، وقد أشرف عليها «حزب بو عالي صهيون».

وكان شعار المنظمة «سقط يهودا بالدم والنار. . . وسيبعث بالدم والنار». وقد ألفّها الارهابي العريق داڤيد بن غوريون. وكان يهود مستعمرة «بتاح تكفا» عام ١٨٧٨ يؤلفون الطليعة التي لجأت الى استعمال السلاح. . . وكان من أبرز قادتهم الصهيوني الهنغاري «جشوا ستامبر».

هذا وقد حدّدت الهاشومير منهجها برفض الحراسة السلبية للمستعمرات، بل ممارسة العنف ضد السكان العرب حتى يمكن خلق ما يسمى بـ «اليهودي العنيف» المتجرد من مشاعر الخوف أو الجبن عن طريق إحياء روح الأساطير الشعبية اليهودية القديمة.

وبذلك أمكن للصهيونيين إنشاء «نواة لقوة عسكرية» هدفها الحقيقي هو «خلق أمة يهودية في البلاد تحكم نفسها وتحقق ارادتها بالقوة والعنف، تعتمد على نفسها ولا تعتمد على المرتزقة».

بعد ذلك حدّدت منظمة الهاشومير ملامح ايديولوجيتها على أساس النقاط التالية:

١ ـ ألا يقتصر دور «هاشومير» على توفير الحماية المادية للمستعمرات اليهودية، بل عليها أن تغرس في السكان الاحساس بواجبهم في الدفاع عن أنفسهم.

٢ ـ أن توفر النواة العسكرية القادرة على توسيع نطاق الوظائف الدفاعية في المجتمع اليهودي.

٣ ـ أن تحتكر «هاشومير» حق الاشراف على الدفاع عن المجتمع اليهودي في فلسطين.

٤ ـ كذلك يجب أن تعمل «هاشومير» (كقوة مسلحة) محترفة

ومتخصصة في الدفاع عن «البيشوف» (اليهود من سكان فلسطين).

يتوضح من خلال ذلك أن فكرة العنف والارهاب سيطرت منذ البداية على وجدان الحالوتسيم (أي الروّاد الأوائل) الذين «اكتشفوا» فلسطين. فالرائد لم يكن فلاحاً وحسب، بل كان أيضاً هاشومير - حارس - الذي يدافع عن الأرض التي سرقها. وحيث أن الارهاب كان سلاحاً أساسياً ومباشراً «لتحرير الأرض» من السكان الأصليين، كان من الضروري تأسيس منظمات لها طابع مزدوج زراعي وعسكري، حتى تترجم الرؤية الصهيونية نفسها الى واقع.

● ومثّل الانتداب البريطاني على فلسطين الفرصة المناسبة التي ساهمت في انقلاب منظمة «هاشومير» الى منظمة «الهاغانا» عام ١٩١٩، حسب ما ذكره مناحيم بيغن في كتابه: «الثورة: قصة الأرجون». وكان يرأس «الهاغانا» في طور تشكيلها المحامي الصهيوني البولوني «ولهلم ربيل»، واتخذت شعاراً لها «فلسطين لليهود». وفي هذا الإطار، كتب «جوزيف وايتز»، المدير المسؤول عن الاستيطان الصهيوني، في يومياته: «يجب أن يكون واضحاً بيننا أن لا مكان للشعبين معاً في هذه البلاد... ولن نتمكن من الوصول الى هدفنا في أن نصبح شعباً مستقلاً في هذا البلد الصغير مع وجود العرب بيننا».

وقد أثّر على تكوين الهاغانا، في الواقع، وعلى ذهنية المنخرطين فيها، اختيار أمكنة المستعمرات اليهودية التي كانت خاضعة لأهداف استراتيجية وسياسية محدّدة؛ ولم يكن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر في اختيار المستعمرات فحسب، ولكن أكثر من ذلك وبصورة رئيسية حاجات الدفاع الملحّة والاستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجود سياسي يهودي في جميع أنحاء البلاد، والدور الذي يمكن يوماً أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل، وخاصة في مجابهة حاسمة لابد من وقوعها يوماً في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني. وهكذا أنشئت

المستعمرات على مختلف أنواعها منعزلة الواحدة عن الأخرى بالمسافات الجغرافية والعراقيل والفوارق الطبيعية. والنتيجة أن كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة حصينة للهاغانا. وكان يرافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري. . . وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف والمحراث معاً، وتؤمن احتياجاتها.

وقد أدخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاغانا العسكري وتنفيذ مخططاتها. ويشمل وضع استراتيجية متماسكة شاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد. مقدرة على التحرك السريع، استعمال أكبر للأسلحة الاوتوماتيكية الخفيفة. وفوق ذلك كله، أدى تطور الهاغانا الى اقامة قيادتين سرّيتين: قيادة مدنية عليا، وقيادة عسكرية عليا، لها رئاسة أركان كاملة؛ وتخضع القيادتان الى التنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية المسمّاة أيضاً بالمنظمة الصهيونية العالمية.

وبعد أن كبر حجم منظمة الهاغانا، غدت المنظمة العسكرية المسيطرة، وأصبحت تتشكل من القوات التالية:

١ ـ قوة الدفاع الثابت: وتضم سكان المستعمرات إضافة الى سكان الأحياء اليهودية في المدن.

٢ ـ قوة القتال: وتضم شرطة المستعمرات.

٣ ـ قوة البالماخ: وهي قوات الصاعقة. أنشئت سنة ١٩٤٢ بقيادة الارهابي الصهيوني «اسحق ساديه».

واجتاز أفرادها تدريباً خاصاً، شاقاً وعنيفاً، خصوصاً على أعمال النسف والتخريب والهجوم الصاعق. وقد تخرّج منها كل من موشي دايان واسحق رابين وحاييم بارليف والكولونيل موشي كرمل واسرائيل غاليلي وغيرهم. .

كان مقر الهاغانا في تل أبيب. وكان لها معسكرات تدريب خاصة

باليهود في فلسطين. وتضم قيادتها هيئة مخابرات جيدة التنظيم، وبارعة التنفيذ. وقد استطاعت هذه الهيئة أن توفر للهاغانا عوامل الأمن والاستعداد والمواجهة في الهجوم. وقد ارتكبت هذه المنظمة الكثير من المذابح الجماعية في فلسطين.

● أما منظمة «الأرغون تسفائي ليؤمي» ومعناها «المنظمة العسكرية لشعب اسرائيل»، فقد تأسست سنة ١٩٣٥ على يد فلاديمير جابوتنسكي الذي يعتبر بمثابة الأب الروحي للارهاب الصهيوني. وساعد في تشكيلها وتنفيذ خططها كل من «داڤيد رازين»، و«ابراهام شتيرن»، الذي أسس فيما بعد المنظمة التي حملت اسمه، وهي منظمة «شتيرن». هذا وقد اتخذت منظمة الأرغون شعارها: «يد مرتفعة تمسك ببندقية ذات حربة مشرّعة كتب عليها: هكذا فقط».

وبعد مقتل جابوتنسكي، استلم قيادة الأرغون الارهابي «مناحيم بيغن» المحامي البولوني الأصل. كما كان لها شعبة مخابرات سرّية تعرف باسم «الفرقة السوداء».

ومنظمة الأرغون (بالتعاون مع الهاغانا) هي التي ارتكبت مجزرة قرية «دير ياسين» في ٩ ابريل ١٩٤٨، التي وصفها بتفصيلاتها الدقيقة رئيس بعثة الصليب الأحمر الدولي في فلسطين «جاك دي رينييه» الذي كان محظوظاً لإفلاته حياً، فقال بعد أن توجه بسيارته بتاريخ ١٠ ابريل ١٩٤٨ الى احدى القرى العربية الصغيرة خارج القدس، وواجه في طريقه مجموعة من منظمة يهودية تدعى «أرغون»:

«كانوا جميعاً أحداثاً، حتى أنه كان من بينهم صغار السن. ذكوراً وإناثاً مدجّجين بالسلاح: مسدسات ومدافع رشاشة وقنابل يدوية وخناجر بعضها لا يزال يقطر دماً. عرضت عليّ فتاة جميلة صغيرة السن بنظرة إجرامية خنجرها والدم يقطر منه. عرضته عليّ كأنه اكليل غار».

وقد وصف أحد قادة الأرغون هذه المذبحة بقوله: «قمنا بتنفيذ عملية

تنظيف»؛ ولكن عملية «التنظيف» هذه، نفذت بالمدافع الرشاشة ومن ثم بالقنابل وأنهيت بالخناجر، على حد قول مندوب الصليب الأحمر، الذي أضاف بأن «بعض مقاتلي الأرغون قطعوا أوصال ضحاياهم بالخناجر قبل أن يقتلوهم».

حتى أن السلطات البريطانية سجّلت بدورها هذه التفاصيل بدقّة متناهية؛ كما سجّلت ما شاهده مساعد مفتش الشرطة العام «ريتشارد كاتلنغ» الذي قام بالتحقيق بالحادث، فقال: «نزعت أساور وحلقات النساء من أذرعهن وأصابعهن بوحشية متناهية، وقطعت أجزاء من آذانهن لانتزاع الأقراط منها».

لقد حوّل الارهاب الصهيوني قرية «دير ياسين» الى «مسلخ بشري» بكل ما تعنيه هذه الكلمة؛ وقد قوّم مناحيم بيغن نتائج هذه الوحشية بقوله: «تملّك العرب هلع لا حدود له بعد سماعهم القصص «المضخّمة» عن «مذبحة الأرغون»، وبدأوا في الهروب للنجاة بأنفسهم. وسرعان ما تطور هذا الهروب الى فرار جماعي جامح لا يمكن السيطرة عليه». وكأن الهمّ الصهيوني يتركز على ضرورة «تجذير» العرب بأرضهم وديارهم، وليس اجتثاث جذورهم وتشريدهم بقوة الحديد والنار.

وذكرت «الموسوعة الفلسطينية» في هذا الصدد أنه قد «اتفق السفاح الاسرائيلي «مردخاي كوفمن» قائد قوات عصابة الأرغون في القدس مع «ديڤيد شالتائيل» قائد قوات عصابتي الهاغانا والبالماخ في المنطقة على القيام بعمل مشترك ضد قرية دير ياسين وبعض القرى المجاورة، بغية هدف مركزي يتمحور حول ترويع السكان العرب الآمنين وحملهم على مغادرة قراهم، مما يسهل لليهود عملية الاستيلاء على الأراضي العربية».

ولم تكن عمليات الارهاب والمذابح الأخرى في كفر قاسم وقبية والقسطل وإقرت وكفر برعم وغيرها، إلا من هذا القبيل.

● وفي سنة ١٩٤٠ أسس «ابراهام شتيرن» المنظمة التي حملت اسمه «شتيرن» بعد انفصاله عن الأرغون، لرفضه قرارها القاضي بضرورة عقد اتفاق

ودّي وهدنة مع السلطات البريطانية ما دامت الحرب العالمية الثانية قائمة ضد المانيا النازية.

وتدين هذه المنظمة ـ كأخواتها ـ بالارهاب وسيلة لاقامة الدولة اليهودية. وتؤمن أن العنف هو السبيل ـ ولا سبيل غيره ـ لتحقيق الهدف المنشود... وإنْ اختلفت المنظمتان علناً، فإنهما متفقتان سراً حول الهدف المركزي، وأداته العنف والارهاب. وربما كان لثقافة ابراهام شتيرن أثر في نزعة الارهاب لدى أعضاء هذه المنظمة؛ حيث تلقى ثقافته وعلومه في ايطاليا، وتأثر كثيراً بموسوليني.

والجدير بالذكر أن العقيد البريطاني «أورد وينغيت» الملقب بـ «لورنس اليهود»، والذي كان يشغل منصباً مهماً في مخابرات القيادة الانكليزية في فلسطين، كان له اليد الطولى في خلق التنظيم الارهابي الصهيوني، ويعتبر بمثابة العقل المدبّر والعمود الفقري والدم المغذّي لجسم هذا التنظيم.

● وفي شهر يوليو سنة ١٩٧٦، أعلن الحاخام الصهيوني مائير كاهانا ـ خريج وكالة المخابرات المركزية الاميركية وزعيم «رابطة الدفاع اليهودي» ـ عن تأسيس المنظمة الارهابية المعروفة باسم «كاخ» ومعناها (هكذا). وتمثل هدفها بتهجير العرب من الأراضي العربية المحتلة. كما يوجد منظمات ارهابية أخرى كثيرة ولا مجال لتعدادها جميعها.

وفوق كل ذلك، تعمد القيادات الصهيونية، عبر وسائلها الدعائية المختلفة، الى اخفاء الحقائق وإظهار «الطابع السلمي» و«اللاعنفي» لدولة الاحتلال، مشيرة الى وجود الأحزاب السياسية الاسرائيلية. بيد أن من المعلوم أن أحزاب اسرائيل الرئيسية هي وليدة عصابات «الكيبوتز» الارهابية المسلحة:

ـ فمن عصابة الأرغون مثلاً، ولد حزب «حيروت» (الحرية).

ـ ومن عصابة البالماخ ولد حزب «المابام».

ـ ومن عصابة الهاغانا ولد حزب «الماباي».

ـ ومن عصابة شتيرن ولدت حركة «ليحي». إلخ...

ولقد نجح الارهابيون الصهاينة في اصطياد العرب، واختيار الأماكن المكتظة بهم (كالأسواق والساحات مثلاً) أهدافاً لارهابهم، حتى أصبحت الجثث العربية الممزّقة محشورة بين أكوام من الفواكه، والدماء المخلوطة بالعصير تسيل باتجاه المجاري... وقد أصبح هذا المنظر مألوفاً في فلسطين المحتلة بعد قيام «دولة اسرائيل». كما لم ينجُ البريطانيون أنفسهم من هذا الارهاب، وهم الذين درّبوا الصهيونيين على كيفية استخدام السلاح وزوّدوهم به، وطبقوا في عملياتهم تلك القواعد والدروس التي ألقاها عليهم الارهابي البريطاني الصهيوني «وينغيت». وليست عملية «فندق الملك داود» في القدس إلا احدى عملياتهم البارزة ضد البريطانيين. وكذلك عملية اغتيال اللورد «موين» وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأدنى، عندما أرسلت عصابة «شتيرن» اثنين من أعضائها الى القاهرة، ونفذا عملية الاغتيال في ٦ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٤٥. وقد حاكمهما القضاء المصري وقضى بإعدامهما.

وهكذا كان حال الكونت «فولك برنادوت» الوسيط الدولي للأمم المتحدة في فلسطين، رغم تمتعه بالحصانة الدبلوماسية الدولية، حيث أثبتت هذه الحادثة أن لا حصانة أمام حصانة الصهيونية وغطرستها وعنصريتها ومصالحها. ولا غرابة، فقد اقترفت منظمات الارهاب الصهيونية مجازر رهيبة بحق اليهود أنفسهم، كما هو حال الباخرة «باتريا» ويهود العراق. هذا على صعيد المؤسسات والتنظيمات الارهابية الصهيونية؛ أما على صعيد رموز هذه التنظيمات يكفي أن نذكر أسماء هرتزل، وجابوتنسكي، وبن غوريون، وغولدا مائير، وموشي دايان، ورفائيل ايتان، وشامير، وكاهانا، وشارون، وغيرهم كثير...

والجدير بالذكر، أن الاشارة الى هذه العيّنات، لا تعني أن الارهاب

الصهيوني يقتصر على هؤلاء فقط؛ وانما كل أسرة صهيونية تستوطن أرض فلسطين العربية، تشرّبت الارهاب والعنصرية يوم كانت جنيناً، وقد تغلغلت نزعة القتل والاجرام في دمها وعروقها، ومنها تستمد مقومات البقاء والحياة والاستمرار.

ومن يسمع تصريحاتهم وأحاديثهم المعسولة عن الأمن والسلام وحسن الجوار، يصرخ بملء صوته فوراً: «ما أفصحهم وهم يتكلمون عن الشرف».

ودولة كإسرائيل قامت على الدم والجثث والمذابح، يصعب أن يتولى شؤونها غير الارهابيين العريقين المحترفين لا الهواة.

وليس هذا الفصل سوى المرآة الصافية للدبلوماسية اليهودية والارهاب الصهيوني في العالم، حيث جرت عملية «غسل دماغ» منظمة لكل المستوطنين الصهاينة وفق شعار «أن تقتُل أو أن تكون مقتولاً». وبما أن غريزة «حب البقاء» لا تفرّق بين الجنسيات، وليست خاضعة للمزاجية الطائفية أو العرقية أو اللغوية أو اللونية، فقد اختار الصهيونيون القتل والارهاب في سبيل البقاء والحياة.

الاخطبوط اليهودي
واسرار عملية اغتيال الرئيس الأميركي ابراهام لنكولن

«ان كل ما تحتاج اليه قوى الشرّ لكي تنتصر، هو أن يظل أنصار الخير مكتوفي الأيدي دون القيام بعمل ما»، هذا ما قاله أحد مشاهير الفلاسفة المدعو «ادموند بورك». وكم هو مصيب هذا القول في انطباقه على اليهود والصهيونية بكل ما تمثله من دهاء الأبالسة، وخبث الشياطين وخسّة المرابين.

وعندما كان الرئيس الاميركي ابراهام لنكولن، في طليعة كبار الرؤساء الاميركيين الذين ما كان للولايات المتحدة الاميركية بغيرهم أن تبلغ ما بلغته اليوم، وقد وقف متحدّياً مخططات الاخطبوط اليهودي في بلاده، وممثّلاً العقبة الكأداء أمام المرابين العالميين اليهود الذين هم بمثابة قوى الشرّ الخفية التي تحاول أن تتحكم في مصير العالم ومقدراته. ازاء ذلك، كان لابد من ازاحة العقبة ـ لنكولن ـ من الطريق الذي يراد به أن يكون معبّداً وسهلاً دون أية صعوبات أو عراقيل. وهكذا كان. وقد كان اغتياله مروّعاً للأميركيين ـ الشماليين والجنوبيين على السواء ـ.

فمن هو الرئيس ابراهام لنكولن؟ وما هي أسرار عملية اغتياله؟.

ولد ابراهام لنكولن عام ١٨٠٩ في ولاية «كنتكي Kentuky» في الغرب الأوسط من أميركا. توفيت والدته وهو في التاسعة من عمره. ولكن كان من حسن طالعه أن تزوج أبوه مرة ثانية من «سارة جونستون» «Sarah Johnston» التي كانت طيبة القلب، وشجعت ابراهام في كفاحه لتعليم نفسه. ولقد

اضطرته ظروف حياته الى أن يتولى هـذا التعليم معتمداً على نفسـه وحده عن طـريق الكتب، التي كان من العسيـر الحصول عليهـا في منـطقـة نـائيـة على الحـدود. وقد أفلح ذات يـوم في شراء عـدد كبير من الكتب من مسـافرٍ كـان متجهاً الى الغرب، وكان يحمل الكتب في برميل كبير، ولم يعد يريد حملهـا معـه أكثر من ذلـك. والواقـع أن هذه الكتب قـد زوّدتـه بمـادةٍ وافـرة للدرس والتحصيل، وذلك بالرغم من أن أباه كان يقاوم جاهداً فكرة تعليمه، وكثيراً ما كان يقول: «أظن أن ابراهام يبدد وقته بهذا التعليم. انني حاولت منعـه، لكنه كان مشبع الرأس بهذه الفكرة الحمقاء، ولم يتسنَّ لي انتزاعها منـه». وعندمـا بلغ الحادية والعشرين من عمره انتقـل للاقـامة في مـدينة «نيـو سالم New Salem» بولاية «ايلليـنوا Illinois»، حيث اشتغل وكيلاً للبريد في القرية، الا أنه سرعان ما أصبح ذا شهـرة كبيرة كـراوي قصص، ومقلّد للحركـات التمثيلية. وكـانت هذه الشعبية التي اكتسبها في هذا المضمار أكبر عـون له عنـدما استقـر عزمـه على الانخـراط في الشؤون السيـاسيــة. وفي عـام ١٨٣٤، تم انتخـابـه في مجلس «ايلليـنـوا» التشـريعي ـ وهـو البـرلمــان المحلي ـ منتميـاً الى حـزب المحــافـظين «Lohig». ثم انتقــل عــام ١٨٣٧ الى مــدينــة «سبــرنجفيلد Springfield» عاصمة الولاية، لكي يكون في موضـع أفضل يمكنـه من متابعـة مستقبله السياسي، ولكي يصبح زعيمـاً للمحافـظين في البرلمـان. وفي نفس الوقت بدأ يتدرب على المحاماة مستفيداً من كتب القانون التي عثـر عليها في البرميل الذي اشتراه في صباه. وفي عام ١٨٤٢ تزوج ابراهام من «ماري تود» وأنجبت له أربعة أبنـاء، لم يعش منهم الا واحد فقط، بلغ مـرحلة الرجـولة. ثم انتخب لنكولن عام ١٨٤٦ عضواً في الكونغرس ـ البرلمان الاتحادي ـ وقد ضـايق الكثيرين بـاعتـدالـه السيـاسي، حيث لم يكـرّر الحـزب المنتمي اليـه ترشيحه للنيابة مرة أخرى.

وكان الخلاف يتـزايد بين ولايـات الشمال، (وهي التي لم تكن تسمـح بامتلاك العبيد الزنـوج) وبين ولايات الجنـوب (التي كانت تعتمـد على أعداد كبيـرة منهم في زراعة القـطن). وقد كـانت قضية العبيـد هذه سببـاً في إنشاء

حزب سياسي في الشمال هو الحزب الجمهوري، هدفه الغاء الرق، وقد استقر رأي لنكولن على الانضمام اليه.

وفي عام ١٨٥٨ وقع الاختيار على لنكولن ليكون مرشح الحزب الجمهوري لعضوية مجلس الشيوخ عن ولاية «ايللينوا». وسرعان ما تحدّى منافسه الديمقراطي «ستيفن دوجلاس» للاشتراك في مناقشة علنية للمسائل الكبرى التي تشغل الأذهان، فوافق دوجلاس. وكان لخطب لنكولن تأثيرها في كافة أنحاء البلاد. وفي عام ١٨٦٠ اختير ابراهام مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة، واستطاع بسهولة أن يفوز في الانتخابات بسبب الانقسام الخطير لأنصار الحزب الديمقراطي بين شماليين وجنوبيين. ولكن قبل أن يستطيع لنكولن أن يحتل مقعده في البيت الأبيض، قررت معظم الولايات الجنوبية الخروج من الاتحاد وإعلان استقلالها، وقد اتخذت هذه الولايات لنفسها اسم الولايات الكونفدرالية. وفي عام ١٨٦١، قام الانفصاليون بإطلاق المدافع على «حصن فورت سومتر» بالقرب من مرفأ «شارلستون» الجنوبي، وذلك بعد أن أمر الرئيس لنكولن بتموين حاميته بالأغذية فقط دون الأسلحة، وقد اعتبر الجنوبيون هذا التصرف عملاً عدائياً فأطلقوا في ١٢ ابريل١٨٦١ نيران مدفعيتهم على الحصن مما جعل حاميته تستسلم بعد يومين فقط، وقد بدأت على الأثر الحرب الأهلية الأميركية، التي لمع فيها نجم القائد الجنوبي الجنرال «روبرت لي Robert Lee» والقائد الشمالي «الجنرال جرانت» «Général Grant» حيث انتصر هذا الأخير عام ١٨٦٣ في «فيكسبرج Veksburg» . . و«جيتسبرج Gettysburg». وفي نفس العام أعلن ابراهام لنكولن تصريحه المشهور عن تحرير العبيد في القارة الأميركية، كما وافق الكونغرس الأميركي في الثامن عشر من شهرديسمبر ١٨٦٥ على التعديل الثالث عشر للدستور الأميركي الذي قضى بتحريم الرقيق في جميع أراضي الولايات المتحدة الأميركية.

أما لماذا اغتيل ابراهام لنكولن بعد خمسة أيام من انتهاء الحرب الأهلية

ليخلفه الرئيس الجنوبي «جونسون»؟ وما هو سر عملية اغتياله؟ ومن هم وراءها؟ فتلك هي المسألة. . .

تعتبر الحرب الأهلية الأميركية أهم أحداث التاريخ الأمريكي على الاطلاق. . الا أن ما يجهله الرأي العام عن هذه الحرب الشهيرة هو ذلك الدور الذي لعبه فيها المرابون العالميون اليهود، والنتائج التي حصلوا عليها منها وانتهت باغتيال الرئيس ابراهام لنكولن.

ففي عام ١٨٥٧ في لندن، عقد قران «ليونورا» ابنة عميد الفرع الانكليزي لأسرة روتشيلد. . . «ليونولد روتشيلد»، على قريبها «ألفونسو» روتشيلد، عضو الأسرة في فرنسا. . . وكانت حفلة الزواج مناسبة كبرى جمعت في لندن عدداً كبيراً من أرباب المال العالميين وأقطاب السياسة. وكان بين هؤلاء الأخيرين «بنجامين دزرائيلي» السياسي اليهودي الشهير الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء انكلترا عدة مرات - بالرغم من يهوديّته - وأشهر رجال الدولة الانكليز على الاطلاق في القرن التاسع عشر.

وخلال هذه الحفلة، جاء في كلمة ألقاها دزرائيلي قائلاً: «يجتمع الآن تحت هذا السقف رؤساء أسرة روتشيلد التي امتدت شهرتها الى كل مدينة في أوروبا وكل ركن من أركان العالم». . . واستطرد موجهاً حديثه الى رئيسي فرعي أسرة روتشيلد في باريس ولندن: «اذا أردتما فسوف نقسم الولايات المتحدة الى شطرين. . . نعطي أحدهما الى جيمس (رئيس الفرع الفرنسي) والآخر الى ليونولد. . . أما نابوليون الثالث - امبراطور فرنسا آنئذ - فسوف يفعل ما أشير عليه به. . . وفيما يتعلق بـ «بسمارك» - مستشار المانيا - فإن الخطة التي أعددناها له هي من ثقل الوطأة بحيث ستشغله عنا تماماً».

في هذه الفترة، عين آل روتشيلد «يهوذا بنيامين» - وهو أحد أقاربهم - مندوباً رئيسياً لهم في أميركا. وتتالت الأحداث بعد ذلك حتى نشبت الحرب الأهلية وأصبحت حقيقة واقعة.

نفّذ المرابون اليهود بالفعل الخطة التي نوّه دزرائيلي بطرف منها، فأقنع

نابوليون الثالث باحتلال المكسيك وضمّها الى امبراطوريته ضماناً لانشغاله وسكوته... واختصت الحكومة البريطانية بإعادة احتلال الولايات الشمالية في الولايات المتحدة بنتيجة هذه الحرب..

وكان هدف سادة المال اليهود مزدوجاً من اشعال هذه الحرب: فهي تخلق لهم أولاً فرصة ذهبية يستطيعون فيها تقديم القروض وبيع السلاح بالربا الفاحش لنابوليون الثالث من أجل حربه في المكسيك ولقوات الولايات الجنوبية الفتية. والهدف الثاني تصبح هذه الولايات تحت سلطانهم المباشر...

وإضافة الى هذا فإنهم كانوا يريدون من هذه الحرب منع الرئيس الأميركي العظيم ابراهام لنكولن من تحرير العبيد في أميركا... مدركين أن استمرار العبودية هو مما يؤدي بصورة حتمية الى انهيار الأمة الأميركية وتمزقها... وكان الرئيس لنكولن أيضاً عليماً بذلك مما دفعه الى القول: «لا يمكن لأية أمة أن تعيش طويلاً اذا كان نصف أعضائها أحراراً والنصف الثاني مكوناً من عبيد».

لم تسر الحرب كما اشتهاها المرابون العالميون... فقد وجدت قوات الولايات الجنوبية نفسها بعد عامين من الحرب بحاجة الى المساعدة. فاتجه المرابون الى نابوليون الثالث بغية زجه بالحرب الى جانبها، وعرضوا عليه مقابل ذلك مقاطعتي «لوتيريانا» و«تكساس». ولكن عقبة غير متوقعة ثارت في وجوههم هي قيصر روسيا التي نمت اليه أخبار هذه المحاولات، فوجه انذاراً الى الحكومتين الفرنسية والانكليزية أبلغهما فيه بأنه يعتبر الهجوم على الولايات المتحدة الشمالية هجوماً على أراضي الامبراطورية الروسية ذاتها. وأرسل تأكيداً لتحذيره عدداً من السفن الحربية الروسية الى موانىء الولايات الشمالية «نيويورك» و«سان فرنسيسكو» ووضعها تحت امرة لنكولن... وهكذا أسقط في يد المتآمرين ولبثت الحروب مقصورة في المجال العسكري على الأمريكيين أنفسهم من شماليين وجنوبيين وانتهت بانتصار الشمال.

انتقلت معركة المرابين العالميين بوجود لنكولن الى مصير آخر. . . فقد تصدى لهم الرئيس لنكولن وأخذ يعمل في ولاياته الشمالية على تحطيم السلاسل التي طوقوا بها الاقتصاد الأمريكي. . . فعمد لهذا الغرض الى تطبيق الدستور الأمريكي متمسكاً بالفقرة الخامسة من القسم الثامن من المادة الأولى التي تمنح الكونغرس حق اصدار العملة وإصدار (٤٥٠) مليون من الدولارات الرسمية التي جعل غطاءها القرض الوطني.

عبأ المرابون اليهود حينئذ جميع قواهم لمواجهة لنكولن الذي أصبح خطراً شديداً عليهم. . . وشرعوا بمناوراتهم ودسائسهم الخفية بهدف تجريد العملة الجديدة من قيمتها أولاً والقضاء بالتالي على لنكولن ذاته. . . وقد وصلوا الى هدفهم الأول عن طريق استصدار قانون من الكونغرس من ناحية يمنع تسديد فوائد القرض الوطني أو ثمن المواد المستوردة بهذه العملة، وعن طريق شن حملة شعواء عليها في الأسواق العالمية والمصارف من ناحية ثانية، حتى هبطت قيمتها هبوطاً شديداً متدنية الى ثلث قيمتها الأصلية. . . وعندما وصلوا الى هذا الحد اشتروا جميع أوراق هذه العملة من التداول، واشتروا بهذه الأوراق سندات حكومية بالسعر الكامل للدولار، وبذلك ضربوا عصفورين بحجر واحد، فسببوا انهيار العملة الحكومية من ناحية. . . وحققوا أرباحاً فاحشة من ناحية ثانية.

وهذا ما ورد في رسالة التعليمات التي وجهها الماليون في أوروبا الى المؤسسات المصرفية في الولايات المتحدة: «نحن لا نستطيع أن نسمح بتداول العملة الجديدة في أمريكا إلا اذا أصبحت تحت اشرافنا. . . ونستطيع أن نصل الى هذا الهدف عن طريق السيطرة على سندات القرض الوطني مما يؤمن لنا بالتالي السيطرة على النقد الحكومي».

ولم يقف المرابون لعدد من النواب والشيوخ، وبهذا تمكنوا من حمل الكونغرس على التصويت عام ١٨٦٣ على قانون المصارف الذي وضع لمصلحتهم بالرغم من معارضة الرئيس لنكولن الشديدة، مسجلين بذلك ظفراً

آخر في معركة السيطرة على الاقتصاد الأمريكي.

ونتقل فيما يلي فقرات من رسالة وجهتها مؤسسة روتشيلد واخوانه للصيرفة في لندن الى احدى المؤسسات المالية الكبرى في شارع «وول ستريت» الشهير، مقر المؤسسات الكبرى في نيويورك حتى عصرنا الحاضر، وهي مؤسسة «ايكهايمر» و«مورتون» و «فاندرغولد» بتاريخ ٢٥ يونيوعام ١٨٦٣:

«سادتي الأعزاء...

كتب لنا السيد «جون شيرمان» من مقاطعة أوهايو في الولايات المتحدة لإعلامنا عن تقديراته للأرباح التي يمكن اجناؤها بنتيجة القانون الأخير الذي استنبته الكونغرس بشأن المصارف. ويقول السيد شيرمان أنها فرصة لم يتح لأصحاب الرساميل العالمية مثلها أبداً من قبل لتجميع الأموال.. ويبدو أن هذا القانون يؤمن لبنك أميركا السيطرة الكاملة على الاقتصاد الأمريكي». ويستطرد روتشيلد في الرسالة حتى يبدي رأيه هو أخيراً فيقول: «إن القلائل الذين يدركون كنه النظام الجديد للصيرفة سيكونون أمام حلين لا ثالث لهما: فإما اتباعنا للحصول على بعض الأرباح.. أو أن يصبحوا وقد ارتبطت شؤونهم بهذا النظام بحيث لا جدوى لهم من انتظار ثماره.

وهكذا فإن أية معارضة من هذه الفئة ستكون معدومة... أما مجموع الشعب فإنه غير قادر فكرياً على قصور المزايا الخيالية التي تعود لرأس المال العالمي بنتيجة هذا النظام، فلن يصدر عنه أي تذمر أو شكوى ولن يخامر أي شك في أن هذا النظام خصم لمصالحهم...».

وردا على هذه الرسالة، بعثت مؤسسة «ايكهايمر» و«مورتون» و«فاندرغولد» الى روتشيلد واخوانه رسالة جوابية مفادها ما يلي:

«سادتي الأعزاء...

تلقينا رسالتكم... ويبدو لنا أن السيد «جون شيرمان» يتصف بصورة

ملحوظة بالصفات التي تميز رجل المال العالمي الناجح، فهو لا يقيم وزناً لأية مشاعر يمكن أن تحول نظره عن الأرباح الكبرى... وهو الى ذلك شاب حاذق وطموح. وقد وضع نصب عينيه الوصول الى رئاسة الولايات المتحدة وهنا هو منذ الآن عضو في الكونغرس... وقد قاده تفكيره الصحيح لأن يدرك أن الربح الأكبر هو بالحفاظ على «صداقة» الأشخاص والمؤسسات ذوي الموارد المالية الواسعة، الذين يعلم أنهم لا يقتصرون على الوسائل المادية وحدها - اذا اقتضى الأمر - اما للحصول على دعم الحكومة لهم أو لمعاقبة من يتصدون لمصالحهم». - المخلصون روتشيلد واخوانه -

وتنتهي الرسالة الى الخلاصة التالية:

«لقد منحت البنوك حق انقاص أو زيادة العملة المتداولة كما تشاء... كما منحت حق اعطاء القروض أو سحبها كما تراه... وبما أن للبنوك منظمة هامة، فهي تستطيع أن تعمل ضمن سياسة واحدة فتكيّف السوق المالية كما تريد فتسبب مثلاً - اذا شاءت - تدنّي كل منتجات البلاد على الاطلاق في خلال أسبوع واحد أو يوم واحد... والى هذا فإن المصارف أعفيت من الضرائب على سنداتها وعلى رساميلها وعلى ودائعها... ونحن واثقون من أن هذه الرسالة ستعتبرونها رسالة خاصة مكتومة بصورة قطعية».

بكل احترام... المخلصون: ايكهايمر، ومورتون، وفاندرغولد.

والواقع أن هاتين الرسالتين لا تحتاجان الى تعليق... ومن نافلة القول أن نذكر أن المصارف أصبحت نتيجة هذا القانون هي المهيمنة على الاقتصاد الأمريكي لا الحكومة... والمصارف تعني بالتالي المؤسسات والبيوتات المالية التي تعني بدورها سادة المال العالميين المسيطرين على معظم المؤسسات والمصارف العالمية.

أما الرئيس لنكولن فلم يعد أمامه من طريق سوى توجيه تنبيه علني للشعب فلجأ الى هذا الطريق. ان الشعب الأمريكي سوف يصغي لصوت العقل هذه المرة... وهكذا شنّ هجوماً علنيّاً شديداً على المرابين

العالميين، وجاء في هذا الهجوم ما يلي حرفياً:

«انني أرى في الأفق نذر أزمة تقترب شيئاً فشيئاً.. وهي أزمة تثيرني وتجعلني أرتجف خشية على سلامة بلادي، فقد أصبحت الرشوة المنهج السائد وسوف يتبعها وصول الفساد الى أعلى المناصب. كما ستصبح ثروة البلاد بأكملها تحت سيطرة فئة قليلة لن تتورع عن ابتلاع وعن تحطيم الجمهورية بالتالي». كان لنكولن آنئذ في نهاية مدة رئاسته ولكن الانتخابات الجديدة حملته الى الرئاسة مرة ثانية وهو معتزم - هذه المرة - أن يقوم بعمل تشريعي للقضاء على سلطان الماليين العالميين، مما يحتم معه على هؤلاء العمل بسرعة لتدارك الخطر... وكان أن اغتيل الرئيس ابراهام لنكولن ليلة الرابع عشر من ابريل ١٨٦٥ في المسرح من قبل شخص يهودي اسمه «جون ديكليزبوث»، ويجهل معظم الأمريكيين سبب هذه الجريمة... كما أن كتب التاريخ لا تعطي أي تفسير لها... وذلك بالرغم من أن المحققين آنئذ عثروا على رسالة الشيفرة في أمتعة القاتل، ووجدوا مفتاح هذه الشيفرة بحوزة «يهوذا بنيامين» عميل روتشيلد الأول في أميركا.. وبقيت تبعة الجريمة على قاتل عادي... وأضيفت الى السجل اليهودي الحافل بالجرائم والدم، في الوقت الذي لا يعتبر فيه اغتيال لنكولن خسارة لشخص، بل هو خسارة انسانية شاملة لما يمثله «محرّر العبيد» في أمريكا، في وجه المتاجرين بالانسان والقضايا المصيرية، والذين لا ينتعشون الا من الدم والجثث، وقد عشش الاجرام والفساد في كل عرق من عروقهم.

وقوم هذا شأنه، غير جدير بأن يذكر في قاموس الانسانية، ولا في عداد البشر الجديرين بالحياة.

المراجع

١ ـ موسوعة «المعرفة» المجلد الخامس. مطبعة داغر. بيروت ١٩٧٩. الصفحة ٧٨٠ ـ ٧٨١.

٢ ـ د. عبد المجيد نعنعي «تاريخ الولايات المتحدة الأميركية الحديث». دار النهضة العربية. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٧٤. ص ١٢٩ ـ ١٣٧.

٣ ـ وليم كار «اليهود وراء كل... جريمة» شرح وتعليق خيرالله الطلفاح. دار الكتاب العربي. الطبعة الثانية. بيروت ١٩٨٢.

٤ ـ وليام غاي كار «أحجار على رقعة الشطرنج» ترجمة سعيد جزائرلي. مراجعة وتحرير م. بدوي. دار النفائس بيروت ١٩٧٥. ص ١٢٩ ـ ١٣٧.

٥ ـ الموسوعة العسكرية. الجزء الأول. بإشراف المقدم الهيثم الأيوبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٧. ص ٥٤١ ـ ٥٤٢.

الفريد موند الصهيوني
وأوسمة الشرف العربي

استأثر العراق منذ وقت مبكر باهتمام الحركة الصهيونية ونشاطها السرّي والعلني، نظراً لاعتبار «الطائفة اليهودية هناك من أقدم الطوائف اليهودية في العالم» على حدّ قول «فريتز غروبا»، الوزير الالماني المفوض في بغداد بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٩.

وبما أن بريطانيا هي صاحبة «الوعود المشؤومة» على الدوام، والتي تقوم استراتيجيتها على طعن العرب وقضم حقوقهم وأراضيهم، ومنحها الى من تجد فيهم حليفاً ونصيراً في أوقات المصاعب والمحن، ونعني بهم الصهاينة، فلذلك لا نستغرب اهتمام صهاينة انكلترا بيهود العالم، ومن ضمنهم بالطبع يهود العراق.

واذا كان «بلفور» و«تشرشل» و«هربرت صموئيل» وغيرهم ممن تصدّروا واجهة دعم الصهيونية ومناصرتها في كل زمان ومكان، فهناك الكثيرون غيرهم أيضاً كانوا يعملون بصمت أحياناً، ويتململون كالأفعى (مع كونهم بأجمعهم «أبناء الأفاعي الرقطاء»)، في سبيل الهدف الصهيوني ونصرته. ولم يكن البريطاني الصهيوني «ألفريد موند» (الذي عرف باللورد مالتشتر أخيراً) الا أحد هؤلاء الأبالسة في الجنّة العربية.

فمن هو «ألفريد موند» هذا؟ وما هي أسرار زيارته الى العراق عام ١٩٢٨؟.

يعتبر «ألفريد موند» من أبرز الشخصيات الصهيونية التي جاءت

العراق، ولم تلق، كما هو متوقع، غير معارضة الرأي العام العراقي بكافة قواه وفصائله الوطنية خاصة الطلبة منها. وهو شخصية يهودية بريطانية، قدم الى العراق يوم ٨ فبراير سنة ١٩٢٨، وهو الذي يتمتع بنفوذ واسع في انكلترا، ليس في المجالات المالية فحسب وانما في الميادين السياسية أيضا. وكانت له صلة صداقة بالملك فيصل الأول أيضاً، حتى أن الأخير نزل مكرّماً في دار السير ألفريد موند في احدى زياراته للندن. ولما أظهر موند رغبة بزيارة العراق أبدى الملك فيصل ترحيبه بذلك. ولا يمكن التكهن بالضبط اذا كان ترحيب الملك بمقدم موند ناجماً عن رغبة حقيقية في نفسه أم بضغط من الانكليز أو توسّطهم. وقد تطرق «خيري العمري» (في كتابه حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث) الى هذا الموضوع بقوله: «روى لي مزاحم الباجه جي أنه كان في ذلك التاريخ (أوائل ١٩٢٨) ممثلاً للعراق في لندن، وقد تقدم اليه السير ألفريد موند بطلب سمة دبلوماسية له ولحاشيته، فرفضت الطلب لأنه لا يتمتع بتلك الصفة. ولكن بعد أيام وردتني برقية من الحكومة العراقية تشير بإعطائه سمة دبلوماسية». ولا أستبعد أن يكون ذلك قد تمّ بتأثير فيصل أو «هنري دوبس» (المندوب السامي البريطاني في العراق) الموالي للصهيونية.

وعلى الرغم من أن الاحتمالين قائمان فإن صداقة موند وفيصل فضلاً عن أنها تبرر الترحيب بمقدم موند، فإنها تثير في الوقت نفسه التساؤل والاستغراب. وأياً كان مبعث هذا الترحيب فقد كانت لهذه الزيارة أهداف صهيونية بعيدة المدى.

مثّلت هذه الزيارة بحد ذاتها تحدّياً للشعور الوطني والقومي الذي كان يعرف الصهيونية ومراميها وخطرها، بخلاف ما كان يظنه الانكليز ودوائر الأمن العراقية.

وقد استعد اليهود المتحمسون للصهيونية لاستقبال الزائر استعداداً كبيراً منذ اليوم السادس من فبراير. فانتهز أبناء الشعب العراقي هذه الفرصة، التي رأوا فيها تحدّياً لمشاعرهم الوطنية واستهانة بعواطفهم القومية، وقرروا القيام

بمظاهرات صاخبة ـ تعتبر أول مظاهرات في شوارع بغداد معادية للصهيونيـة ـ لاستنكار السياسة البريطانية المتبعة في فلسطين واعلان سخطهم الشديد على الفكرة الصهيونية، في شخص هذا الزائر الممقـوت. وتجمهر طلبـة المدارس في عصـر اليوم الثـامن من فبراير ورفعـوا لافتات وأعـلام كتب عليهـا «لتسقط الصهيونية» و«ليسقط وعد بلفور» و«لتحيـا الأمة العـربية». وهتـافات من بينهـا «بيت المقدس عربية» و«ليرجع الزعيم الصهيوني ألفريد مونـد» الى غير ذلـك من العبارات. وكانوا كلما تقدموا أكثر وأكثر في الشـارع انضم اليهم فريق من المتـظاهرين حتى تجـاوز عددهم عشـرين ألفاً، وتـوجهت هذه الجمـوع الى محطة «الكرخ» حيث يمـر مونـد. ولما علمت السلطات بـذلك غيـرّت طريق الزائر وطلبت من الشرطة تفريق المتظاهرين. وقد تصـدى رجال الشـرطة الى هـذه المظاهـرة في محاولـة لمنعها من متـابعـة سيـرهـا نحـو جسـر «الخـرّ»، فاشتبكوا معهـا في معركـة عنيفة استعـان بها المتـظاهرون بـالحجارة والعصي والزجاجات الفارغة واستخدم فيها رجال الشرطة هراواتهم وخيولهم التي داسوا بسنـابكها بعض الـطلبة ممن أصيبـوا بجروح بليغـة. وفشلت محـاولاتهم في تفريق وتشتيت المظاهرة، حيث واصل الـطلبة سيـرهم نحو «جسـر الخرّ» في جو من الحماسة ونشوة الظفر. وعند هذا الجسر رابط الطلبـة وعيونهم تـرقب بحذر ونشاط وتفتش السيارات القادمة بغية العثور على الصهيوني القذر ألفريد موند، حتى اذا خيّم الـظلام ولم يجدوا أثـراً لسيارة مـونـد عـادوا الى شـارع الرشيد في الليل وهم يهتفون بحماس أشد «ردّينا السير موند وجينـا»، والمارة في الشارع تصفق لهم، والنساء في الشرفات تزغرد، وهكذا فوجئت الحكومة العراقية برئاسـة عبد المحسن السعـدون بهذه المـظاهرة العنيفـة، وخشيت أن يتعـرض مـونـد الى اعتـداء، فسـارعت الى حمـايتـه من غضبـة الجمـاهيـر، فأرسلت ـ بعد أن فشلت الشرطة في منـع المظاهـرات من الوصـول الى جسر الخرّ ـ مدير شرطة بغداد «حسام الدين جمعـة» مع قـوة من الشرطـة الى نقطة «أبي منيصيـر» حيث استقبلت من هناك السيـر ألفريـد مونـد، ووضعتـه تحت حراسة مشـدّدة ونقلته تحت ستـار الظلام الى الكـاظمية ومنهـا الى الأعظميـة

والى دار الاعتماد البريطانية حيث حل ضيفاً هنـاك مع زوجتـه وابنته «الليـري ايرليا». أما حاشيته فقد نزلت في بيت «السير أليازر خضورى» أحد أثرياء اليهود المقيمين في لندن. ويبدو أن غضبة الجماهيـر ضد الصهيـونية بشخص مـوند هي التي حالت دون استضافة فيصل أو الحكومة العراقية لموند رسمياً، خاصة بالنسبة للملك فيصل الذي كان عليه استضافته في قصره رداً على صنيع موند معه حين زار لندن سابقاً.

وقـد أسفـرت اجـراءات الشـرطـة عن القـاء القبض على عـدد من المتـظاهـرين بينهم ستّـة من الأهلين و(٣٥) من طـلاب المـدارس، وكبست احـدى النوادي الأدبيـة (وهو نـادي التضامن) في العـاصمة بحجـة التحريض على هذه المظاهرات، واعتقلت أعضاءه، فنفت رئيس النادي «يوسف زينـل» الى «الفـاو» في البصرة، بـاعتباره، حسب اعتقـادهم، الشخص الذي يختفي وراء تلك المظاهرات، وأغلقت صحيفة «التضامن» المعـارضة لنشـرها مقـالاً ضد البريطانيين والصهاينة. وأصدرت متصرفية بغـداد أمراً بمنـع التجمهر في الـطرق والشوارع والميـادين العامـة أو تسيير المـواكب فيها والاجتمـاعات في المحال العامـة دون اذن منها، والمخـالف يعاقب بمـوجب القانـون. وقررت وزارة المعارف طرد أحد عشر طالباً من دار المعلمين، وخمسة من الثانويات، وطالبين من مدرسة الحقوق طرداً مؤبداً بحجة اشتراكهم في هذه المظاهرات، على الرغم من أن هذه المظاهرات حظيت بعطف الرأي العام لأنها عبّرت عن حقيقـة مشاعـره نحو الصهيـونية، بـل وحظيت بمسـاندة الـرأي العام العـربي بصحفه وشخصياته. ولكن رغم ذلك، أعلن تـوفيق السويـدي وزير المعـارف بكل وقاحة أن النار ستطلق على المتظاهرين اذا تظاهروا. وأخذ الـوضع يـزداد تأزماً خاصة بعد اجتماع عقـده عدد كبيـر من الأهلين في جامـع الحيدر خـانة يوم ١٠ فبراير لـلاحتجاج على سيـاسة الحكـومة التي يـرأسها عبـد المحسن السعدون ويدير سياستهـا الداخليـة عبد العـزيز القصّـاب، ازاء المتظاهـرين. فقبضت السلطات على بعض الخـطباء وفـرّقت المجتمعين بالقـوة. ثم لجأت الحكـومة الى المـراسيم فأصـدرت مرسـومين، كان وراءهـمـا «المستر دراور»

المستشار القانوني لوزارة العدل الذي باغت مجلس الوزراء لإصدارهما. ينص المرسوم الأول على معاقبة الطالب الذي لم يكمل الثامنة عشر من العمر بالجلد (٢٥) جلدة اذا اشترك في اجتماع غير قانوني، أو أقلق أو حاول أن يقلق السلم العام بصورة أو بأخرى. كما ينص المرسوم الثاني على تطبيق القوانين بحق المحرِّضين على ارتكاب الجرائم - أي المظاهرات - على أن يطبق ذلك بمفعول رجعي على من لهم علاقة بحادث ٨ شباط/فبراير ١٩٢٨. أما مجلس الوزراء فقد قرر طرد الطلاب المشاركين بأحداث ٨ شباط/فبراير والذين يزيد عمرهم عن (١٨) سنة، ولم يشملهم المرسوم الأول أعلاه طرداً مؤقتاً أو مؤبداً. وأن لا يستخدم في دوائر الدولة في المستقبل من تقرر طرده من هؤلاء طرداً مؤبداً بسبب الحادث المذكور. وهكذا كانت العقوبة شديدة وغير عادلة من الأساس لأنها لم تكن لتتناسب مع «الجرم» المرتكب، فضلاً عن أن الطلبة لم يقوموا إلا بما أملتهم عليهم عاطفتهم وشعورهم الوطني والقومي النبيل؛ لذا استدعى صدور المرسومين احتجاج الصحف والأحزاب؛ فرفع حزب الشعب احتجاجاً وقّعه رئيسه ياسين الهاشمي في ١٦ شباط/فبراير ١٩٢٨ الى رئيس الوزراء دعاه الى الغاء المرسومين. وطلب الحزب الوطني في الموصل الذي يرأسه سعيد الحاج ثابت في ٢١ آذار/مارس ١٩٢٨ إعادة النظر في أمر الطلاب الذين فصلوا من مدارسهم. وقدم حكمت سليمان وزير العدلية استقالته؛ إلا أنه أجّلها بناء على طلب من رئيس الوزراء.

كتبت جريدة «النهضة» في ١٧ فبراير ١٩٢٨ تثني على المتظاهرين لأنهم أظهروا عواطف وطنية جديرة بالتقدير لا باللوم. بل إن العطف تعدّى حدود القطر العراقي الى الوطن العربي، فنجد الثناء والتقدير في سوريا ولبنان ومصر. وتصدّت جريدة «العراق» البغدادية للهجوم الذي شنّته جريدة «بغداد تايمس Baghdad Times»، الناطقة شبه الرسمية باسم دار الاعتماد البريطانية في بغداد، ضد المتظاهرين ساخرة حين وصفت المظاهرات بأنها همجية، وأنها أضحوكة العالم. ومما ردّت به «العراق» قولها أن دول العالم المتقدمة تحدث فيها مظاهرات لتعزيز الشعور القومي. ولا شك نحن نعلم تعاطف

جريدة «بغـداد تايمس» والمنـدوب السامي السيـر هنـري دوبس وقتـذاك مـع الصهيونية، خاصة وهو الذي حثّ اليهود، على تأسيس فرع للوكالـة اليهوديـة في العراق. لذا لا نستغرب من دوبس فرضه حَجْراً إعلامياً على انتشـار أخبار المظاهرات بتشـديد الـرقابـة على البرقيات الخارجـة من العراق. ولكن رغم ذلك تسرّبت أخبارها عن طريق وكالة رويتر التي أشـارت الى ما لقيـه ألفريـد مـوند وحـاشيته من «استقبـال ساخن» زاد عـدد المشاركين فيـه على «العشـرة آلاف» شخص، لما اتصل بعلم العـراقيين أن مونـد إنما جـاء لإدخـال الفكـر الصهيوني الى العراق أو الترويج له.

وبالنظر لما لقيه موند من «ترحيب حار»، مع أن الطقس كـان شتاء، لم يستـطع أن يبقى في بغداد أكثـر من أسبوع زار خـلاله في تكتّم شـديـد بعض المدارس والنوادي اليهودية، وحضر مأدبة أقامها له الملك فيصل، وصرّح الى جـريدة «بغـداد تايمس» تصـريحاً أثنى فيـه على فيصل، وزعـم أنـه جـاء الى العراق لمشاهدة أطلال بابل ودراسة بعض المشروعات الاقتصاديـة. وفي ١٥ فبراير غادر ألفريد موند بغداد مع حاشيته على متن طـائرة نقلتـه الى «الرطبـة» حيث كـانت هناك سيـارة نيرن (وهي التي حملتـه الى بغداد) بـانتظاره. وقـد علّقت «السياسة الاسبوعية» على ذلك قائلة أن السير ألفريد موند اختار السفـر بهذا الاسلوب خشية قيام المظاهرات.

وبعـد أكثر من ثـلاثة أشهـر ألغت الوزارة السعـدونية الثـالثة مـراسيمهـا الجائرة بحق الطلبة المتظاهرين في ١٧ مايو ١٩٢٨، رغبة منها في كسب عطف الناس وودّهـم بحجة انتفاء الغاية التي أدت الى صدور تلك المراسيم.

هذا، وإن ما حدث عند مجيء الصهيـوني الممقوت ألفـريد مـوند، إن دلّ على شيء فـإنمـا يـدل على عمق الشعـور القـومي لـدى أبنـاء الشعب العراقي، خاصة الطلبة أولاً، ولا مبالاة الحكومة العراقية، بتأثير دار الاعتمـاد البريطانية في بغداد، إزاء قضية فلسطين، فضلاً عن إهمالها مشاعر الجماهيـر وانحيـازها عن قصـد أو بـدونـه الى صـالـح الحـركـة الصهيـونيـة العنصـريـة

الاستعمارية الاستيطانية، باستقبالها لموند ثانياً، وتأمينها الحماية له ثالثاً، ومعاقبتها المتظاهرين ضده بقسوة متناهية رابعاً، مستخفّة بمشاعر أوسع قطاعات الجماهير.

وتبقى الحقيقة أخيراً ساطعة بلون الشمس، حيث أن هذه المراسيم التي صدرت بحق هذه النخبة من أبناء الشعب العربي العراقي ما هي الا أوسمة شرف على صدور المناضلين الطليعيين ضد الاستعمار والصهيونية وأذيالهما الطويلة والقصيرة.

وقد شهد العالم أجمع كيف رحل الاستعمار البريطاني عن العراق وبقي أبناء العراق الأصليين، أقوى من كل الغزاة القدامى والجدد.

المراجع

١ ـ صادق حسن السوداني «النشاط الصهيوني في العـراق ١٩١٤ ـ ١٩٥٢». دار الـرشيـد للنشـر. منشـورات وزارة الثقـافـة والاعـلام. الجمهـوريـة العـراقية. سلسلة دراسـات رقم ٢٠٦. دار الحريـة للطبـاعـة. بغـداد. توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان. ١٩٨٠. ص ٦٥ ـ ٧٣.

٢ ـ خيري العمري «حكايات سياسية من تاريخ العـراق الحديث» القاهرة. دار الهلال ١٩٦٩. ص ١٧٦ ـ ١٩٣.

٣ ـ طالب مشتاق «أوراق أيـامي» الجزء الأول (١٩٠٩ ـ ١٩٥٨) دار الـطليعة للطباعة والنشر. بيروت ١٩٦٨. ص ١٨٨.

٤ ـ عبـد الرزاق الحسيني «تـاريخ الـوزارات العـراقيـة» مـطبعـة دار الكتب. الطبعة الرابعة. بيروت ١٩٧٤. الجزء الثاني. ص ١٥٩ ـ ١٦٥.

٥ ـ جريدة «النهضة» العراقية بتاريخ ١٧ شباط/فبراير ١٩٢٨.

٦ ـ جريدة «العراق» البغدادية بتاريخ ٢١ شباط/فبراير ١٩٢٨.

الخبث الصهيوني
واسرار عملية تفجير السفينة «باتريا»

منذ اللحظة الأولى لولادة الحركة الصهيونية، تأكدت بصورة ملموسة أهمية ما يسمى بـ «العنصر البشري» في قاموس هذه الحركة، ممثلاً عصب حياتها وشريان وجودها ودورتها الدموية، اضافة الى عمودها الفقري.

إزاء هذا الوضوح، لم يعد هناك مجال للإستغراب، أن ينصبّ الجهد والاهتمام الصهيوني على «تهجّير» اليهود من مواطنهم الأصلية، الى وطنهم المزعوم: فلسطين، والتي أطلقوا عليها اسم: «أرض الميعاد»، لكي تشكل الخزّان البشري الهائل، كعامل طردٍ لأبناء فلسطين العرب الأصليين، مقابل إحلال اليهود الوافدين مكانهم.

هذا ولم تدّخر الصهيونية جهداً في سبيل تحقيق مراميها الاستراتيجية، واضعة في الحسبان كل الطرق والأساليب للوصول الى المبتغى. ورغم ادعاءاتها المزعومة بأنّ اليهود هم «شعب الله المختار»، فإنها لم تتورّع عن استخدام «الإبادة الجماعية» بحق اليهود أنفسهم، كما حصل بالنسبة للسفينة «باتريا Patria» عندما أقدمت منظمة الهاغاناه الارهابية على نسفها واغراقها في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بحجّة «قتل القليل من أجل نجاة الكثير».

كيف حصلت هذه العملية؟ وما هي أسرارها؟.

في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠، كان الإعداد

جارياً لإبحار السفينة «باتريا Patria»، وهي سفينة فرنسية تركت في حيفا بدون بحارة؛ وفي ٢٤/ ١١/ ١٩٤٠، أي بعد يومين فقط، وصلت معلومات تفيد بحجز السفينة «أتلانتيك» وعلى متنها /١٩٠٠/ يهودي من رومانيا.

لذا أخرّ ابحار السفينة «باتريا» حتى يتم نقل خمسمائة من ركاب السفينة أتلانتيك اليها. وفي صباح ٢٥/ ١١/ ١٩٤٠، بعد أن تم نقل مائة مهاجر اليها حدث انفجار في السفينة «باتريا».

وقد تعدّدت الروايات حول هذا الحادث. إلا أن هناك إجماعاً على إغراق السفينة «باتريا» في هذا التاريخ، وذلك أثناء عملية نقل اليهود في ميناء حيفا من السفينة «أتلانتيك»، وهو أمر لم نجد حتى الآن ما يشكك في صحته أو عدم حدوثه.

أما الروايات عن كيفية الغرق، فقد ندر أن وجدنا تفصيلاً له؛ إذ أن تقرير الوكالة اليهودية عن أعمالها في عام ١٩٤٠ يكتفي بذكر غرق السفينة دون أن يعطي تفصيلاً له، كما أن كتاب «The Palestine Diary» (لمؤلفيه: «جون روبرت» و«سامي هداوي» المطبوع في بيروت سنة ١٩٧٠) وكذلك برقيتي القنصل الأميركي في القدس «ودز وورث» رقم ١٦٥ و ١١٥ لعام ١٩٤٠، تذكر الغرق أيضاً دون مزيد من التفصيلات. وهو أمر يدعو الى الشك، وعلى الأخص ما جاء في تقرير الوكالة اليهودية، ذلك لأن المصادر الصهيونية اعتادت الإسهاب والتفاصيل في مثل هذه الحوادث، فلمَ الاشارة العابرة هنا والقضية تتعلق بغرق المئات؟.

ألقى كريستوفر سايكس (ابن مارك سايكس)، ضوءاً على كيفية وقوع الحادث. فقد ذكر «أن انذاراً وجّه للركاب في الساعة الثامنة مساء للقفز الى البحر من السفينة يوم ٢٥/ ١١/ ١٩٤٠»، بدليل أن المسؤولين عن سلامة السفينة أحسوا بوجود شيء ما سيحدث، وسيؤدي الى ما يستوجب القفز من السفينة الى البحر، وهو أمر سيتعرض فيه الكثير من الركاب الى خطر الموت، إلا اذا افترضنا أن جميعهم قادرون على السباحة.

وعنـدما غـرقت السفينة، أعلنت اللجنـة التنفيذيـة للوكالـة اليهودية في حينه، أن اغراق «باتريا» وليس غرقها، كان مـظاهرة جمـاعية من قبـل ركابهـا ضـد قرار المنـدوب السامي البـريطاني على فلسـطين «ماكمـايكـل» بتـرحيـل اللاجئين الى مورشيوس. ويؤيد هذا الاعلان الكاتب الصهيوني «كوستلر» في عام ١٩٤٩ بقولـه أن المهاجـرين ـ وليس المهجّرين ـ الـذين كانـوا على ظهر السفينة هم نسفوها، مما يدل على أن المسؤولين الصهيونيين كـانوا على علم بما حدث. وقد ذهب البيان الى التأكيد وليس الاحتمال بالنسبة لإقدام الركاب على إغراق سفينتهم.

أما بالنسبة الى القنصل الأميركي في القدس، فقـد ذكر في بـرقيته رقم ١٧٥ لعـام ١٩٤٠ ما يلي: «يسـود الاعتقاد أن بعض الجهـات اليهـوديـة هي المسؤولة عن «تدبير الحادث». اذ شوهد بعض الأفراد يقفزون من السفينة قبل الانفجار». ولكن القنصل الأميركي لا يذكـر اسم الجهة اليهـودية المسؤولـة، كما لا يذكر مصدر الاعتقاد مما جعل الشك في الحادث أمراً ضرورياً.

ان مثل هذه الحوادث في التاريخ يصعب كشفها والوصول الى الحقيقـة حولها. لذا ينبغي اتباع الحذر الشديد في الروايـات التي تصل الينـا، اذ يندر أن تخلو روايـة من هوى شخصي أو غـرض سياسي. على أي حـال، شكلت لجنة من قبل السلطة البـريطانيـة في فلسطين بتـاريخ ١٩٤٠/١٢/٧ للتحقيق في الحادث. وقد ألقت اللجنة ضوءاً جديداً على تدبير الحادث، بالاضافة الى ما ذكره القنصـل الأميركي، عنـدما ذكـرت أن الحادث «دبّـر من الخارج دون علم أحد إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة من ركاب السفينـة». وهو قـول يتعارض مع بيان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهوديـة الذي ذكـر أن الحادث كـان مظاهـرة جماعية من ركاب السفينة. وفي عـام ١٩٤٢ أي بعد حـادث السفينة بحـوالي سنتين، حدث ما يستـرعي الانتباه حـول هذا الأمـر. فقد استنكـر رئيس لجنة اليهود الالمان في فلسطين سياسة الوكـالة اليهـودية ضـد بريـطانيا، كمـا اعتبر اسطورة الانتحار الجماعي لركاب السفينة باتريا مجرد دعاية. ولكنـه بعد هـذا الاستنكار تعرض للقتل أثناء عودته الى بيته.

وهنا أصبح الشك في قيادة الوكالة اليهودية التي أصدرت بيـان الانتحار الجماعي في عام ١٩٤٠ وارداً. وإلا لماذا قتل مسؤول لجنة اليهود الالمـان؟ لابد أنه أشار في بيانه إلى أمر تعتبـره القيادة من أدق أسـرارها، ويؤدي كشفـه الى التأثير على سياستها.

ولكن سرعان ما ظهرت الحقيقة داخل الكيان الصهيوني بعد تأسيسه في عام ١٩٤٨. إذ لعبت المنافسـات بين الأحزاب الصهيـونية المختلفـة دوراً في كشف أكثر من حادث سياسي. ولعلّ الكشف عن كيفية اغتيال «الكونت فولك برنادوت» الذي عينته الأمم المتحـدة في سنة ١٩٤٨ وسيـطاً دولياً بين العـرب واليهـود خير دليـل على ذلك. فمن المعـروف أن كيفية الاغتيـال رغم صدور البيـانات المتنـاقضة في حينـه حولهـا، لم تعـرف إلا في عـام ١٩٧١ عنـدمـا تحدث «باروخ نادل» رئيس مكافحة التجسس في منظمة ليهي (شتيرن) سـابقاً لمـراسل مجلة «ليـروبيو» الايـطالية عن دوافـع الجريمـة بقـولـه: «ان اللجنـة المركزية لمنظمة ليهي (شتيرن) كـانت تعتقد بـأن مشروع بـرنادوت للسـلام، ليس إلا مؤامـرة بريـطانية ضـد «دولة اسـرائيـل» وأن بـرنـادوت نفسـه صـديق للنـازيين. كما كـانت اللجنة المـركزيـة لمنظمـة ليهي لا تثق ببن غـوريـون. وهكـذا تقرر تصفيـة برنـادوت جسدياً، وأوكلت المهمـة الى «بـاروخ نـادل» وإعداد أربعة من القتلة لتنفيذها. وقد قصدنا بهذا الاستطراد أنه من المعقـول جداً أن يكون اغـراق باتـريا مفتعـلاً للفت نظر العـالم الى القضية الصهيـونية والتأثير على اليهود.

أما عن حادثة باتريا فقد تغيرت اللهجـة في الكتابـات الصهيونيـة، ولم يعد ذكر لعملية الانتحار الجمـاعي. فقد ذكـر إيغال آلـون «أن تفجير السفينـة باتريـا في حيفا بتـاريخ ٢٥/ ١١/ ١٩٤٠ كـان على يد الهـاغانـاه، كردّ على سياسة بريطانيا». أما اسرائيل غاليلي أحد قادة الهاغاناه، فقـد ذكر «أن أحـداً لم يكن يتصور الغرق كما حدث، أما أنه كان هناك خطأ في كمية المتفجرات أو ضعف في جدار السفينة. لقد ارتكب المهنيون خطأ».

كما يذكر سامي هداوي (في كتابه «جريمة بلا عقاب») الكشف عن تدبير الحادث على لسان الدكتور «هرزل روزنبلوم» المحرر في صحيفة «يديعوت احرونوت» وصفاً للإجتماع الذي اتخذ فيه القرار بنسف السفينة من قبل قيادة الهاغاناه. كما يذكر تبرير القادة الصهيونيين لعملية النسف من أمثال «موسى شرتوك» لهذا الحادث والمتلخص في «قتل القليل من أجل نجاة الكثير». والجديد هنا أن القادة الصهيونيين كانوا على علم مسبق بحتمية حدوث القتل، وليس كما ذكر غاليلي أن الحادث كان مردّه الى خطأ الفنّيين.

إن في اعتراف إيغال آلون بأن الحادث كان من تدبير منظمة الهاغاناه، ينفي التهمة التي وجّهت إلى منظمة ليهي (شتيرن) والتي ساد الاعتقاد بأنها كانت وراء الحادث.

لذا فإن حادث إغراق السفينة «باتريا» نفّذ بتخطيط وبعلم من قيادة الهاغاناه وبعلم قيادة الوكالة اليهودية في فلسطين. وقد نفذ هذا الأمر خدمة لهدف حددته القيادة الصهيونية. لذا لابد من استغلال الحادث أحسن استغلال، لا سيّما وأن الحادث تبعه موت بعض اليهود من الذين كانوا على ظهر السفينة فقد ذكرت الروايات أن عدد القتلى كان حوالي /٢٦٠/ قتيلاً في الحادث. بينما ورد في تقرير الوكالة اليهودية لعام ١٩٤٠، فقدان /٢٥٧/ شخصاً. وعلى لسان اسرائيل غاليلي، فقد مات مائتا شخص. بينما ذكر إيغال آلون أن عدد الذين غرقوا بلغ /٢٧٥/ شخصاً من ركاب «باتريا» بعد تفجيرها على يد الهاغاناه.

أما القنصل الاميركي العام في القدس «ودز وورث» فقد ذكر ما حدث بالنسبة للخسائر في الأرواح مفصلاً في برقيته الى وزير الخارجية، رقم ١٧٥ بتاريخ ١٩٤٠/١٢/٢ الساعة العاشرة صباحاً وتم تسليمها في ١٩٤٠/١٢/٣ الواحدة والنصف صباحاً الى وزير الخارجية الاميركي، على النحو التالي:

«من بين ألف وتسعمائة لاجىء بالتقريب كانوا على ظهر السفينة

«باتريا» علم ان ٣٠ منهم غرقوا، ومات إثنان في المستشفى، وهناك مائتان مفقودون. أما الآخرون ـ باستثناء ١٣ منهم هربوا من مستشفى هداسا ـ فقد احتجزوا في معسكرات الحجز. ومن المفقودين يعتقد أن أغلبيتهم قد نجوا وفروا هاربين، كما فقد شرطي بريطاني وأحد ضباط السفينة. وأما باقي ركاب «أتلانتيك» الذي كان يفترض ترحيلهم فقد تم حجزهم».

إن ما أورده القنصل العام في برقيته يتطابق الى حد كبير مع الروايات الشفوية لبعض من شاهدوا وقوع الحادث من سكان مدينة حيفا. فقد روى اكثر من مصدر عند سؤالهم عن هذا الحادث بأن عدد الموتى من اليهود لم يزد على إثنين. بينما روى البعض الآخر أن عدد الموتى كان لا شيء، وهي روايات لمْ نشأ التعويل عليها لا لعدم صدقها، ولكن لعدم وجود أدلة تثبت هذا الصدق. وقد جاءت رواية القنصل الأميركي متطابقة مع الروايات الشفوية حول تضخيم اليهود لعدد القتلى، وهو امر نميل إلى تصديقه. فقد ذكر القنصل الأميركي بتاريخ ١٩٤٠/١١/٢٠، أن ثلاث صحف عبرية نشرت أسماء ألف ومائة شخص من الذين كانوا على ظهر السفينة «باتريا». ولكننا بعد الحادثة لا نجد ذكراً لأحد المتوفين الذين ذكرتهم الصحف العبرية، كما إنني وحسب اطلاعي ـ يضيف القنصل الاميركي ـ لم ألاحظ ذكر اسم شخص يهودي ينتسب الى أحد من هؤلاء الغرقى الذين ادّعتهم المصادر الصهيونية، خاصة وأن هذه المصادر تشير ببعض معاني الافتخار عندما يذكر اسم شخص يهودي له صلة من قريب أو بعيد ببعض ضحايا النازية أو ببعض الذين تعرضوا للاضطهاد في روسيا، أو بمن تعرضوا لحوادث لافتة للنظر أثناء محاولات القيادة الصهيونية تنفيذ أهدافها، مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن عدد القتلى الذين ذكرتهم المصادر الصهيونية غير قابل للتصديق، وجنحوا الى المبالغة فيه لا من أجل الذين قتلتهم قيادة الهاغاناه، ولكن من أجل الاستفادة من هذا الحادث بما يخدم الغرض الصهيوني.

ان حادثة «باتريا» شاهد حيّ على ما استهدفته قيادة الصهيونية من الهجرة غير المشروعة. فلم يكن الهدف هو إدخال اليهود، فذلك أمر كانت

تعلم هـذه القيادة، أنـه موفّـر وسهل، ولكنهـا اختارت طـريق الـدعـايـة لتثيـر الحماسة في نفوس اليهود الذين أداروا ظهورهم للمشروع الصهيوني، وكي لا تجعل العالم يلتفت الى انقاذ اليهود في اوروبا من جحيم النازية على حساب الهـدف الصهيوني. هـذا وقد أوردت «مـوسوعـة الصهيونيـة واسرائيـل» (التي أشرف على تحريـرها «رفـائيل بـاتاي» وشـارك في كتـابتهـا أسـاتـذة وعلمـاء صهيـونيون، كمـا كان في مجلس أمنـائهـا أكثـر من مسؤول صهيـوني)، أدق الاحصاءات الصهيونية عن الهجرة اليهودية الى فلسطين منذ سنة ١٩٣٩ حتى ١٩٤٥، مؤكـدة أن عـدد هؤلاء اليهـود المهـاجـرين ـ المهجّـريـن ـ بلغ /٦٢٥٢٣/ شخصاً.

وهـذا الاحصاء الـدقيق يمثـل دليـلاً قـاطعـاً على عـدم صحـة الادعـاء الصهيوني بمنع بريطانيا من دخول اليهود الى فلسطين.

من جهة أخرى، يؤكد كتاب «من هم الارهابيون؟» (الذي أصدرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة ١٩٧٣)، وكذلك كتـاب «قطار المـوت» (لمؤلفه خالـد عايـد، وقد طبـع في بيروت سنـة ١٩٨٤) أن ضابط الهـاغانـاه المدعو «مونيا ماردور» هو الذي وضع بنفسه اللغم الذي فجّر السفينة باتريا».

على ضـوء ذلك، يمكننـا تلخيص السيـاسـة الصهيـونيـة نحـو الهجـرة اليهودية على النحو التالي:

١ ـ انتقـاء الشبـاب اليهـود القـادر على حمـل السـلاح واقنـاعهم بـالهـدف الصهيوني.

٢ ـ التـركيـز على هجـرة الاطفـال وهـو هـدف في ظـاهـره إنســاني، ولكن الصهيونية هدفت من وراء ذلك الى تربية هؤلاء الاطفال تربيـة صهيونيـة محضـة حتى يشبّوا صـالحين عسكريـاً ومعنويـاً ومستعـدين للدفـاع عن الهـدف الصهيوني، تمـامـاً كمـا كـان حـال «الانكشـاريـة» في الـدولـة العثمانية.

٣ ـ لم تركز الصهيـونية في مسعـاها لجلب المهـاجرين من اوروبـا، وسلّمت

بصعوبة الظروف التي تحدّ من هذه الهجرة في نهاية عام ١٩٤١ بعد اغلاق نهر الدانوب على يد النازيين، وبعد أن بدأ النازيون بتغيير سياستهم نحو الصهيونية، والتفتت الى يهود البلاد العربية في نهاية عام ١٩٤١ وحثّ من تراه مناسباً منهم على الهجرة الى فلسطين؛ ولم تحقق الصهيونية بعض النتائج المرجوّة في هذا الميدان الجديد الا في خريف عام ١٩٤٢.

٤ ـ لجأت القيادة الصهيونية رغم تسليمها بعدم قدرتها على جلب اليهود الى فلسطين، ورغم كل الامكانات المتاحة لهم، الى افتعال حملة دعائية حول الهجرة، لا من أجل الهجرة نفسها، ولكن من أجل الغرض السياسي الذي كانت تسعى إليه الصهيونية وهو تأسيس جيش يهودي، في خطوة تسبق إعلان الدولة اليهودية.

٥ ـ لجأت القيادة الصهيونية الى استخدام الضغوط المختلفة وتزييف الحقائق من أجل إجبار الشباب اليهود الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين.

٦ ـ لم تلتفت القيادة الصهيونية الى أمر قبول اليهود كلاجئين في البلاد التي سمحت لهم بذلك أثناء الحرب، ورفضت هذا الموقف الانساني وأصرّت على هجرة اليهود الذين تريدهم هي الى فلسطين فقط. أما ما تبقّى من اليهود فكانوا مادة طيّبة للدعاية الصهيونية تستغلها في كسب عطف الشعوب وتأييد الحكام، لأن ذلك أكثر خدمة ونفعاً للهدف الصهيوني من إنقاذ اليهود أنفسهم.

ألم يقل بن غوريون بعد قيام دولة الاحتلال الصهيوني عام ١٩٤٨، «أن اليهود أينما كانوا، هم اسرائيليون بالقوة»؟.

وهكذا يبقى حادث سفينة «باتريا» «شاهد عيان» على نازية الحركة الصهيونية وفاشيتها، مع أن هتلر وموسوليني يريا نفسيهما مقصّرين وهزيلين أمام الصهاينة في فلسطين العربية، ولو كانا استاذين لهم في هذه الأفعال والممارسات.

المراجع

١ ـ د. عبد الرحيم احمد حسين «النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٤. ص ١٠٠ ـ ١٠٧.

٢ ـ «من هم الارهابيون؟» منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٣. ص ١٢ ـ ١٣.

٣ ـ خالد عايد «قطار الموت؛ معركة بيروت في سياق الارهاب والتوسع الصهيوني». دار الشرق الأوسط. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٤. ص ٤٤ ـ ٤٥.

٤ ـ John Robert and Hadawi Sami «The Palestine Diary» PRC, Beirut, 1970. p. 60 and 338.

٥ ـ «Encyclopedia of Zionism, and Israel», Edited By R. Patai. Herzl press, Mcgraw Hill, Newyork , 1971. P. 537.

٦ ـ عصام السبع «الارهاب الصهيوني خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨». جامعة القاهرة ١٩٧٩ (رسالة ماجستير).

٧ ـ جون وداڤيد كيمشي «الدروب السرّية» منشورات «فلسطين المحتلة». مطابع الكرمل الحديثة. بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١ ص ٥١ ـ ٥٢.

مؤامـرة تقسيم فلسطين
والمهزلة الدولية

احتلت قضية فلسطين ـ ولا تزال ـ موقع القلب في الجسم العربي على امتداد مراحل أزماتهـا المتلاحقـة. وقد احتـار الغزاة والمستعمـرون في ابتكار الطرق والوسائل التي تكفـل ديمومـة تحكّمهم في المنطقـة العربيـة، والعمل بكل الجهود والامكانات لتجزئة الأرض والشعب وتفتيت الـوحدة التي تشكـل خطراً كبيراً على الامبراطوريات الاستعمارية، وتلافيـاً لانهيارهـا كما انهـارت امبراطوريات الاغريق والرومان من قبل . . .

لقـد أدرك الاستعمار في وقت مبكـر، أننا أبنـاء الأمـة العـربيـة، نمثـل أعضاء في جسد واحد هو الشعب العربي والأمة العربية، وكلنا شرايين لقضية مصيرية ومركزية واحدة هي قضية الشعب العربي في فلسـطين. ولا يمكن أن ينقلب الـدم الى مـاء في زمن المحن والكـوارث، وفي عصـر ارتيـاد الفضـاء الخـارجي. وبقدر مـا تكون أعضـاء الجسم سليمة، بقـدر مـا يكـون الجسم معافى. والويل لجسد تغلغل فيه سـرطان الـدماغ والـدم. وقد مثلت الحـركة الصهيونية، في الواقع، أخطر أنواع الاستعمار على أمتنا ووطننـا. وقد شبّههـا الامير شكيب ارسلان «باللص وقاطع الطريق»، ومن هـذا المنطلق، وقبـل ان يلفظ انفـاسـه الأخيـرة على فـراش المـوت في عـام ١٩٤٦، سلّم لعبـدالله المشنوق وصيته الكبيرة قائلاً: «اوصيكم بفلسطين».

ولم يمض عـام واحد على غيـابه، حتى صـدر «القرار ـ المؤامـرة» في سنة ١٩٤٧، عن هيئة الأمم المتحدة والقاضي بتقسيم فلسطين.

فكيف كان ذلك؟ وما هي أسرار هذه الصفقة؟.

ففي ٢٨ ابريل ١٩٤٧، عقدت الجمعية العمومية جلسة خاصة في نيويورك لبحث قضية فلسطين... وتقرر على أثرها تأليف لجنة للتحقيق بالقضية الفلسطينية، على ان ترفع تقريرها الى اللجنة الرسمية الثانية في الجمعية العمومية في مدة أقصاها شهر أيلول/سبتمبر ١٩٤٧.

وهكذا تألفت لجنة التحقيق من إحدى عشرة دولة صغرى هي: استراليا/ كندا/ تشيكوسلوفاكيا/ غواتيمالا/ الهند/ ايران/ هولندا/ بيرو/ السويد/ الأورغواي/ ويوغوسلافيا/ كما عين القاضي السويدي اميل ساندستروم رئيساً لها.

ومنذ الساعات الأولى التي أعلنت فيها أسماء أعضاء اللجنة بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الأعضاء.. كما راحت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهود والمساعي خلال اجتماعات الجمعية العمومية لكسب التأييد والمساعدة لقضية الصهيونية.

وبعد اجتماعات عديدة عقدتها اللجنة في «ليك سكس» والقدس وبيروت وجنيف، وطوال ثلاثة أشهر متواصلة، فقد اقترحت اكثرية الأعضاء (كندا/ تشيكوسلوفاكيا/ غواتيمالا/ هولندا/ بيرو/ السويد/ الأورغواي) تقسيم فلسطين. واقترحت الأقلية المؤلفة من الهند/ وإيران/ ويوغوسلافيا إقامة دولة واحدة على نظام فيدرالي، بينما لم تؤيد استراليا أحد الاقتراحين.

وفي الثالث من شهر سبتمبر ١٩٤٧، كلفت هيئة الأمم لجنة فرعية لدراسة الاقتراحين المقدمين من الأكثرية والأقلية، وقد تشكلت هذه اللجنة الجديدة من جميع أعضاء هيئة الأمم وانتخبت وزير خارجية استراليا رئيساً لها.

وعقدت اللجنة الجديدة ٣٤ اجتماعاً ما بين ٢٥ سبتمبر و ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧، وقد تولى مهمة الدفاع عن اقتراح الأكثرية القاضي بالتقسيم

«غراسيا غرانادوس» مندوب غواتيمالا، و«رودريكز فابرغات» مندوب الأورغواي. وقد كان دفاع هذا الأخير واندفاعه في تأييد وجهة نظر الصهيونيين موضع دهشة وتساؤل في أروقة الأمم المتحدة.

ولم ينس الصهيونيون جميل هذين المندوبين فأطلقا اسميهما على شارعين من شوارع «اسرائيل»، اعترافاً بفضلهما على القضية الصهيونية، وتشجيعاً لغيرهما.

وبعد مناورات برلمانية في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ طرح القرار على التصويت، فأقر بأكثرية ٣٤ صوتا وامتناع ١٠ عن التصويت وتغيّب مندوب واحد. وقد كان موقف ليبيريا وهايتي والفيليبين مدعاة للدهشة والاستغراب؛ إذ أنهم أيدوا المشروع، بينما كانوا قد أعلنوا قبل ٢٤ ساعة فقط من موعد الاقتراع أنهم سيعارضون قرار التقسيم.

وعندما أعلنت النتيجة صاح حاخام يهودي حضر الجلسة بحماس: «هذا هو اليوم الذي وعدنا به الرب... فلنفرح به....».

وهنا لابد من الإشارة الى ما رواه الأمير عادل ارسلان/ شقيق الامير شكيب/ حول كيفية كسب اسرائيل الأصوات التي أيّدت مشروع التقسيم في هيئة الأمم المتحدة، وكان المفروض أن تبلغ هذه الأصوات ثلثي اعضاء الهيئة. فقد كان ممثلوا الدول العربية مطمئنين الى تأييد ثماني عشرة دولة من الأمم المتحدة بحيث يستحيل مشروع التقسيم ان يحظى بأغلبية الثلثين المطلوبة.

وكان الصهيونيون ومن ورائهم أميركا يدركون هذا الأمر، ويعرفون أن لا مناص لهم من زحزحة بعض مؤيدي العرب عن موقفهم وحملهم بشتى الطرق والوسائل للتصويت على مشروع التقسيم. وبالفعل تمكنوا بمناوراتهم واتصالاتهم الواسعة ووسائلهم المغرية من حمل مندوبي هايتي وليبيريا وسيام للتصويت على المشروع، بعد ان كان هؤلاء قد صرحوا أنهم سيقفون عند التصويت الى جانب الدول العربية لوجاهة قضيتها وعدالتها. وقد فوجىء

المندوبون العرب في جلسة الاقتراع التاريخية عندما وقف مندوب هايتي وقال والدمع في عينيه، انه ما يزال شخصياً عند رأيه الخاص في معارضة مشروع التقسيم، ولكنه بصفته ممثلاً لحكومة هايتي، لا يسعه إلا أن ينزل عند أوامرها بالموافقة على المشروع. وتفصيل هذا التغيّر المفاجىء هو ان «موشيه شاريت» (رئيس الوزراء الصهيوني لاحقاً) قصد قبل جلسة الاقتراع الى الفندق الذي كان ينزل فيه مندوب هايتي، واتفق انه في تلك اللحظة كان يستقبل احد العرب الفلسطينيين وهو «السيد عوني الدجاني» الذي جاء يشكره على موقفه من قضية فلسطين، ودخل شاريت دون أن يأبه لعوني الدجاني، فقد ظنّه سكرتيراً لمندوب هايتي. ثم بدأ الكلام عارضاً مبلغ اربعين الف دولار على المندوب لقاء تأييده للمشروع. فرفض مندوب هايتي العرض بأباء. واغلظ القول لشاريت الذي انسحب وهو يردّد: «سوف تندم وسترى ان حكومتك ستؤيد المشروع». وهذا ما حدث بالفعل. إذ تمكنت الصهيونية العالمية من اقناع حكومة هايتي بوسائلها الخاصة بتأييد المشروع. وكان ان ارسلت الحكومة الى مندوبها التعليمات بتأييد مشروع التقسيم. وهكذا وقف مندوب هايتي بعد ساعات يصوّت للتقسيم وهو يبكي.

أما قضية سيام فشهيرة... فعندما أيقنت الصهيونية ان المندوب السيامي سيقف عند التصويت الى جانب الدول العربية، عمدت الى تمرير مؤامرة محبوكة الاطراف لإبعاد هذا المندوب عن التصويت.

وتفاصيل القضية ان سيام كانت قد تعرضت وقتذاك الى انقلاب سياسي في بلادها اطاح بالحكام المسؤولين فيها، وجاء بغيرهم. ولما كان الصهيونيون قد يئسوا من ممثلي سيام، فقد استغلوا هذا الانقلاب وتمكنوا بمكرهم ودسائسهم من ان يوهموا رجال الانقلاب في سيام ان مندوبي سيام في هيئة الامم لا يؤيدون الانقلاب وأنهم يتآمرون على رجاله. وقد اسفرت هذه الدسائس عن سحب جميع أفراد البعثة السيامية واستبدالهم بأشخاص أيدوا التقسيم يوم الاقتراع.

وأما ليبيريا فقد خسر العرب صوتها بسبب ثروة المطاط الموجودة فيها.

اذ أن من يشتري هذا المطاط الذي يشكل مورد البلاد الرئيسي هو شركة «فايرستون» العالمية. وبواسطة هذه الشركة أمكن للصهيونيين أن يؤثروا على حكومة ليبيريا وأن يكسبوا صوتها لتأييد مشروع التقسيم..

ولقد كانت هناك طريقة فذّة لمقاومة الدسائس الصهيونية، وهي طريقة اقرار الاقتراع السري في التصويت، وقد اقترح هذه الفكرة بالفعل، الامير عادل أرسلان وكميل شمعون. ولكن رؤي في آخر الأمر صرف النظر عنها، لأن الكتلة العربية كانت تعتقد أن مشروع التقسيم لن ينال أكثرية الثلثين المطلوبة...

ويؤكد الدبلوماسي الاميركي «ألفريد ليلنتال»، مستشار وفد أميركا في مؤتمر سان فرانسيسكو لهيئة الأمم، صحة ما ذكره الامير عادل أرسلان، فيقول بنوع من التفصيل الدقيق بأن دعاة الصهيونية كانوا يتقدمون بجرأة الى مفوضيات دول أجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الاغراء. وقد كان في طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير: القاضي «جوزف بروسكاوير» رئيس اللجنة الاميركية اليهودية، والاقتصادي «روبرت ناثان» و«داڤيد نايلز» مستشار البيت الأبيض لشؤون الاقليات... وقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الأجنبية أو ممثليها بوصفهم مجرد «مواطنين أميركيين» وكانوا، على ما يبدو، رجالاً أذكياء يعرفون من أين تؤكل الكتف..

حتى السيدة اليانور روزفلت بذلت الجهود الجبارة، واستعانت بأصدقائها ونفوذها للضغط على عدد من مندوبي الدول الأجنبية، كما كانت تلح باستمرار على خليفة زوجها هاري ترومان لأن يمارس ضغطه على موظفي نظارة الخارجية. كذلك قام «برنارد باروخ» بمساعٍ مع فرنسا المستفيدة من مساعدات مشروع مارشال. كما أن عدة شخصيات أميركية متنفذة اتصلت بمندوبين آخرين أمثال مندوبي هايتي والحبشة والفيليبين، والباراغواي، واللوكسمبورغ وضغطت عليهم لتأييد قرار التقسيم..

وقد أشار الصحفي «دروبيرسون» وهو صديق قديم للصهيونية الى

المخابرة الهاتفية التي جرت بين «أدولف بيرل» المستشار الرسمي لحكومة هايتي ورئيس جمهوريتها، والتي أسفرت عن تأييد مندوبها لقرار التقسيم. وكذلك تحدث عن الاتصالات التي جرت بين «هارفي فيرستون» صاحب مزارع المطاط الشاسعة في ليبيريا وبين حكومة ليبيريا، والتي انتهت بأن وقفت هذه الأخيرة الى جانب التقسيم..

وفي أثناء مأدبة غداء أقيمت في اليوم الأول من ديسمبر ١٩٤٧، قال «روبرت لوفيت» سكرتير نظارة الخارجية بصراحة، ما نصه بالحرف الواحد: «انني ما تعرضت في حياتي أبداً الى مثل الضغط والاغراء اللذين تعرضت لهما خلال الأيام الثلاثة التي سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية». ولقد كان في مقدمة الذين اتصلوا بـ «لوفيت» وضغطوا عليه «هربرت بايارد سواب» و«روبرت ناثان». واستناداً الى أقوال «لوفيت» نفسه، ثبت أن شركة «فايرستون» للمطاط استغلت نفوذها في ليبيريا للضغط على حكومتها مباشرة لقبول القرار..

أما المهزلة الكبرى... فهي التي جرت لكسب الفيليبين الى جانب التقسيم. فقد غادر الجنرال «رومولو» الولايات المتحدة بعد أن أعلن معارضته الشديدة للقرار. وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفيليبين برئيس الجمهورية روكساس هاتفياً، وأنبأه بالضغط الشديد الذي تعرض له «رومولو» وأعضاء الوفد، ثم أبدى وجهة نظره وهي تقضي بضرورة تأييد قرار التقسيم، لا سيما وأن حكومة الولايات المتحدة ووفدها في هيئة الأمم مصمّمان على أقرار المشروع. وأبلغ السفير الفيليبيني رئيسه أن مصلحة الفيليبين هي في تأييد الولايات المتحدة في موقفها.. وكان أن وافق رئيس جمهورية الفيليبين على وجهة نظر السفير..

وفي هذه الأثناء تلقى الرئيس روكساس أيضاً برقية موقّعة من سبعة وعشرين شخصية أميركية من أنصار الصهيونية، في مقدمتهم عضو الكونغرس الاميركي «روبرت داكز»، وفيها يطلبون بإلحاح تأييد مشروع التقسيم، ويذكرون المسؤولين في الفيليبين بالفوائد التي ستجنيها الجزيرة من جراء هذا

الموقف.

وهذه البرقية نفسها كانت قد أرسلت الى اثني عشر مندوباً من مندوبي الدول في هيئة الأمم. وكان من نتيجتها أن أربعة منهم انقلبوا الى تأييد المشروع بعد أن كانوا معارضين له. كما تحوّل سبعة مندوبين من المعارضة الى الامتناع عن التصويت..

وكانت اليونان الدولة الوحيدة التي احتفظت بموقفها المعارض، على الرغم من الاغراء والضغط اللذين تعرض لهما وفدها في أروقة الأمم المتحدة..

ومما يستلفت النظر، أنه قبل أسبوع من اقرار مشروع التقسيم زار وايزمن الرئيس الاميركي هاري ترومان. وكان هدف هذه الزيارة تدعيم وضع الصهيونية، والتأكيد من أن خليج العقبة سيكون ضمن الأراضي التي ستشكل «الدولة الصهيونية».

كما أن اتصالات عديدة جرت بين البيت الأبيض والزعماء الصهيونيين عن طريق «داڤيد نايلز» و«ادوارد جاكيسون» شريك ترومان القديم في عمله التجاري بمدينة كنساس، الذي أدى للصهيونية خدمات جلّى مستغلاً صداقته المتينة بالرئيس الاميركي..

والحقيقة أن اقرار مشروع تقسيم فلسطين لم يمر بهذه البساطة في فلسطين، حيث سقط مئات القتلى والجرحى في الاشتباكات بين العرب والصهاينة، فيما كان البريطانيون على وشك الرحيل وجلاء قواتهم عن فلسطين. وقد أعلن حاييم وايزمن قبل أيام معدودة من هذا الرحيل قائلاً: «لقد تمكنت من توطيد علاقاتنا بأصدقائنا في واشنطن، وتأكدت أنه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن انشائها»...

وفي ١٣ مايو ١٩٤٨ كتب رسالة خاصة الى ترومان يطلب فيها: «أن تعترف الولايات المتحدة حالاً بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة»...

وفي الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) من يوم ١٤ مايو ١٩٤٨، أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين. .

وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة أعلن قيام «دولة اسرائيل» الجديدة. .

وفي الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة تم اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجديدة، حيث دعا «تشارلز روس» الملحق الصحفي في البيت الأبيض، رجال الصحافة الى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل اعترافاً واقعياً. .

وهكذا كانت الولايات المتحدة أول دولة اعترفت بالكيان الصهيوني، حيث جن جنون غواتيمالا التي كانت تريد أن تكون السبّاقة في هذا المضمار. .

ولابد أخيراً من القول، بأن فلسطين كانت غصّة وحرقة ووصيّة عند الامير شكيب أرسلان. وقد عاش الكثير من مراراتها وعذاباتها أخوه الامير عادل أرسلان، وما زلنا نحن، أبناء الأمة العربية نجرع كأسها المرة صباح كل يوم، ونتنفسها مع كل عملية شهيق، لأنها من أقدس القضايا في تاريخ القرن العشرين، ومن أعظم الأمانات في أعناق جيلنا الحاضر والمستقبل. ولأنها أولاً وقبل كل شيء هي الأبجدية في مدرسة فرسان السيف والقلم والكلمة، ونحن في هذه المدرسة طلاب علم وثقافة ومبادىء. .

وما من أعصار الا ويعقبه الهدوء والسكون. . وما من ليل الا وينقشع عن الفجر الصافي. . وآخر الليل نهار كما يقول الشاعر العربي الفلسطيني محمود درويش. .

المراجع

١ ـ أحمد الشرباصي «الأمير شكيب ارسلان داعية العرب والاسلام». منشورات دار الجيل. بيروت.

٢ ـ حبيب نحولي «مقدمة لم تتم» كتاب «ثمن اسرائيل» للكاتب الأميركي الفريد ليلنتال. مطابع دار الكشاف. بيروت. الطبعة الأولى فبراير ١٩٥٤. ص أ ـ د.

٣ ـ الفريد ليلنتال «ثمن اسرائيل» ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري. مطابع دار الكشاف. بيروت. ط ١. شباط/فبراير ١٩٥٤. ص ٥٣ ـ ٩٧.

٤ ـ عبد القادر ياسين «أميركا والمسألة الفلسطينية». مجلة «الكاتب» (مجلة المثقفين العرب ـ تصدر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) السنة الحادية عشرة. العدد ١٢٦. سبتمبر/ أيلول ١٩٧١. ص ٣٧ ـ ٤٧.

الاخطبوط الصهيوني

واسرار عملية اغتيال الوسيط الدولي «الكونت فولك برنادوت»

من عشّشت في دمائه، العنصرية، لن يتنفس الا الجريمة والدم. وليس هناك أعرق وأخبر من الصهاينة بممارستهم لهذا الأسلوب في القرن العشرين. وقد برع بينهم قيادات في الاجرام والمذابح يخجل من ذكرهم هتلر وموسوليني، والذين هم أساتذتهم في هذا الفن الدموي..

وفي الوقت الذي نتعمق فيه بشعاراتهم «المقدّسة» فإننا نلمس واضحاً بأن الشرايين التي تخيط أجسادهم لا تنبض الا بدم الحقد والاجرام والعنصرية؛ والعالم لا يشفق على المذبوحين.. لكنه يحترم المحاربين..، تلك هي العبارة التي تلخص كل رؤيا «قادة الاجرام» الصهاينة التي ترجمها الارهابي العريق «مناحيم بيغن» منذ أن تعرّف على الفيلسوف الصنهيوني المتطرف «فلاديمير جابوتنسكي»، الى سلسلة طويلة من القتل.. «والتبشير» بالقتل. هذا ويعترف «بيغن» أن طائراً توراتياً أوحى له بتشكيل عصابة «الأرغون» الارهابية الشهيرة.. وأن النبي داوود حرّضه على نسف الفندق الذي يحمل اسمه في القدس.. وقرر ذات يوم أن يقتل «بن غوريون»، ثم راح يشنق الجنود البريطانيين ويغني لزهرة البرتقال.

هذه هي نماذج الارهاب العنصري الصهيوني، وبتعبير أوضح، هذه هي الجريمة التي تمشي على الأقدام.. والتي ستعود من جديد الى «لائحة الشرف» في الشرق الأوسط..

وكمـا اشتهر هتلر النـازي بعباراتـه وكلماتـه الناريـة التي حواهـا كتـابـه «كفاحي» وأشعلت من جرائها الحرب العالمية الثانية، فكذلك الحـال بالنسبـة لمنـاحيم بيغن، الـذي قـدم من مـدينـة «بـريست ليتـوفسـك» الـروسيـة الى فلسـطين، لكي يحوّل أرضهـا، كما يقـول في كتابـه «التجـربـة والأمـل» الى «امبراطورية تتفجر عسـلاً. . . وبطولـة». كان تلميـذاً شديـد التعصب للمنظّر المتـطرف «فلاديمير جابـوتنسكي» الذي اشتهـر بعباراتـه التحريضيـة الصلبـة «السيـاسة هي فن القـوة. .». «وعندمـا تضرب الفـولاذ بمطرقـة فإن الجميـع يتهيّبـون صـوت الـدويّ، وعنـدمـا تستعمـل القفـاز فـإن أحــداً لا ينتبـه الى وجـودك». . «إن الأحذيـة الثقيلة هي التي تصنـع التـاريـخ» هـذه الشعـارات اجتذبت «مناحيم بيغن» الى حدّ قوله في الكتاب نفسه: «كان إنكار أو حتى تجاهل أفكار جابوتنسكي يعني الخيانة. إذ لم يكن من الممكن أن نستمر في المسيرة حفاة فيما يكتظ التاريخ بالتضاريس المدبّبة». .

كان «بيغن» يحلم منذ طفولته أن يصبح حاخاما، لكي تصبـح «القلنسوة الحاخامية» هي الحل. إلا أن التطلعات الحاخامية السلمية لم تدم طويلاً، حيث تعرف الى «فلاديمير جابوتنسكي» وأعجب به اعجـاباً شديداً، الى الحـد الذي دفعـه الى القول في «التجـربة والأمـل»: «في هـذه اللحـظة رفـع الستـار عن الفصل الحقيقي من حياتي. . كان علينا أن نستعمل أسناننا لا كلماتنا، في جلد التاريخ»، والتاريخ كان في نظره، على ما يبدو، «الشعب الفلسطيني». .

ففي مقـال كتبـه عـام ١٩٤٤ وكـان للتوّقـد أسس عصـابـة «الارغـون» الارهـابية قـال: «من العبث القول بـالمشاركـة والتعايش. . . إن هنـاك حقيقة جـوهريـة لا يمكننا التخلي عنهـا، لأن في ذلك التخلي عن أنفسنـا، وهي أن هذه الأرض هي أرضنا، وواجبنا أن نقضي على الاغتصاب الذي سادهـا رغماً عنا». .

وهكـذا انقلبت المقاييس، وتحـول المجرم الى قـاضٍ، بينمـا أصبـح القاضي في موقع المجرمين واللصوص. . تلك هي القوة بغير حق، وذلك هو

الحق بغير القوة. ولم يكن «دافيد بن غوريون» أقل تصلباً من «بيغن». ففي اجتماع عقد بين الرجلين في ١١ يوليو ١٩٤٦، عرض «بيغن» برنامجاً للقتل أطلق عليه اسم «برنامج التحرير». وهو يقوم على أساس شن غارات صاعقة وواسعة النطاق على عدد من المجتمعات العربية يتم خلالها قتل أكبر عدد ممكن من العرب، يدفع العرب الآخرين الى الهجرة القسرية عبر الحدود..

وعلى هذا الأساس، كانت مجزرة دير ياسين «وكفر قاسم» «وقبية» «والقسطل» وغيرها. ولم يكن ذلك الا من خلال فلسفة «جابوتنسكي» التي يقول عنها «بيغن» بأنها كانت هي السائدة في منظمة «الارغون». الا أنه استعان أيضاً ببعض الجوانب الخلاقة في فلسفة «تيودور هرتزل» الذي كان يعتبر أن الانسان هو «مخلوق سطحي ساذج لا عقل له، يخضع لإرادة العباقرة ويضحي بنفسه من أجل الرموز والطلاسم.. وهو حيوان خال من البراءة».

وقد طبّق «بيغن» الفهم الهرتزلي للإنسان في عملية التشكيل النفسي لأعضاء «الارغون». ويقول «هارون بليدي»، أحد الارهابيين الكبار في هذه المنظمة (انتحَر في عام ١٩٥٩ لأسباب لم يعلن عنها، والمرجح أنه اغتيل)، إن بيغن يتعامل مع (الارغونيين) وكأنه نبي حقيقي.. فعندما أمر بتفجير «فندق الملك داوود» في القدس، كان يشغل باله هاجس واحد هو: كيف ينسف فندقاً يحمل اسم نبي يهودي؟ ويقول «بليدي» أن أثاراً مرضية ظهرت على وجه بيغن الى أن جاء ذات يوم وقد سطع فوق وجهه شعاع غريب، وراح يردّد: «لقد شاهدت الملك داوود هذه الليلة وقال لي: لا تتردد في صنع مجد اسرائيل. إن اسمي لا يعرف الطمأنينة الا اذا كانت قلوبكم مطمئنة». وكانت هذه كلمة السر التي جعلت «فندق الملك داوود» ينهار بعد أقل من أربع ساعات فوق مئة نزيل من ضباط وجنود الانتداب البريطاني. لقد كان بيغن حقاً يمتلك نزعة للقتل والتمثيل بالجثث، قلما تميّزت بها أعصاب مجرم قبله.. وكان الى جانبه «نخبة» من محترفي هذا الفن والذين برعوا في ممارسته ليس على صعيد العرب فحسب، ولا ضد البريطانيين، أولياء نعمتهم

فقط، بل طاول اليهود أيضاً في أكثر من بلد لارغامهم على الهجرة الى اسرائيل. . . كما أن «بيغن» ورفاقه هم الذين نظموا عمليات التفجير والاغتيالات ضد يهود العراق لدفعهم الى الهجرة الى «أرض الميعاد». وكذلك ضد سفن عديدة ومن بينها سفينة «باتريا» التي كانت تقل المئات من المهاجرين، وأعلن عن حوادثها فيما بعد بأنها عمليات «انتحار جماعي»، في الوقت الذي أظهره التحقيق أن أعضاء منظمة «الاراغون» هم الذين نفذوا هذه العمليات لإثارة الرأي العام ضد بريطانيا وللتحريض على الغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية الى فلسطين..

هذا وتمثل عملية اغتيال الوسيط الدولي في فلسطين «الكونت فولك برنادوت» قمة الارهاب الصهيوني، مؤكدة في الوقت نفسه سخف الادعاءات القائلة «بالحصانة الدولية» على أي مسؤول مهما كانت مرتبته وأهميته، وليس هناك من حصانة ـ بنظر الصهاينة ـ الا الحصانة الصهيونية فقط دون غيرها.

فمن هو «الكونت برنادوت»؟ وما هي أسرار عملية اغتياله؟.

ولد الكونت «فولك برنادوت اوف فيسبورغ» في العاصمة السويدية، ستوكهولم، عام ١٨٩٥. وهو ضابط سويدي يمت بصلة القرابة الى غوستاف الخامس. كان يتمتع بثقافة عالية وشخصية دبلوماسية محترمة. ترأس الكونت برنادوت الصليب الأحمر السويدي؛ ونقل في العام ١٩٤٥ طلب المانيا بالاستسلام الذي رفضه الحلفاء وأصروا على استسلام دول المحور دون قيد أو شرط. وعند نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين عين برنادوت في ٢١ مايو ١٩٤٨ كوسيط دولي. ولقد أبلغه «تريغفي لي» سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة أن صلاحياته تتلخص في النقاط التالية:

أ ـ اتخاذ جميع الوسائل التي تضمن سلامة السكان وصيانة الأماكن المقدسة والسعي لإحلال السلم بين العرب واليهود في فلسطين.

ب ـ التعاون مع لجنة الهدنة التي عينها مجلس الأمن في قراره الصادر بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٣.

ج ـ التعاون مع جميع فروع هيئة الأمم الأخرى كالمنظمة الصحية من أجل تأمين مصالح السكان. .

ويذكر «برنادوت» في مذكراته «أنه لم يكن مقيداً بقرار التقسيم الذي أصدرته هيئة الأمم المتحدة في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧.

ولقد وصل برنادوت الى فلسطين فور تكليفه، وأخذ يتنقل بين تل أبيب والدول العربية برفقة عدد من المراقبين الدوليين الموضوعين تحت تصرفه. وكان يبذل جهوده بحياء لتخفيف حدة التوتر، وإنهاء حالة النزاع. ولكنه استقبل من العرب والاسرائيليين بكثير من الحذر. فلقد رأى العرب أنه وسيلة من وسائل الأمم المتحدة لتحقيق التقسيم بالقوة، واعتبره الاسرائيليون صنيعة واشنطن ولندن للحيلولة دون توسعاتهم. بيد أنه كتب في مذكراته بأنه كان ينعم بثقة العرب، وأن الاسرائيليين كانوا يناوئونه بشدة. .

وفي ١٩٤٨/٦/٢٧ اقترح «برنادوت» على العرب والاسرائيليين، في اجتماعات منفردة، مقترحات أولية لبحث المفاوضات، خلاصتها: تقسيم فلسطين وشرق الأردن الى وحدتين عربية ويهودية، وتحديد حدودهما من قبل لجنة فنية، ودخول هاتين الوحدتين في اتحاد يشرف على شؤونه مجلس مركزي وعدد من المجالس الأخرى، مع اعطاء الحرية بالهجرة الى كل وحدة لمدة سنتين، تحدد الهجرة بعدهما. وفي حالة تعذر حل المعضلات داخل مجلس الاتحاد المركزي يجوز لأي فريق أن يرفع الأمر الى هيئة الأمم المتحدة. ولقد نصت المقترحات على حرية العبادة وحقوق الاقليات والحفاظ على الأماكن المقدسة وحق العودة للذين تركوا البلاد بسبب الحرب. .

وكان من مقترحات «برنادوت» تعديل قرار التقسيم (٢٩ /١٩٤٧/١١) عن طريق: ضم النقب كله أو بعضه الى العرب، وضم الجليل الغربي كله أو بعضه الى اليهود، وضم مدينة القدس الى العرب، مع اعطاء اليهود حرية العمل بشؤون البلدية وضمان الوصول الى الأماكن المقدسة، وإعادة النظر

في وضع يافا، وإقامة منطقة حرة في ميناء حيفا تضم مصافي البترول، وإقامة منطقة طيران حرة في اللد. .

ورفض العرب والاسرائيليون هذه المقترحات. وكان الموقف الاسرائيلي مشوباً بالحقد المكشوف على الوسيط الدولي، وخصوصاً على اقتراحه المتعلق بالقدس. وأمام هذا الرفض، تقدم «برنادوت» في ٥ يوليو ١٩٤٨ بمقترحات معدّلة تتضمن: مدّ أجل الهدنة، وتجريد منطقة القدس من السلاح، وتجريد منطقة مصافي الزيت في حيفا من السلاح. وكان رد العرب والاسرائيليين على هذه النقاط مطاطاً وغير واضح، الا فيما يتعلق بالهدنة التي رأى الطرفان أن من الممكن تمديدها. .

وفي ١٣ /٨/ ١٩٤٨، سافر برنادوت الى ستوكهولم لحضور المؤتمر السابع عشر للصليب الأحمر. وعقد هناك مؤتمراً صحفياً بيّن فيه تأثره لحالة اللاجئين العرب التي تتطلب سرعة الانقاذ. وكان الكونت برنادوت خلال المؤتمر محروساً بشخصين نظراً لورود معلومات تؤكد أن هناك مؤامرة لاغتياله. وفي ٣١ أغسطس عاد الوسيط الدولي من دمشق الى القدس جواً. وتوجه الى مشارف الرملة ليتباحث مع العميد «نورمان لاش» القائد البريطاني في الفيلق الأردني المتمركز حول القدس. ثم عاد الى القدس، وعندما وصلت سيارته الى مقربة من جبل المكبر (سكوبس) أطلقت باتجاهه طلقة جاءت من ناحية الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، فأصيبت عجلة السيارة الخلفية، ولكنه استمر في سيره، وتابع مهمته دون أن يحيط نفسه بحراسة أو يركب سيارة مصفحة، لاعتقاده بأنه ليس هناك من يجرؤ على قتل انسان ورع مثله، وممثل للأمم المتحدة، ويرتدي شارة الصليب الأحمر الدولي. .

وفي يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨، قام برنادوت بزيارة تفقدية لمنطقة القدس. وكان يركب سيارة للأمم المتحدة ومعه سيارتان من سيارات الصليب الأحمر. وعندما وصل الرتل الى سفح «تل الخطيئة» أوقف السيارات الثلاث ستة رجال يجلسون على عربة جيب من عربات الجيش الاسرائيلي، وقفز من العربة

رجلان مسلحان بمدفعي ستنّ، وأطلقوا النار على سيارة الوسيط الدولي، وأصاب الرصاص الكونت برنادوت، والمراقب الدولي العقيد «اندريه سيرو» الجالس الى يمينه، فقتل فوراً. وجرح برنادوت جرحاً بليغاً أدى الى وفاته بعد عدّة ساعات. ونجا الضابط السابق في البوليس الأميركي «فرانك بجلي» الذي كان يقود الالية، والرائد الاميركي «كوكس» الجالس الى جواره، والجنرال «أ. ج. لند ستروم» الذي كان يجلس الى يسار الوسيط الدولي. ولقد وجهت تهمة قتل «برنادوت» الى أعضاء من منظمة «شتيرن» الارهابية، التي انشقت عن منظمة «الاراغون» وسميت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها «ابراهام شتيرن» الا أن السلطات الاسرائيلية ميّعت الموقف، وأخفت حقيقة الجناة. وهكذا دفع «برنادوت» دمه ثمن كلمة الحق كما أملاها عليه وجدانه. كما سجل اسمه على اللائحة الصهيونية الى جانب أسماء ضحاياها الكثر، وفي مقدمتهم الرئيس الاميركي، محرر العبيد ابراهام لنكولن.

كما أضيف الى قاموس البشرية عبارة تقول: الانسانية بأجمعها مطلوبة للتصفية. فحذار يا بني البشر من أعداء البشر.. فحذار من شر هذا الاخطبوط الذي يحاول ابتلاع البشرية.. وخير ضمان لاستمرار بقاء الجنس البشري يتمثل بالقضاء على الصهيونية وحلفائها المتصهينين الصغار في كل مكان..

ولابدّ أخيراً من القول، أن من عشّش في شرايينه دم الاجرام والمجازر لن يتورع عن ممارسة الارهاب بحق ممثلي المجتمع الدولي، الذين يعارضون سفك دم الأطفال والنساء والشيوخ في مذابح بربرية كدير ياسين وكفر قاسم. ومن يذبح الأطفال والأوطان لا يمكن أن يرحم المدافعين عنهم، ولو تمتعوا بحصانة دولية. والاجرام العنصري الفاشي تسقط أمامه جميع الحواجز والفواصل، ولا مجال لإسكاته إلا باستئصال جذوره من الأساس..

المراجع

١ ـ الموسوعة العسكرية. الجزء الأول. ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

٢ ـ معين أحمد محمود «مناحيم بيغن» دار الأندلس. بيروت. ص ٥ ـ ١٠.

٣ ـ «الموسوعة السياسية» عبد الوهاب كيالي وكامل زهيري. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٧٤. ص ١١٧.

٤ ـ نجدة فتحي صفوة «رسالة الى وايزمان» مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٣٠١. كانون أول/ديسمبر١٩٨٣. ص ١٣٢.

العدوان الثلاثي على مصر
وأسرار عملية «حامل البندقية»

عندما انطلق المارد العربي «جمال عبد الناصر»، من القمقم، في ثورته العملاقة عام ١٩٥٢، ظنّت الدول الغربية، أنها قادرة على تدجينه وقولبته وفق ما تقتضيه مصلحة الامبريالية العالمية ومطامعها وأهدافها. لكن حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر. وأصيبت أوروبا الاستعمارية، وكذلك الولايات المتحدة الأميركية، بخيبة أمل، قلّ أن شهدتها في منطقة الشرق الأوسط بأكملها حتى ذلك التاريخ. وما أن استفاقت من هول الصدمة، حتى وجدت نفسها أمام سلسلة من القرارات الثورية، لم ينحصر أثرها وتأثيرها على مصر وحدها، بل تجاوزها الى مختلف أنحاء الوطن العربي، وحتى الى القارة الأفريقية أيضاً.

وكان قرار الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦، بمثابة اللكمة ـ الصاعقة على دماغ الغرب، والتي أفقدته صوابه. وكان لابد إزاء ذلك من وضع حدّ لشموخ هذا المارد وإعادته ـ بالقوة ـ الى القمقم.

وعلى هذا الأساس، كان العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦، في عملية سمّيت رمزياً «حامل البندقية».

فما هي أسرار هذه العملية؟ وماذا كانت نتائجها؟.

لم يكن العدوان الثلاثي على مصر عملاً عفوياً ومرتجلاً، ولم يتم بطريق «الصدفة» على الاطلاق. بل كان عملاً مدروساً بدقّة، ومخططاً له على أعلى المستويات.

فقد استغرق الاجتماع السرّي في فندق «ماتينيون» في باريس خمس ساعات. كان ذلك في يوم ١٦ اكتوبر من سنة ١٩٥٦؛ حيث اتخذ رئيسا وزراء بريطانيا وفرنسا أنطوني إيدن وغي موليه مع وزيري خارجيتهما سلفين لويد وكريستيان بينو، قرار البدء بالعدوان الثلاثي على مصر. أما موافقة الطرف الثالث النهائية على العملية المرتقبة - اسرائيل - فكانت قد وردت قبل يومين من ذلك، في الرسالة الشخصية التي بعث بها رئيس الوزراء الاسرائيلي داڤيد بن غوريون الى رئيس الوزراء الفرنسي.

ولم يمض سوى شهر على اعلان الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي أمّم قناة السويس، أن مرور أية سفينة عبرها من دون إذن السلطات المصرية سيعتبر انتهاكاً لسيادة البلاد. وحذّر عبد الناصر من أن «مصر ستدافع عن القناة». وأضاف: «نحن مستعدّون للكفاح من أجلها».

أما في فندق «ماتينيون» فقرروا، كما جاء قبل ذلك على لسان وزير الخارجية الأميركية «جون فوستر دالاس»، إرغام عبد الناصر على «بصق ما كان يحاول ابتلاعه». أو على الأصح، كما أعلن إيدن نفسه أثناء اجتماع البرلمان الانكليزي «يجب انتهاز هذه الفرصة لإطاحة عبد الناصر».

وكانت خطة العدوان في غاية البساطة، كما هي الحال عادة حين يعوّل المعتدي كلياً على قوة السلاح. فقد جاء في الخطة أنه بعد هجوم اسرائيل على مصر في منطقة شبه جزيرة سيناء، يجب على بريطانيا وفرنسا أن تتدخلا في النزاع بحجّة وقف العمليات الحربية بغية إقرار السلام.

كلا، لم ينس المشتركون في الاجتماع قط أن ثمة في العالم هيئة الأمم المتحدة وميثاقها، والولايات المتحدة ومطامعها العالمية، والاتحاد السوفياتي وسعيه الدائم لدعم ضحايا العدوان. بل على العكس، لقد وضعوا في الاعتبار، وهم يتخذون القرار، كل ما كان في امكانه أن يعرقل تحقيق مخططاتهم.

فقد سلّموا مثلاً بأن هيئة الأمم المتحدة يمكنها استنكار العدوان،

ولكنها ريثما تشرع في اتخاذ إجراء ما، تكون العمليات الحربية قد انتهت. وعندئذ. . . فلتتخذ «توصياتها» كما يحلو لها. وفي ما يتعلق بالولايات المتحدة فإنها، كما أكد إيدن، ستؤيد حلفاءها، إلا أنها ستظهر طبعاً «مزاجها السيء»، ولكنها مع ذلك لن تكون حجر عثرة في طريق انكلترا وفرنسا. وكان رئيس الوزراء البريطاني يعرف ما يقول. فقبل أسبوعين من ذلك قال له وزير الخارجية الاميركية دالاس أنه لا يستبعد استخدام القوة عند الضرورة القصوى.

ولقد ساعدت الولايات المتحدة العدوان مساعدة مباشرة حين ألغت في العام ١٩٥٦ الحظر الذي فرضته على إرسال الأسلحة الى الشرق الأوسط، الأمر الذي كان يعني عملياً رفع الحظر المفروض على إرسال السلاح الى اسرائيل. وكتبت صحيفة «واشنطن ايفننغ ستار» في هذا الصدد: «إن الجيش الاسرائيلي الجيد التسليح سوف يكون عوناً قيماً للقوات الانكليزية والفرنسية في حال قيامها بهجوم على مصر».

وماذا عن الاتحاد السوفياتي؟ لقد اتكل المجتمعون في باريس، كما كتب الصحفيون الفرنسيون فيما بعد، على اعتدال الروس النسبي، وعلى أنهم «لن يرضوا بإشعال حريق عالمي من أجل التوافه». وأكد وزير الخارجية الفرنسية بينو: «أنه عملياً لن يفعل شيئاً». ووافقه الآخرون على ذلك، وأضافوا عن ادراك ودراية أنه لن يكون لدى الاتحاد السوفياتي لا الوقت ولا الامكانات من أجل التصدّي للعدوان.

لماذا؟ وعلامَ اتكل أولئك الذين حاكوا المؤامرة على مصر؟ لقد اتضح ذلك بعد أسبوع من الاجتماع السّري في فندق «ماتينيون» الذي وصفه الصحفيون بـ «مجلس ١٦ تشرين الأول/اكتوبر العسكري».

ففي ليلة ٢٣ - ٢٤ اكتوبر من السنة ١٩٥٦، قام في المجر، وهي في عامها الثامن من بناء الاشتراكية، تمرّد على الثورة. واتخذ هذا التمرّد الذي استفزوه وألهموه من الخارج طابع الثورة البرجوازية الفاشية

المضادة. وكان على التمرد، على حسب مخططات ملهميه، أن يصفّي النظام الديمقراطي الشعبي في البلاد، ويصرف أنظار الاتحاد السوفياتي عن قضايا الشرق الأوسط.

وحتى ٢٣ تشرين الأول/اكتوبر، كانت قد شكلت في مراكز تجمعات المهاجرين المجريّين الفاشيين في النمسا والمانيا الغربية، جماعات تخريبية نقلت فيما بعد الى الحدود المجرية. فعلى أثر بدء التمرّد كتبت صحيفة «نورنبرغ ناخريختن» أن «رجال الاتصال» من المهاجرين المجريّين الفاشيين، كانوا في أثناء نقل الجماعات التخريبية الى الحدود النمساوية ـ المجرية على اتصال وثيق بمنظمة «سي. اي. سي» التجسسية الأميركية.

وكان من الواضح للعيان منذ بداية الحوادث أن الذين نظموا ووجهوا مسار التمرّد هم من «المحترفين» وعلى مستوى رفيع من التدريب، ولم يكونوا من «الهواة» أبداً. وفي ليلة ٢٣ ـ ٢٤ اكتوبر بدأت في بودابست أعمال ارهابية ضد الشخصيات المجرية التقدمية والعمال النشطاء.

واستغلالاً للصعوبات الناشئة في البلاد نتيجة أخطاء وقعت في سياسة القيادة المجرية، ولعباً على أوتار مشاعر الشعب القومية، استثار المحرضون مشاعر شوفينية عدوانية ثم حوّلوها بفن المحترف الى مجرى الثورة المضادة.

في ٢٤ اكتوبر، أذاع راديو بوادبست بيان الحكومة المجرية حول ضرورة التوجه الى القوات السوفياتية المرابطة في المجر بموجب معاهدة فرصوفيا بطلب اعادة النظام في البلاد. وقال البيان «تطلب الحكومة المجرية الى القوات السوفياتية، حفاظاً على مصلحة إقرار الأمن، دعم الاجراءات الرامية الى قمع الهجوم الدموي».

ومن أين أخذ المتمردون السلاح؟.

ظهرت في بودابست في ٢٥ اكتوبر تحت شارات «الصليب الأحمر» ٤٠ من سيارات الشحن والركاب، أفرغوا منها من أجل المتمردين

شحنات، وبينها السلاح. وقد اتضح فيما بعد أن المتمردين كانوا يطلقون في أثناء الحوادث رصاصاً صنع في الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية. وفي ٢٧ اكتوبر دعا وزير الخارجية الاميركية دالاس صراحة في كلمة ألقاها في ولاية تكساس الى تغيير الحكومة المجرية. وفي تلك الأيام، كان يُشاهَد الاميركيون في بودابست الذين وصلوا على ظهر الشاحنات بشارات «الصليب الأحمر»، وهم يوزعون السلاح. وبعد أن اتخذت القوات السوفياتية اجراءات إعادة النظام، بدا وكأن التمرد يقترب من نهايته. ولكن رئيس الوزراء «أمري ناجي» الذي عيّن في هذا المنصب منذ بداية الحوادث، اقترح نزولاً عند رغبة المتمردين بدء مفاوضات حول انسحاب القوات السوفياتية. وبموجب الاتفاق انسحبت القوات السوفياتية من بودابست في ٣٠ تشرين الأول/اكتوبر. وسرعان ما اجتاحت العاصمة المجرية موجة من الارهاب المضاد للثورة.

وفي اليوم ذاته علم أن جيشاً اسرائيلياً قوامه مئة ألف جندي اقتحم أراضي مصر. واذا أخذنا في الحسبان أن العدوان الثلاثي كان مخططاً له أن يبدأ في ٦ نوفمبر، فإن تغيير موعد بدايته وتوافقه مع الثورة المضادة في المجر لا يمكن الا أن يحملا الانسان على التفكير في أن اللعبة كانت مدبّرة أحسن تدبير. وعن هذه الناحية بالذات كتب مراقبو حوادث ذلك الخريف المأساوي من السنة ١٩٥٦. فمثلاً، رأى الصحفي البلجيكي «دزيلبي»، والفرنسيان برومبرجيه وبينوا ـ ميشان، أن السبب الرئيسي في تغيير موعد العدوان على مصر هو التمرّد في المجر.

وبديهي أن المجتمعين في فندق «ماتينيون» علّقوا آمالهم على ذلك بالذات، حين قالوا أنه لن يكون لدى الاتحاد السوفياتي لا الوقت ولا الامكانات للتصدي للعدوان على مصر.

ترى، هل كان في استطاعتهم أن يعرفوا مسبقاً أن تمرداً سيحدث؟ نعم كان في استطاعتهم، بل عرفوا. فبهذا يفسّر بالذات التوافق بين موعدي

التمرد والعدوان. ولقد صرّح «آلان دالاس» رئيس الاستخبارات المركزية الأميركية، في أثناء الجلسة المفتوحة للجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالشؤون الخارجية قائلاً: ان الحكومة الأميركية كانت على علم مسبق بالتمرد المنتظر في المجر.. أما تبادل المعلومات بين واشنطن ولندن وباريس وتل أبيب فكان على المستوى المطلوب. وقبل بدء عدوان اسرائيل على مصر أصدرت الحكومة الاميركية أمرها بإجلاء الأميركيين عن مصر فوراً.

بعد مرور ٢٤ ساعة على بدء عدوان اسرائيل على مصر، وجهت الحكومتان الانكليزية والفرنسية الى الحكومة المصرية انذاراً نهائياً يقول: يجب وقف العمليات العسكرية وسحب القوات المصرية من قناة السويس مسافة ١٠ أميال والموافقة على احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية في بور سعيد والاسماعيلية والسويس. وأعطيت لكل ذلك مهلة ١٢ ساعة. وهددت لندن وباريس القاهرة بالتدخل المسلح في حال رفض الانذار. وجاء ردّ عبد الناصر بالرفض القاطع.

وفي ٣١ اكتوبر انتهت مهلة الانذار وبدأ التدخل المسلّح. وقد اشتركت في العملية التي سمّيت رمزياً «حامل البندقية» قوات انكليزية وفرنسية ضخمة: ٢٢٩ ألفاً من الجنود والضباط، و ٦٥٠ طائرة، وأكثر من ١٣٠ سفينة بينها ٦ حاملات طائرات. وصاحب الاعتداء أعنف قصف للمدن المصرية بالقنابل. وعانت ذلك على الأخص مدينة بور سعيد، فقتل الألوف من السكان وبقي عشرات الألوف بلا مأوى.

وطرحت الحكومة السوفياتية على مجلس الأمن للأمم المتحدة بعد عدوان اسرائيل على مصر وقبل التدخل الانكليزي ـ الفرنسي مشروع قرار يطالب بوقف العمليات العسكرية وسحب القوات الاسرائيلية من الأراضي المصرية. غير أن انكلترا وفرنسا استعملتا حق النقض (الفيتو) ضد الاقتراح السوفياتي، وامتنعت الولايات المتحدة عن التصويت.

وقد تخطّى اهتمام الحكومة السوفياتية بأحداث الشرق الأوسط بعيداً

نطاق حسابات الذين علّقوا الآمال على أن العصيان المضاد للثورة سيأخذ بيد «حامل البندقية». وها هي محطة «أوروبا الحرة» التي نسّقت أعمال المتمردين في المجر تذيع في اليوم ذاته، أي في ٣١ تشرين الأول/اكتوبر، النداء التالي: «فليلغ المجريون معاهدة فرصوفيا ويعلنوا أن المجر ليست عضواً في هذه المعاهدة منذ اليوم».

أجل لقد التصق التمرد والعدوان وكأنهما «توأمان». ففيما كان ممثلو مختلف البلدان يصوتون في الأمم المتحدة بنيويورك ضد العدوان الثلاثي، ظهرت على صفحات جريدة الـ «نيويورك تايمز» وغيرها من الصحف الأميركية اعلانات أرباب العمل وكبار الساسة الأميركيين تدعو الى جمع مليون دولار لمساعدة المجر، ولم يكن من الصعوبة بمكان معرفة غرض هذا المليون دولار من المساعدة.

ففي الثاني والثالث من تشرين الثاني/نوفمبر أصدرت الحكومة المجرية تعليماتها بتفتيش الشحنات التي حملتها الى المجر مئة طائرة أرسلت باسم «الصليب الأحمر» على أنها «مستحضرات طبية». وقد عثر بين هذه الشحنات على أسلحة. ثم تبين كذلك أن بعض الذين رافقوا الشحنات بوصفهم مندوبين عن «الصليب الأحمر» كانوا من الضباط الفاشيين في جيش ودرك «هورتي» (دكتاتور المجر السابق) الذين أقاموا سابقاً في المانيا الغربية.

وفي الوقت الذي كانوا يرسلون فيه السلاح الى المتمردين في المجر، تقرر إنزال جنود المظلات في مصر. ففي الثالث من نوفمبر اقترح الجنرال الفرنسي «بورجو» في أثناء اجتماع ممثلي الحكومتين الانكليزية والفرنسية خطة سمّيت رمزياً «التلسكوب». وفي ٥ نوفمبر، أي قبل يوم واحد من إقرار «التلسكوب»، نزل المظليون الفرنسيون والانكليز في أراضي بور سعيد وبور فؤاد. وقد احتلوا بور فؤاد بسهولة نسبياً. أما في بور سعيد فلقي المظليون مقاومة عنيفة. ولكن بفضل جهود الاتحاد السوفياتي قضي على ارهاب الفاشيين في المجر، وقوات المظليين الاستعمارية في مصر،

وخابت حساباتهم حول أن الاتحاد السوفياتي «لن يفعل شيئاً عملياً».

ففي ٣ نوفمبر، شكلت في المجر حكومة العمال والفلاحين الثورية برئاسة «يانوش كادار». وفي اليوم التالي توجهت الى قيادة القوات السوفياتية في المجر بطلب مساعدة الشعب المجري في دحر قوى الثورة المضادة وضمان الأمن والنظام في البلاد. فلبّت الحكومة السوفياتية هذا الطلب، وأحبطت عملية تصدير الثورة المضادة الى المجر.

أما على صعيد الشرق الأوسط فأمعنت انكلترا وفرنسا واسرائيل في عملياتها الحربية ضد مصر، رافضة تنفيذ قرار مجلس الأمن. وفي هذه الحالة توجهت الحكومة السوفياتية بمذكرات الى كل من انكلترا وفرنسا واسرائيل مطالبة اياها بوقف العدوان المسلح على مصر. وقد جاء في الرسالة الموجهة الى رئيس الوزراء البريطاني على الأخص «نحن نتوجه اليكم والى البرلمان وحزب العمال والنقابات والشعب الانكليزي قائلين: «كفّوا عن العدوان المسلّح وأوقفوا إراقة الدماء». وأعلنت الحكومة السوفياتية قائلة: «اننا مليئون عزماً على تحطيم المعتدين وإعادة السلام في الشرق الأوسط باستخدام القوة».

وفي ٥ نوفمبر بعث وزير الخارجية السوفياتية الى رئيس مجلس الأمن الدولي باقتراح يقضي باتخاذ قرار يطالب المعتدين بوقف العمليات الحربية في خلال ١٢ ساعة وبسحب القوات من الأراضي المصرية وفي غضون ثلاثة أيام. واقترح الاتحاد السوفياتي تقديم مساعدات عسكرية وغير عسكرية الى مصر في حالة عدم إذعان المعتدين لمطالب مجلس الأمن. وفي الوقت ذاته تقدمت الحكومة السوفياتية الى الرئيس الأميركي «دوايت أيزنهاور» باقتراح حول توحيد الجهود واستخدام قوى الدولتين من أجل وقف العدوان. الا أن الحكومة الاميركية لم تقبل الاقتراح السوفياتي.

ولكن تصميم الاتحاد السوفياتي على إنهاء العدوان كان له أثره الفعّال. ففي ٦ نوفمبر، وفي الساعة الرابعة عشرة دعي «غي موليه» الذي

كان يتناول في فندق «ماتينيـون» طعام الغـداء مع المستشـار الالماني الغـربي «كونراد أديناور» الى مكالمة هاتفية. وكان على الخط انطوني إيدن الذي أبلغ أنه أصدر أمره الى «كيتلي» القائد العام للقوات الانكليزية، بوقف اطلاق النار في السـاعة التـاسعة عشـرة. ولم تكد تمضي سـاعات معـدودات على تسليم السفيـرين السوفيـاتيين في لنـدن وبـاريس مـذكـرتي حكومتهمـا، حتى أوقفت العمليات العسكرية الانكليزية والفرنسية في مصر. وفي تشرين الثاني/نـوفمبر أوقفت القوات الاسرائيلية أيضاً إطلاق النار.

وبعد مماطلة المعتدين سحب قواتهم من مصر، نشرت وكـالة «تـاس» السوفياتيـة بيانـاً في ١١ نوفمبـر فـي هذا الصدد، قوّم واقع وقف العمليات العسكرية بالايجابيـة، ولكنه الى جـانب ذلك عبّـر عن الخشية من ألا تكـون هذه المماطلة الا مناورة تهدف الى كسب الوقت. وقال البيان: اذا لم تسحب انكلترا وفرنسا واسرائيل جميع قواتها من أراضي مصر، خلافـاً لقرارات الأمم المتحـدة، وهدّدت بـاستئناف العمليـات العسكريـة ضد مصـر فإن «الجهـات المختصـة في الاتحاد السـوفياتي لن تمـانع في سفـر المتـطوعين السـوفيـات الراغبين في الاشتراك في كفـاح الشعب المصري من أجـل استقلالـه». ولقد تجسّم التصميم على وقف العدوان، هذا الذي عبّرت عنه المذكرة السوفيـاتية بتاريخ ٥ تشرين الثاني/نـوفمبر في نفـوس المتطوعين السـوفيات المستعـدين للقتال الى جانب الشعب المصري.

وكتبت صحيفة «نيويـورك هيرالـد تريبيـون» في هذا الصـدد تقول: «إن السبب الـرئيسي الـذي حمـل انكلتـرا وفـرنسـا واسـرائيـل على اتخـاذ قـرار الانسحاب كان مذكرة الانذار السوفياتية».

وفـي ١٥ نوفمبـر لفـت رئـيس الـوزراء السوفيـاتي فـي رسائلـه التي بعث بها الى رؤساء حكـومات انكلتـرا وفرنسـا واسرائيـل الانتباه الى ضـرورة انسحاب القوات المعتدية من الأراضي المصرية في أسرع ما يمكن.

وفي ٢٤ نوفمبر اصطرت حكومات المعتدين الى اعلان موافقتها على

سحب قواتها من مصر. وهكذا مني بالفشل العدوان الذي هدّد بتصفية مكتسبات الشعب المصري الثورية ودفع البشرية الى حافة حرب عالمية جديدة.

وبقيت عملية «حامل البندقية» ولا زالت لطخة عار، وصفحة سوداء في تاريخ سياسة الغرب إزاء المشرق العربي. ومن تعوّد عن وسم سجلّه بلطخات العار والخزي، فلن يستغرب إضافة لطخة جديدة الى تاريخه الذي لا تفوح منه الا روائح العار والهزائم.

المراجع

١ ـ بيوتر ميخايلوف «أزمة السويس وفشل العدوان». مجلة «المدار» (السوفياتية). العدد ١٠. شهر نوفمبر ١٩٨٦. ص١٨ ـ ٢١.

٢ ـ مجلة «الى الأمام» (الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة). العدد ٩٦٦. الجمعة بتاريخ ١٩٨٦/١١/٧. ص ٣٩.

قضيــة كستنــر
بين حقيقة الصهيونية وادعاءاتها الزائفة

برعت الحركة الصهيونية منذ وجودها في فنّ الدعاية والمراوغة للوصول الى أهدافها الاستراتيجية التي تضمنتها مشاريعها السرّية والعلنية في مؤتمراتها الـدولية، كمـا من وراء الكواليس. وقلّمـا نجحت حركـة في هذا الفن مثلمـا نجحت فيه الصهيونية، التي تعتبر رائدة فذّة في هذا المجال وأستاذاً بارعاً في هذا العلم، وسجلّها حافل بمثل هذه «المآثر»، وذلـك تمشياً مـع قول مؤسس هذه الحركة تيودور هـرتزل، والـذي كان يـطلق عليه اسم «سـلاح الصياح»، حيث يذكر في مذكراته أن «الصياح هو كل شيء حقاً. ان للصوت العالي شأناً كبيراً. الصياح المتواصل تعاقد مأثور. ليس تاريخ البشر سوى قعقعـة السلاح وجعجعة الرأي الزاحف. عليكم أن تصيحوا وتصرخوا».

والجدير بالذكر، أن الصهاينة ركزوا دعايتهم بشكل كبير وفاعـل على ما قامت به النـازية الالمـانية ضـد اليهود، وعلى مـا يسمونـه «بأفـران الغاز» في المانيا، من أجل كسب الرأي العام الدولي الى جانب قضيتهم، مع أن الكثير من الـوثائق أثبتت عـدم صحة وجـود هذه الأفـران، ومنها في الفتـرة القـريبـة الماضية أطروحة الدكتور «هنري روك» الفرنسي التي استحق عليها حرمانه من لقب الدكتوراه، ومنعه من نشر أطروحته، ومحاكمة أستاذه المشرف. وقد جرى كـل ذلك بتحـريض صهيوني ودعـايـة كبـرى بـاعتبـار أن هـذه القضيـة تمس «مقدّسات» الصهيونية و«محـرّماتهـا». وتأتي قضيـة الدكـور «رودولف كستنر»

لتفضح مزاعم الصهيونية ودعاياتها رغم كونه مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر.

فمن هو الدكتور كستنر؟ وما هي أسرار قضيته؟.

لعبت قضية الدكتور كستنر دوراً في إثارة الرأي داخل التجمّع اليهودي في فلسطين وذلك لأنها ارتبطت بمسؤولية المنظمة الصهيونية في فترة الحرب العالمية، ومسؤولية حزب الماباي الذي حكم الكيان الصهيوني منذ تأسيسه وحتى عام ١٩٧٧ عن انقاذ يهود المجر، كما ارتبطت بأغراض سياسية داخلية عندما رأى فيها البعض محاولة من حزب حيروت الذي كان يرأسه مناحيم بيغن لإسقاط حزب الماباي الذي كان يرأسه دافيد بن غوريون، وارتبطت بأمور سياسية خارجية عندما رأى البعض انها كانت ـ مع فضائح أخرى ـ سبباً في تعرية بن غوريون وحزبه، مما جعلهم، كي يفلتوا من القصاص والانهيار الداخليين يلجأون الى الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر ومع كل من بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٥٦.

ان تفاصيل محاكمة كستنر أوردها الكاتب الصهيوني «بن هيشت» في كتابه «الغدر Perfidy». وكانت الحقائق التي وردت في الكتاب على لسان الشاهد والمتهم «كستنر» مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر أثناء الحرب العالمية، دليلاً مادياً على عدم صحة الادعاءات الصهيونية في أكثر من مجال.

تتلخص قضية كستنر على الشكل التالي: نشر المدعو «غرين والد Green Wald» البالغ من العمر ٧٢ سنة في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٣ في احدى نشراته التي تحمل الرقم ٥١ ـ والتي كان يصدرها بنفسه ويوزعها مجاناً على القراء ـ اتهاماً ضد كستنر الناطق الرسمي باسم وزارة التجارة والصناعة الصهيونية عندئذ. وتتلخص اتهام «غرين والد» في أن كستنر (عضو حزب الماباي) ذهب الى محكمة نورمبرغ الدولية ليدافع عن الكولونيل النازي «كورت بيشر» والذي كان يعمل مدير الاقتصاد في جهاز S. S. وتمكن من تبرئة بيشر وانقاذه من الاعدام، بحجة أنه ساعد يهود المجر، في حين رأى

«والـد» أن «بيشر» كـان سابحـاً في دم اليهود، وكـانت علاقتـه بكستنر عـلاقة تعاون يستحق عليها هذا الأخير المحاكمة.

ومن تتبّع سير محـاكمة كستنـر كما نشـرها «بن هيشت» مفصـلاً يمكن الوصول الى ما يلي:

استطاع كستنر أن يعقد صفقة مع المسؤولين النازيين الآتيـة أسماؤهم: كـورت بيشر مـدير الاقتصـاد في جهاز الـ S. S. النـازي، والكولـونيل كـرومي Krumey المسؤول عن تـرحيل اليهـود، وفـوت فسلنسي أحـد المسؤولين عن تنفيذ سياسة النازيـة ضد اليهـود، وأدولف ايخمان رئيس الـدائرة اليهـودية في جهاز الـ S. S.

وتتلخص الصفقة في انقاذ ١٦٨٠ يهودياً معظمهم كانوا من أقرباء كستنر ومن الصهيونيين، من بين يهود المجـر البالـغ عـددهم ٨٠٠ ألف، وذلك في شهر حزيران/يونيو ١٩٤٤.

كان كستنر رغم السلوك النازي ضد اليهـود يتمتع بـامتيازات سفيـر دولة محايدة. اذ أعفي من وضع النجمة الصفراء على صدره وهي التي كان يضعها اليهود بأمر النازيين، كما كان تحت تصرفه سيـارة وهاتف، وكـان دائب التنقل بين المناطق التي يسيطر عليهـا النازيـون دون أن يعترضـه أحد، وفي الـوقت نفسه يقابل أكثر من مسؤول نازي.

هـذه الصفقة وهـذا السلوك أثار الشـك في نفس محامي «غـرين والد» والمدعو «صموئيل كاتز نلسون» (تاميـر بعد ١٩٣٧ وأصبـح وزيراً للعـدل بعد انتخـابات سنـة ١٩٧٧) وسأل نفسـه أثناء المحـاكمـة لمـاذا كـانت كـل هـذه الامتيازات لكستنر؟ وأجاب بينه وبين نفسه: لقد ساعد كستنر الناريين على قتل اليهـود. ولم يستطع اثبـات ذلك الا عنـدما وقـع كستنر في تنـاقض مع نفسـه وأنكر مساعدته للكولونيل بيشر واعتبر مثل هذه المساعدة خيانـة وطنية. ولكن المحامي أبرز وثيقة تحمل الرقم ٢٢ في أوراق القضية وهي عبـارة عن رسالـة وجههـا كستنر بتـاريخ ٢٦ يوليو ١٩٤٨ الى «اليعازر كـابـلان» أحـد مسؤولي

الوكالة اليهودية سابقاً اعترف فيها بمساعدة الكولونيل «بيشر»، كما أثبت المحامي أن كستنر قد أدلى بشهادته لصالح «بيشر» بإذن من «دويكين» و«باولاس» (من الوكالة اليهودية) وبإذن السيد «بيرل زويغ Perl Zweig» رئيس الدائرة السياسية في المؤتمر اليهودي العالمي.

كما أثبت صموئيل تامير المحامي أن كستنر سافر الى نورمبرغ فقط من أجل انقاذ بيشر، وذلك حسب شهادة «والتر راب» رئيس مجلس الشهود في محاكمات نورمبرغ وهو كولونيل في الجيش الأميركي.

ذكر كستنر أثناء مناقشة المحامي صموئيل تامير له، أن ما يشاع عن سلب قوات S. S. النازية لملابس وممتلكات اليهود ليس صحيحاً. كما ذكر أن ما يقال حول نزع الأسنان الذهبية من القتلى اليهود ليس صحيحاً بل كذب أيضاً. وفي أقوال كستنر هذه نسف لكل الدعاية الصهيونية حول تصرفات النازيين تجاه القتلى اليهود، وهي دعاية ركز عليها الصهاينة ولا يزالون من أجل ابتزاز المواقف الانسانية والسياسية لصالحهم.

وكانت المحكمة الصهيونية هنا بين أمرين: إما أن ترى كذب كستنر، أو كذب الدعاية الصهيونية، وكلاهما مرّ. تبين أن الكولونيل النازي كورت بيشر مسؤول الدائرة الاقتصادية في S. S. والذي يفترض حسب ادعاءات الصهيونية أنه أشرف على تجريد اليهود من أموالهم وممتلكاتهم، كما أنه يفترض أن يكون قد أشرف على نزع كل شيء ثمين من الموتى اليهود قبل دفنهم بحكم منصبه، تبين أنه يعيش في المانيا غنياً هادئاً ويملك عدة شركات احداها مؤسسة Cologne - handle Geslischah وهي مؤسسة تبيع القمح لاسرائيل بعد تأسيسها سنة ١٩٤٨.

تبين كذلك أن النازيين كانوا يودّون التكتّم على قتل اليهود في المجر وذلك لأنها لم تكن أرضاً محتلة وكانت شبه نازية وبها ٥ سفراء لدول محايدة. كما كان بها ممثل للبابا وبعثة للصليب الأحمر الدولي. ولم يجد النازيون من يساعدهم على هذا التكتم غير «رودولف كستنر» مسؤول لجنة الانقاذ

اليهودي ـ ممثل الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي العالمي في بودابست ـ بالاضافة الى ذلك كان النازيون يريدون سحق يهود المجر على حين غرّة، لأنهم كانوا بكامل قوتهم وقبل أن ينتبهوا الى الخطة الالمانية النازية وينظمون صفوف المقاومة ضد النازيين بينهم. وقد تم هذا أيضاً عن طريق الدكتور كستنر مسؤول الانقاذ الصهيوني.

استطاع المحامي «تامير» عبر التحقيق المتقاطع أن ينتزع اعتراف كستنر بالتقصير والسكوت وعدم اقدامه على ابلاغ يهود مدينة «كلوج» بما سيجري لهم من قتل، رغم علمه بمواعيد ترحيل هؤلاء الى غرف الغاز التي أعدّت لموتهم في معسكر «أوشفتز» وأن يضيع عليهم فرصة الهرب الممكنة والمقاومة السهلة بسبب عدم وجود قوات نازية كافية في مدينة «كلوج» في ذلك الوقت مقابل انقاذ ٣٨٠ صهيونياً.

إن أخطر ما أورده «بن هيشت» في كتابه يتلخص فيما أثبته من عدم اهتمام القيادة الصهيونية بكل ما كان يجري في المجر. اذ أن صحافة المجتمع اليهودي في فلسطين في الفترة التي بدأ فيها ترحيل يهود المجر الى «اوشفتز» لقتلهم لم تذكر شيئاً عما كان يجري لهؤلاء. وفي الفترة ما بين بداية ابريل ١٩٤٤ ونهاية مايو ١٩٤٤ كان المسؤولون في التجمع اليهودي بفلسطين منشغلين بأمور لا تمس مصير يهود المجر لا من قريب ولا من بعيد، اذ امتلأت الصحف الصهيونية بأخبار أعمال الارهاب التي كانت تمارسها منظمة الأرغون الارهابية ضد الفلسطينيين وضد الانكليز، كما أشارت صحيفة «دافار» الصهيونية الى «ان انكار النازيين لقتل اليهود يقوم على أساس من الصحة، اذ لم يكن قتل اليهود بالكثرة التي كنا نخشاها».

وبالاضافة الى اهمال الصحافة لأخبار يهود المجر ومحاولاتها التخفيف من خطر المحنة، حدثت مناسبات صهيونية تخطب فيها قياديون صهيونيون ولم يشيروا الى ما كان يجري ليهود المجر، كما أن المؤسسات الصهيونية التي اجتمعت في تلك الفترة مثل المجلس الوطني (فثالؤمي) في ٩ يونيو ١٩٤٤ لم

تناقش الأمر وكانت منشغلة بالانتخابات الحزبية وهو موعد بداية ترحيل يهود المجر بمعدل ١٢ ألفاً يومياً.

كذلك حزب الماباي (أقوى حزب صهيوني في فلسطين) الذي عقد مؤتمره في ٢ يونيو ١٩٤٤ إلا أنه لم يشر الى يهود المجر أو معاناتهم من قريب أو بعيد.

لقد تركت محاكمة كستنر اتهامات موجهة الى مسؤولي الوكالة اليهودية والى مسؤولي حزب الماباي ومسؤولي المؤتمر اليهودي العالمي. وبدأت ترتفع بعض الاصوات كان د. موشي كيرين مثالاً منها مطالبة بمحاكمة كستنر كمواطن عادي لا تحميه حكومة «اسرائيل» وذلك في ١٤ يوليو ١٩٥٥. وقد طار موشي كيرين الى المانيا في محاولة منه لمقابلة الكولونيل النازي السابق «كورت بيشر»، ولكن موشي كيرين وجد ميتاً في أحد الفنادق الالمانية بعد وصوله بأيام وكان سبب موته «هبوط في القلب». وربما كان موت موشي كيرين بالقلب صحيحاً، ولكن في مثل هذه المواقف يكثر التأويل والاتهام، وهما أمران يجدان في قضية موشي كيرين شيئاً من الصحة والصدق.

يتابع تامير بعد اصدار الحكم في تهمة «غرين والد» وتعويضه بمائتي دولار أميركي ذيول قضية كستنر، ويطير الى نيويورك ويطلع على ملفات محاكمات نورمبرغ. وهناك اكتشف تامير أن محكمة نورمبرغ الدولية حققت مع الضابط النازي كرومي Krumey مساعد ايخمان في ١٩٤٧/٩/٢٣ واطلعت على رسالة موجهة من كستنر الى كرومي بتاريخ ١٩٤٧/٢/٥ يتمنى فيها كستنر لكرومي أن يبدأ حياة جديدة، ويعلمه بالجهود التي بذلها لصالحه في المؤتمر الصهيوني المنعقد في بال، ويعترف له فيها بمساعدة كرومي لليهود. ولكن كستنر كان قد ادعى سنة ١٩٤٥ أن كرومي هو الذي كان مسؤولاً عن قتل يهود النمسا والمجر وبولندا. كما حصل تامير على شهادة بخط كستنر موجهة الى مساعد دائرة التحقيقات الأميركية في محاكمات نورمبرغ لصالح الضابط النازي كرومي.

وفي أوائل عام ١٩٥٧ تعرض كستنر لمحاولة اغتيال على يد شاب في الرابعة والعشرين من عمره يدعى «زيف أكستين Zeev Eckstein» ثبت أنه كان يعمل قبل اقدامه على اطلاق النار على كستنر مخبراً سرياً في جهاز المخابرات الصهيوني الرسمي. وفي ابريل ١٩٥٧ مات كستنر في عيد القديس سان باتريك. وبموته أسدل الستار على كل ما كان يأمله تامير من محاكمة لكستنر وفضح القيادة الصهيونية، وبالذات قيادة حزب الماباي من خلاله.

والواقع أن قضية كستنر ليست الحادثة الوحيدة التي أحيطت بكثير من محاولات اخفاء الحقيقة حول الدور الصهيوني وعلاقاته بالنازية أثناء فترة الحرب العالمية الثانية. فمن المعروف أن النازيين عرضوا عن طريق ايخمان اطلاق سراح مليون يهودي مجري مقابل ألف طن شاي، وألف طن قهوة، وعشرة آلاف عربة وبعض الصابون، وقد كلف بإيصال العرض النازي الى الحلفاء والقيادة الصهيونية في استانبول المدعو «جول براند» وهو صهيوني كان يعمل في لجنة الانقاذ اليهودي بالمجر مع رودولف كستنر. ولكن المحامي تامير أثبت أن «جول براند» تعرض للإعتقال على يد المخابرات البريطانية بمساعدة «موشي شرتوك» نفسه - رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية آنذاك - في مدينة حلب وتم نقله الى القاهرة حيث احتجز فيها لمدة أربعة شهورونصف، رحل بعدها الى فلسطين، ولم تلتفت القيادة الصهيونية الى عرض ايخمان، الذي حمله «براند» في ١٩/ ٥/ ١٩٤٤. اضافة لذلك، هناك قصة يتعلّل بها الصهيونيون في حججهم ضد الحلفاء لإثبات التقصير في مساعدة يهود أوروبا على الهرب أو الاغاثة. وتتلخص القصة في أن «حاييم وايزمان» طلب من القيادة البريطانية قصف معسكر «أوشفتز» النازي حيث يقتل اليهود، كما طلب قصف خطوط السكك الحديدية الموصلة الى المعسكر في محاولة لعرقلة عمليات نقل اليهود.

ولقد ذكر «شونفيلد Shonfeld » في كتابه «هولوكست Holocause» أن وثائق طلب الوكالة اليهودية بضرب معسكر «أوشفتز» التي قدمت الى الحكومة

البريطانية لم تظهر الا أثناء محاكمة أدولف ايخمان في فلسطين سنة ١٩٦١. ولم يتقدم لا «موشي شاريت» ولا «داڤيد بن غوريون» للشهادة أمام المحكمة حول هذا الأمر، ولم يستدعيا رغم استدعاء أكثر من مائة شاهد في القضية من جميع أنحاء العالم.

كما ذكر شونفيلد أيضاً مدللاً على عدم حدوث الطلب ما نشرته صحيفة معاريف الصهيونية في ١ يونيو ١٩٦١ إثر لقاء مع مارشال الجو البريطاني سير «آرثر هاريس» رئيس القاذفات البريطانية في الفترة مما بين ١٩٤٢ - ١٩٤٥: «أن المارشال المذكور لا يستطيع التذكر بأنه سمع مثل هذا الطلب حول ضرب معسكر أوشفتز». كذلك ذكر شونفيلد أن تشرشل رئيس الوزراء البريطاني أنكر تسلّم مثل هذا الطلب. كما اعترف الكولونيل البريطاني «ليونارد شيشر» الى صحيفة الديلي تلغراف اللندنية في ٢ يونيو ١٩٦١ بأن ضرب معسكر أوشفتز بالطائرات في عام ١٩٤٤ كان ممكناً رغم صعوبته، ولو أن اليهود طلبوا ضرب المعسكر (وهذا ما لم نعرفه) لما كان هناك صعوبة اطلاقاً في تجهيز مجموعة جوية لتنفيذ هذه المهمة.

وهكذا يمكن القول أن القيادة الصهيونية لم تفكر جدياً في عملية انقاذ اليهود، كما كان المال اللازم للإغاثة أو الانقاذ متوافراً، لأن القيادة رأت بأن هذا المال ينبغي تحويله الى فلسطين من أجل بناء الدولة اليهودية. وبذا فضلت الدولة على محاولتها انقاذ ملايين اليهود من الموت أو العذاب أو حتى مساعدتهم.

وان «أفران الغاز» النازية ومعسكرات إبادة اليهود هي من صنع يدي الحركة الصهيونية وتفكيرها وأهدافها، وان عدد اليهود الذين قتلتهم هذه الحركة نفسها أكثر مئات المرات من العدد الذي تمت تصفيته على أيدي الآخرين.

وتبقى براعة الإعلام الصهيوني في اخفاء الحقائق ونسج الأساطير حول إبادة اليهود، من أرقى فنون العصر. الا أن الوثائق التي تتعرض لمحاولات

جـادة ومتواصلة لإبقـائها طي الكتمـان، هي وحدهـا الكفيلة بتحطيم الجـدار الحـديدي حـول حقائق التحـالف النازي الصهيـوني. كمـا أن تصفيـة القـادة النازيين على يدي الصهاينة هي حلقـة أساسيـة في هذه السلسلة المحكمـة، ولـم تكن عملية اعدام أدولف ايخمان الا إحداها وأهمها.

واذا كـان «حبل الكـذب الصهيوني» طـويلاً، إلا أنـه ليس مؤبّداً. ولن تبقى الحقيقـة في النهايـة أسيـرة في «المعتقـلات» التي تعشّش فيها عنصـريـة الصهاينة وذهنيتهم. وستنتصر الحقيقة.

المراجع

١ ـ عبدالله النجار «أسرار المؤامرة الصهيونية» ذون تاريخ . ص ١٨ .

٢ ـ بن هيشت «الغدر» .

Ben Hecht «Perfidy» Julian Messnerine. N. Y. 3 rd Printing 1961.

٣ ـ د. عبد الرحيم أحمد حسين «النشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥». المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤. ص ٢٢١ ـ ٢٢٨ .

٤ ـ صحيفة «معاريف» الصهيونية بتاريخ ١/٦/١٩٦١ .

٥ ـ صحيفة «الديلي تلغراف» اللندنية بتاريخ ٢/٦/١٩٦١ .

الاخطبـوط الصهيـوني
واسرار عملية التجسس الكهنوتي في لبنان وسوريا

«الجاسوسية أمر لا مفر منه ما دامت هناك حدود قائمة بين الدول وبعضها، وفي الواقع فإنه لا نهاية لأعمال الجاسوسية».

وعندما كانت الجهود تبذل على مختلف المستويات وفي كل اتجاه في سبيل تأسيس ما يسمى بدولة «اسرائيل»، فقد كان «للدروب السرية» التي انتهجتها «الموساد» الدور الأكبر والأعظم في تحقيق النصر الدرامي في اقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية. هذا مع العلم أن «المادة البشرية» شكلت أهم الهواجس التي أقلقت بال المخططين والمنفذين، وما تزال. على هذا الأساس، كان «للهجرة اللاشرعية» أهميتها القصوى في القاموس الصهيوني وفي الميدان العملي على السواء.

ولقد كانت العقبة الأساسية في وجه تحقيق المشروع الصهيوني هي مشكلة الهجرة اليهودية الى الأرض التي يدعون انها «أرض ميعادهم».

فلقد وجد تاريخياً من يفكر في المشروع استراتيجياً من الدول الأوروبية الاستعمارية الكثير، بل وأصبحت عملية الصراع فيما بين هذه الدول على تبنّي المشروع هي الفكرة السائدة، الأمر الذي أتاح للصهيونية أن تستفيد من جميع هذه الدول. ولقد وجد أيضاً من بين اليهود من يتصهين للفكرة الأوروبية حول المشروع ويتبناها ويعطيها أسساً ايديولوجية ومادية وعقائدية واستراتيجية، وبذلك ولدت الصهيونية السياسية ونمت وترعرعت

وعـاشت في أحضان الغـرب لما يقـارب من نصف قرن ويـزيد، قبـل أن يتم تحقيق المشروع وتقوم الدولة العنصرية «اسرائيل».

ولقد وجد كذلك من بين اليهود من يقع ضحيـة هذه المؤامـرة المتعددة الأطراف، ويخضع لأكبر عملية تزوير عرفها التـاريخ وهي عمليـة «لا ساميـة» شعوب أوروبا، وبالتالي اضطهاد اليهود (لأنهم مجرد يهـود) تحت وطأة حمى وطيش العنصرية والشوفينية، التي غذّتها ورعتها الحكومات الأوروبية في تلك الفترة من أجل تحقيق المشروع، الأمر الـذي أجبر بعضهم التهـود على الهجرة والـرحيل عن مـواطنهم الأصلية بـاتجاه مجتمعـات جديـدة أكثـر رخـاء وأمنـاً واستقراراً لحياتهم وطموحاتهم.

هـذا ولقد تمت من نـاحية أخـرى عملية اغـلاق الدائـرة في وجه هؤلاء اليهود، والابقاء فقط على بـاب فلسطين مفتـوحاً من هـذه الـدائـرة لـزجّ هـذه الجماهير اليهودية داخل أسوارهـا، كغيتو جـديد يجبـر فيه اليهـود على اقامة دولتهم القومية العنصرية، ويدخلوا في عملية صراع طويلة (لا تنتهي الا بـانتهاء الدولة) مع جيرانهم العرب، من أجل تمزيق وحدتهم وتكـريس هذا التمـزيق، والمحافظة عليه كأحد عوامل التخلف والتبعية والقهر.

وليس أدل على ذلـك من التقريـر المعروف دوليـاً باسم تقـرير «كـامبل بنـرمان» البـريطاني عـام ١٩٠٧، الذي يحـدد تحـديـداً دقيقـاً أهميـة النقـطة الاستراتيجية في الوطن العربي والمتمثلة بفلسطين، ويعطى بالتالي حلاً ـ أقل ما يقال فيه أنه صهيوني ـ.

لقد حدّدت «لجنـة بنرمـان» في تقريـرها، الـوسائـل الضروريـة الكفيلة بتـأخير سقـوط الاستعمار عبـر السيطرة على البحـر الأبيض المتـوسط، وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية (لأن من يسيطر على هذه المنـطقة يستـطيع التحكم بـالعـالم). كمـا يجب العمـل على تقسيم المنـطقـة العـربيـة وبـذر الشقـاق والانقسـام بين سكانهـا لتلافي وحـدتهم وتماسكهم بـاعتبارهـم الشعب الـذي يمتلك كل مقومات قوميته. وتنهي اللجنة تقريرها باقتراح «اقامة حاجـز بشري

قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيابأفريقيا، ويربطهما معاً بـالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل في المنطقة، وعلى قـرب من قناة السـويس، قوة صديقة للإستعمار، وعدوة لسكان المنطقة» فكانت «اسرائيل».

من هنا كان هذا المشروع بحد ذاته، عملية هجرة لا شرعية للنـدرة من بين اليهود الى فلسطين. . هجرة لا شرعية للنسبة الضئيلة والأقل من جماهير اليهود وسلخها عن مجتمعـاتها التي عـاشت فيها، والتي كـانت تطمـح للبقاء فيها، الى فلسطين. هجرة لا شرعية لنفر من اليهود مورست عليهم كافة أنواع هـدر حقوق الانسـان الاجتماعيـة والاقتصاديـة والأخلاقيـة والروحية والنفسية، لإجبـاره على تنفيذ غـايات ومـطامح لم يكن ليـريدهـا، ولم تتوفـر حتى الآن أرضيتها المادية للدفاع عنها لو عرف الحكام العـرب كيف يعملون على إبطال مفعـول المخططات التي وضعت من أجـل تنفيذهـا، وذلك عبـر «المـوسـاد» (كجهاز مخابرات ارهابي) والأجهـزة النازيـة والفاشيـة والمخابـرات المركـزية الأميركية باعتراف الصهاينة أنفسهم أمثال «جون» و«داڤيد كيمحي».

وعنـدما كـانت «المادة البشـرية» هي جـوهـر المشكلة، كـان لابـد من الحـلّ، ولم يكن الحل الا بـالأدوات والوسـائل الكفيلة للوصـول الى الهدف والمبتغى. وهكذ وجد المـركز القيـادي للموسـاد في باريس بقيـادة «داڤيد بن غوريون»، رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وأحد نشـطاء ذلك الجهـاز، بالاضافة الى كل من «يهود آفريـل» و«يفراييم ديكـل» و«يتجاك شـامدي» على صعيد أوروبا، والذين بدأوا يفصلون قماشهم ليتناسب مع مهماتهم الجديدة، كما أقيمت شعب أربع منفصلة ومستقلة لتحقيق هذه الغاية وهي :

١ ـ ها آبالا Ha apala ـ الهجرة ـ

٢ ـ بريتشا Bricha ـ الهروب ـ

٣ ـ رتشيش Rechech ـ الأسلحة والمعدات العسكرية ـ

٤ ـ هاغاناه Haganah ـ التدريب العسكري ـ

أما على صعيد المنطقة العربية، فقد أرسل أعضاء من الموساد لإدارة العملية وهم «داڤيد ناميري» في سوريا ولبنان، و«اينزوسيرينى» وآخرون في العراق، و«روث كليجر» في مصر. كما أرسل «بارجيلاد» الى ايران. وكثيراً ما استخدم «العامل الديني» سلاحاً فعالاً في يد القادة الصهيونيين، ان كان ذلك على صعيد اقامة «اسرائيل الدولة» أو في خدمة وجودها وبقائها واستمرارها وديمومتها.

ولم تكن شبكة التجسس التي اتخذت «الدين» ستاراً لها في لبنان، الا حلقة في السلسلة الصهيونية التي تريد «خنق» العرب عبر أحكام الطوق على رقبتهم للفظ أنفاسهم الأخيرة.

فما هي أسرار هذه الشبكة الكهنوتية؟ ومن هم أبطالها؟.

ان قصة التجسس هذه كانت تبدأ في دمشق لتتجمع حصيلتها في زجاجة فارغة يغرسها في بيروت أحد العملاء الصهاينة في بقعة تقع خلف تمثال الأمير فؤاد ارسلان على طريق الشويفات بالقرب من مطار «خلدة» القديم. وهناك يلتقطها عميل آخر مكلف بنقلها الى اسرائيل. هذه الطريقة البدائية كانت ترسل المعلومات العادية بواسطتها. أما المعلومات السريعة فكانت تبث عن طريق موجات لاسلكية موجهة يلتقطها جهاز لاسلكي في جوف تمثال خشبي للسيد المسيح.

في الواقع لم تكن أجهزة المخابرات العربية السورية تجهل نشاطات الجاسوس القس «جميل الفرح» الذي كان يعمل لحساب اسرائيل مع شبكة تجسسية، متخذاً من «الدين» ستاراً يخفي وراءه ـ كما توهّم ـ عمالته. لقد كانت أجهزة الأمن السورية هذه على علم تام بما كان يقوم به هذا الجاسوس سواء في سوريا أو في بيروت بالذات. وحينما تجمّعت لها الأدلّة التامة حولتها المحكمة العسكرية الى خيوط وحبال تأرجح بها أفراد تلك العصابة على أعمدة المشانق.

هذا وقد تمت عملية التجسس لحساب اسرائيل على الشكل التالي؟.

بصوت كالهمس عرض «شفيق قندلفت» على جميل الفرح أن يعمل في شبكة جاسوسية تنشط في بيروت، لنقل كل ما يصل اليها من أخبار وأسرار الى اسرائيل. ولم تمض أيام معدودات حتى كان جميل أكثر من عميل بسيط؛ وإنما عهد اليه برئاسة شبكة وعليه اختيار عناصرها لتعمل تحت اشرافه وتوجيهه.

لم يكن جميل الفرح العميل الكسول أو المتواني الاتكالي، وإنما كان العميل الناشط في مختلف المجالات.. واتخذ المظهر الديني ستاراً لأعماله. فراح يجوب القرى والمدن اللبنانية بحثاً عن عناصر تتعاون معه. ولم يفشل في مسعاه عندما وجد ضالته الأولى في شخص «جميل حدّاد» نزيل مستشفى بحنّس في لبنان... وهناك اتصل به جميل الفرح خلال زياراته المتكررة للمستشفى، حيث كان يوزع الأناجيل المقدسة ويدعو المرضى الى الايمان بالمذهب «البروتستانتي» وخشية الله وعبادته.. بالاضافة الى عبادة «اسرائيل» والصهيونية سرّياً.

وانقطع الفرح عن زيارته للمستشفى حينما غادر جميل حداد الذي تشبّع «بالايمان» وبفكرة العمل لحساب المخابرات الصهيونية، وسافر الى تل أبيب.

واحتضنت المخابرات الصهيونية ضيفها وعميلها الجديد. وبدأت في تدريبه على استعمال اللاسلكي بشكل متقن، فعاد بعد ثلاثة أشهر الى لبنان ومنه الى سوريا، وهو يحمل في جيبه أربعة آلاف ليرة سورية دفعة أولى من المخابرات الصهيونية ليتصرف بها العميل الجديد جميل حداد.. وبعد أسبوعين تقريباً ورد الى جميل حداد جهاز لاسلكي لاقط ومرسل خبّىء في غالون بنزين بهدف تلقي التعليمات والأسئلة، وبالتالي ارسال المعلومات والأجوبة.

وسافر جميل حداد مرة ثانية وثالثة خلال عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥... وفي عام ١٩٦١ سافر مرتين الى تل أبيب، حيث تلقى تدريباً فنياً كان أحدث

من التدريب السابق في مجال كيفية استعمال أجهزة لاسلكية حديثة.

وفي دمشق عاود حداد نشاطه بعد أن اتفق مع المخابرات الاسرائيلية على تحديد رموز التخاطب والمراسلة (الشيفرة). واستأجر داراً في «شارع حلب» أودع فيها أجهزة اللاسلكي وكذلك الحبر السري الذي كان يستعمله لكتابة الرسائل وتحويلها الى بيروت، حيث يتم نقلها الى اسرائيل.. وأصبغ على تلك الدار صفة «كنيسة بروتستانتية». بينما كانت تضم أجهزة الارسال والاستقبال اللاسلكي.

وأخذ جميل يزود الشبكة بمختلف المعلومات التي تتوفر لديه، وذلك بإرسالها عن طريق جهاز اللاسلكي، أوبكتابتها بالحبر السري وإرسالها الى بيروت، حيث يعيد جميل الفرح مراجعتها وبالتالي تنقيحها ويبعث بها الى اسرائيل..

وكان جميل حداد يتولى ارسال المعلومات في الساعة الرابعة والربع بعد ظهر كل يوم اثنين وجمعة.. ويتلقى التعليمات في الساعة الرابعة والربع أيضاً بعد ظهر كل يوم سبت وثلاثاء، عن طريق موجات سلكية موجهة يلتقطها جهاز لاسلكي مثبت في أسفل مروحة كهربائية، وآخر في جوف تمثال خشبي للسيد المسيح... والأجهزة اللاسلكية هذه خصصت لإرسال المعلومات السريعة. بينما المعلومات الخطية العادية فكانت ترسل الى بيروت حيث كان جميل الفرح يضعها في زجاجة فارغة مكسورة يغرسها في الأرض الواقعة خلف تمثال الأمير فؤاد ارسلان على طريق الشويفات قرب مطار خلدة القديم قرب بيروت.. ويأتي بعدئذ أحد الجواسيس المكلفين بنقلها الى اسرائيل.

وفيما بعد عمد جميل الفرح الى ضم صهره «وليام بستولي» الى حلقته.. وأوفده الى المانيا الغربية بحجة قضاء شهر العسل، بينما هناك تلقفه الجاسوس «روبير طوطح» الذي تولج ايصاله الى اسرائيل، حيث ظل يتدرب على استعمال أجهزة اللاسلكي مدة ثلاثة أشهر. ثم أعيد الى المانيا، ومنها الى بيروت. بينما كان الفرح قد ضم أيضاً الى بؤرة الخيانة والجاسوسية كل من: «عقل انطون» و«حنا مسعد» و«يوسف لقطينة» و«يوسف كعدي».

وأضحت عصابة التجسس هذه خاضعة لإشراف وتوجيه رئيسها القس جميل الفرح،الذي كان بدوره يقوم بزيارة اسرائيل مرة في كل شهر، سواء عن طريق التسلل من منطقة الجنوب الى حيفا. . أو عن طريق البحر بواسطة زورق بخاري كان ينقله ومن معه، من المياه اللبنانية الى نهاريا قرب عكا. وكلما ذهب جميل الفرح الى اسرائيل كان يعود محملاً بالأموال الطائلة، ثم تلحق به أحدث الأجهزة اللاسلكية للبث والالتقاط، ومنها جهاز مثبت داخل هيكل ساعة مكتب عادية ويعتبر من أحدث الأجهزة وأدقها في نقل المعلومات وتلقّيها. . كما وصل اليه جهاز لاسلكي ـ تليفوني (Radio - Phon) يمكنه الاتصال بتل أبيب بمجرد تدوير قرص الهاتف بالأرقام المحددة له. . وقد حرص جميل الفرح على سلامة هذا الجهاز فخبأه في الجزء العلوي من آلة لطبع الأفلام كانت لديه بداره.

في ذلك الوقت كانت اسرائيل تستميت جاهدة للحصول على معلومات تتعلق بالجيش السوري، وتقارير الفرح وعصابته لا تفي بالغرض المطلوب. . فأبلغت الفرح باستعدادها أن تدفع له عشرة آلاف ليرة لبنانية اذا تمكن من تأمين أحد العسكريين في القوات المسلحة السورية للعمل مع العصابة، لقاء مبلغ خمسة وعشرين ألف ليرة سورية تدفع مقدماً لذلك العسكري، وألف وخمسمائة ليرة شهرياً، الى جانب دعوته لقضاء رحلة ممتعة يطوف خلالها أوروبا.

سال لعاب الفرح أمام العرض المغري، فنشط يسعى لإيجاد «العسكري السوري». وبواسطة «عقل انطون» توهم أنه وجد ضالته ممثلة في شخص عنصر عسكري قريب لعقل المذكور. . .

وبدافع الشرف العربي وتوصلاً لاستئصال شأفة هذه العصابة، تظاهر ذلك العسكري بقبول العرض المغري، في الوقت الذي كان فيه على اتصال بالمراجع ذات الاختصاص في الجيش ينبئها بكل شيء. فتطلب اليه متابعة الاتصال وتزوده بما لا ينفع اسرائيل، وبالتالي بمعلومات عسكرية خاطئة.

وهكذا استنفرت أجهزة الأمن السورية التي كانت على علم تام بكافة نشاطات العصابة في دمشق كما في لبنان، وتريّثت في القضاء عليها ريثما تستكمل كافة ملامح القضية التي لم تكن بغافلة عنها منذ ولادتها ونشأتها، وإنما تترقب الوقت المناسب لخنقها والخلاص منها.

وجاء القس جميل الفرح يوماً دمشق مزوداً برسالة خاصة من أحد أفراد عصابته، الى مكتب أحد الصحفيين، لمساعدة حاملها الحصول على اجازة تصوير العرض العسكري المقبل للجيش العربي السوري، دون أن يدري أن ذلك المكتب هو فرع لجهاز أمن يكافح الجاسوسية المعادية. فقررت رئاسة الجهاز الأمني وضع يدها عليه وعلى عصابته وانهاء اللعبة بالضربة القاضية. فأوعزت بمرافقته الى الأركان العامة بحجة ضرورة تقديم طلب الحصول على الاجازة أولاً، بهدف التعرف على شخصه ووضعه تحت المراقبة الدقيقة، بينما أصدرت تعليماتها الى «العسكري» بتنفيذ الخطة المرسومة. وهكذا كان.

وفي اللحظة المحددة، كان القس جميل الفرح وزوجته والعسكري في دار أحد العملاء الخونة بدمشق. وأمسك جميل بالوثائق والخرائط والمعلومات السرية التي سلمها اليه العسكري السوري. في تلك اللحظة كان رجال المخابرات السورية يحيطون بالمنزل.. فشعر جميل الفرح بأنه وقع في الفخ، فسارع الى اعطاء زوجته المغلّف السري وبدورها أسرعت الى «الحمّام» وخبأته ضمن مغلف من النايلون وأخفته في مكان حساس بجسمها.

وبدأت عملية التفتيش فلم يعثر رجال المخابرات على شيء. واقتيد الجميع الى التحقيق حيث استحضرت امرأة قامت بتفتيش زوجة القس الفرح فعثرت على كيس النايلون.

وبعد التحقيق السرّي العاجل وثبوت تجسس تلك العصابة لحساب العدو الصهيوني واعتقال معظم عناصرها، تم ابلاغ جهاز الأمن اللبناني في بيروت، حيث اعتقلت بعد التحقيق الواسع وبعد الثبوت، أفراد العصابة،

وقدمتهم الى المحاكمة.

وبتاريخ/ ٣٠/ ٣/ ١٩٦٤ أعلن القضاء العسكري في دمشق كلمة الحق والعدالة في جرائم وخيانات أفراد هذه الشبكة، وأصدر أحكامه القطعية بحقهم مقرونة بعرض وافٍ للوقائع التي توضح خيانات هؤلاء الجواسيس، وكذلك الأدلّة التي تثبت ادانتهم بجرم التجسس وجمع المعلومات وكتابة التقارير وإرسالها الى المخابرات الصهيونية.

وقد صدر الحكم بإعدام كل من: القس جميل الفرح، جميل حداد، يوسف لقطينة والرقيب أول حنا مسعد. وبتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٦٤ نفذ حكم الاعدام بكل من القس جميل فرح وجميل حداد ويوسف لقطينة.

وكانت هناك أيضاً أحكام مختلفة صدرت بحق بقية أفراد العصابة تتراوح ما بين الاعدام غيابياً وبين الاشغال الشاقة المؤبدة.

يبقى أن نقول أخيراً بأن الذين أعدموا السيد المسيح لن يتورعوا عن استخدام تماثيله الخشبية والبرونزية أماكن سرّية لأجهزتهم التجسسية. . الا أن الغرابة تكمن في «أبناء» السيد المسيح أنفسهم الذين يحملون هوية الانتماء له، ويتزيّون بزي الكهنوت، ويحولون تماثيله وكنائسه في الوقت نفسه الى مخابىء سرّية لأجهزة العدو الذي صلب مسيحهم وغدر بالنبي الكريم «محمد».

المراجع

١ ـ جون وداڤيد كيمشي «الدروب السرّية» ترجمة «فلسطين المحتلة». منشورات فلسطين المحتلة. مطابع الكرمل. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٨١. ص ٥ ـ ١٣.

٢ ـ نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية». المؤسسة العربية. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٦.

٣ ـ فتحي كركوتلي في مجلة «الدستور» اللندنية. العدد (لندن ٣٥٣). الاثنين ١٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤. ص ٣٦ ـ ٣٨.

٤ ـ أحمد هاني «الجاسوسية بين الوقاية والعلاج». ص ٧٧.

٥ ـ عوني عبد المحسن فرسخ «الظروف الاقليمية في الوطن العربي». منشورات الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٤. ص ١٨٧.

٦ ـ زكي شهاب في مقابلة مع وليد جنبلاط (رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي) لمجلة «المجلة» الباريسية بتاريخ ٨ ـ ١٤ديسمبر١٩٨٤.

٧ ـ جريدة «الأنباء» اللبنانية (ناطقة بلسان الحزب التقدمي الاشتراكي) العدد ١٥٤٩. الاثنين ٢٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٤. ص ٨ ـ ٩.

الحرباء الاسرائيلية
وأسرار اختفاء الغواصة داكار

البشرية ميدان واسع لمختلف العلوم والفنون، التي كان للإنسان، الفضل الأول، في اكتشافها واظهارها الى النور. وقد اختلف اهتمام البشر، على مرّ العصور والتاريخ، بهذه العلوم والفنون، حتى لازم بعضهم علمٌ معين، كما التصق بالبعض الآخر فنٌّ، قلّما برع فيه غيره كبراعته هو. وليس الصهيونيّون إلا أحد هذه النماذج التي احتكرت مرتبة الأولوية في فنّ المكر والكذب والخديعة، حتى وصل الى حدّ «الإدمان». . . ومن «أَدْمَنَ» على فنٍّ ما، ليس سهلاً أن يتخلى عنه، وليس هناك من نيّة للتخلي عنه، باعتباره مصدر حياة وبقاء ووجود.

هكذا يتنفس الصهيونيون فنّ الكذب والتضليل، كما يتنفّسون الهواء. ومتى تعوّدت شرايين الجسم على دمٍ من هذا النوع، يصبح معرّضاً لأية حساسية عند تغذيته بدمٍ من نوع آخر.

ومنذ وجدت دولة الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين العربية، لم يتخلَّ قادتها عن هذا الفنّ، بل كان نهجاً استراتيجياً في قاموسهم العنصري الارهابي الجرائمي. وقلّما كشفوا حقيقة أمام الرأي العام في فلسطين المحتلة، أو أمام الرأي العام العربي والدولي.

وتبقى سياستهم لغزاً يتعمدونه لإشغال بال الكثيرين في حلّ رموزه. الا أن سرّ الغواصة الاسرائيلية «داكار» التي اختفت بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٦٨، ما زال يشكل هاجساً وكابوساً يثقل كاهل الصهاينة.

فما هو سرّ هذه الغواصة؟ وكيف اختفت؟ وهل كان السبب وراء اختفائها أمام الشواطىء المصرية التعديلات التي أدخلت عليها أم أن المصريّين أغرقوها؟.

ذلك ما يقلق الاسرائيليين منذ تسعة عشر عاماً ـ ولا يزال ـ. فبعد هذه المدة يعود الاسرائيليون الى بعث هذا السؤال بمناسبة الاتفاق على بدء عملية موسعة للبحث عن الغواصة «داكار» في أعماق البحر المتوسط.

في الخامس والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٦٨، وفي الساعة الثامنة صباحاً، انتظرت قيادة سلاح البحرية الاسرائيلية برقية اعتيادية من الغواصة «داكار». كانت هذه الغواصة واحدة من ثلاثة غواصات حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بعد إدخال بعض التجديدات عليها. وكانت في طريقها من بريطانيا الى ميناء حيفا في فلسطين المحتلة، وعلى متنها طاقم مكوّن من تسعة وستون ضابطاً ومجنّداً. ولم تصل البرقية، وفقدت الغواصة «داكار»؛ وبقي سؤال أو لغز لم يفسَّر ولم يحل الى اليوم ويدور حول ملابسات اختفائها ومصيرها المجهول.

وفي العشرين من شهر آب/أغسطس ١٩٨٦، مع بدء تقصّي أسباب اختفاء الغواصة «داكار»، طرح «جدعون راز» وكان يشغل منصب نائب قائد البحرية الاسرائيلية آنذاك، فرضية جديدة حيث قال: «ان الغواصة داكار التي تمّ بناؤها في عام ١٩٥٤ أدخلت عليها تجديدات في ترسانة البحرية البريطانية لتتوافق مع احتياجات سلاح البحرية الاسرائيلية. وقد تسبّبت هذه التجديدات في اضعاف هيكل الغواصة، مما أضعف من مقدرتها وإمكاناتها على مواجهة ضغط المياه في الأعماق وقيّد من كفاءتها على الغوص. وقد أورد «راز» أنه استند لهذه الفرضية بناء على الاختبارات والفحوص التي خضعت لها الغواصة «الهركول» بعد اختفاء «داكار»، والتي أدخلت عليها تجديدات مماثلة في الترسانة البحرية البريطانية. وقد ظهرت نقاط ضعف كانت هناك ضرورة لإصلاحها، لكن لم تكن نقاط الضعف هذه سبباً مباشراً في مصيرها. بل ان

هذه الفرضية التي يطرحها ترجّح احتمال أن يكون ضعف الهيكل الخارجي لـ «داكار» عنصراً إضافياً للعوامل التي أودت بها، وأن يكون السبب في ذلك مجموعة متشابكة من الأخطاء الفنيّة والبشرية، بحيث هبطت بالغواصة لأعماق سحيقة، مما نتج عنه اندفاع الماء لداخلها دون أن يتمكن طاقمها من فعل شيء.

بعد اختفاء هذه الغواصة طرحت عدة أسباب لذلك، وخضعت كلها لفحص علماء سلاح البحرية الاسرائيلية سواء احتمال اغراقها على يد أطراف معادية أو الاستيلاء عليها أو احتمال حدوث مواجهة بينها وبين سلاح بحري معادي، أو اصطدامها بجسم غريب تحت سطح الماء. وقد رفض الخبراء الاسرائيليون كل هذه الافتراضات واحداً تلو الآخر، وذلك بناء على معطيات أمنية مؤداها عدم رصد أي حادث غير عادي في البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة، ولم يستثن إلا فرضية واحدة وهي الفشل الفنّي. ويقول «جدعون راز» في هذا الصدد: بعد إدخال التجديدات على هيكل الغواصة في ترسانة البحرية البريطانية تمّ فحص الغواصات الثلاث، ولم يكتشف أيّ عيب أو خلل في غلافها الخارجي. الا أن هذه الاختبارات والفحوص تمت في قناة بحر المانش ولم تتم في المياه العميقة.

والتقدير الحالي الذي يورده الاسرائيليون للغواصة «داكار» أنها غرقت وامتلأت بالمياه، ولكن لم يتحطم هيكلها، وما زالت على أقل تقدير ترقد في أعماق البحر على عمق يتراوح ما بين ١٠٠ و ١٥٠ متراً تحت سطح البحر. ويستند هذا التقدير على طوافة الغواصة التي عثر عليها بعد عام من غرقها بالقرب من شواطىء البحْر.

وقد دحض «زئيف ألموج» قائد الغواصة «الهركول» ما ادّعاه «راز» بقوله: «ان ما يدّعيه «راز» من أن التجديدات التي أدخلت على الغواصة داكار وكانت سبباً في غرقها، إدّعاء يفتقر للصحة والحقيقة».

وأضاف قائلاً: «بما أنني كنت قائداً للهركول ـ الغواصة الشقيقة

لداكار ـ فإنني أؤكد أن ما أدخل من تجديدات على الغواصات الثلاث قد تمّ فحصه نظرياً وعملياً، وكان طاقم الغواصة ملمّاً بكل ما أدخل عليها».

وهكذا تنهار بشهادة الاسرائيليين أنفسهم كافة النظريات التي صاغوها لتفسير اختفاء الغواصة «داكار». وهناك أيضاً دليل أكثر قوة على أن هذه النظريات بعيدة عن الحقيقة، هذا الدليل هو أن اللجنة العسكرية التي شكلت للتحقيق في الحادث، وكانت برئاسة الجنرال «اسرائيل طل» نائب رئيس الأركان في ذلك الوقت، توصلت الى نتائج محدّدة، ولكن كبار المسؤولين في اسرائيل، وفي الجيش الصهيوني، أمروا بعدم نشر نتائج هذا التحقيق حتى الآن. ويبقى سؤال مهم حول طبيعة الغواصة «داكار» ومميزاتها.

فهي غواصة تفقّد واستطلاع. تمّ بناؤها في ترسانة «دون بورت» في بريطانيا سنة ١٩٥٤. وكانت ضمن غواصات الاسطول البحري البريطاني. وتمّ ادخال تجديدات عليها في نفس الترسانة، وذلك بزيادة طولها ثلاثة أمتار. هذه الغواصة فيها ست فتحات طوربيد سعة ٢١ بوصة، وفيها محركين ديزل وأربعة محركات كهرباء. وتبلغ سرعتها تحت سطح الماء ١٧ عقدة.

حصلت عليها البحرية الاسرائيلية سنة ١٩٦٥ بعد إدخال تجديدات أخرى عليها وضمّت للخدمة سنة ١٩٦٧. وأطلق عليها اسم «داكار» ـ وهو اسم نوع من الأسماك الضخمة التي تألف المياه الدافئة العميقة ـ.

بعد عدة تدريبات أبحرت الى اسرائيل في ٩ كانون الثاني/يناير ١٩٦٨، وعلى متنها طاقم بحري اسرائيلي مكوّن من تسعة وستين فرداً منهم أحد عشر ضابطاً. ورست يوماً واحداً في جبل طارق في ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٦٨، وكان متوقعاً. وصولها الى ميناء حيفا في ٢٩ كانون الثاني/يناير. واستمر الاتصال اللاسلكي معها بكافة الطرق وبانتظام.

في ٢٤ كانون الثاني/يناير، وفي الساعة السادسة وعشر دقائق أبرقت الغواصة لقيادة البحرية الاسرائيلية تحدد موقعها بأنها على درجة عرض ٦١ و ٣٤ شمالاً وخط طول ٢٦,٢٦ شرقاً. وفي نفس اليوم أيضاً أرسلت الغواصة

برقيتين اعتياديتين.

في ٢٥ يناير، وفي الساعة الثانية عشرة ودقيقتين ظهراً، التقط مقر القيادة اتصالاً لاسلكياً متقطعاً اعتقد خطأ أنه من الغواصة «داكار». وفي الساعة الثامنة صباحاً كانت قيادة سلاح البحرية في انتظار اتصال لاسلكي اعتيادي مع داكار. الا أنه لم يتم. فتم تركيز الاستماع ونادى عليها عدّة مرات، ولم تتلقّ القيادة رداً، فقامت وحدات بحرية وطائرات من كل من اسرائيل وبريطانيا وأميركا واليونان بالبحث عنها حتى يوم ٣٠ يناير، حيث أعلن مركز البحث في قبرص بأنه لا يوجد أمل في العثور على طاقم الغواصة على قيد الحياة، وتوقفت وحدات باقي الدول عن البحث. واستمرت اسرائيل فيه الى يوم ٤ فبراير، وأعلن بعده عن فقد الغواصة، وتمّ تعيين الجنرال «اسرائيل طل» نائب رئيس الأركان الاسرائيلي رئيساً للجنة العسكرية للتحقيق في حادثة اختفاء الغواصة. لكن نتائج تحقيق هذه اللجنة لم تنشر الى اليوم. واضطر حاخام الجيش الصهيوني في «اسرائيل» لإصدار شهادات وفاة لطاقم الغواصة المفقودين.

وفي ٩ فبراير ١٩٦٩، أي بعد مرور ثلاثة عشر شهراً من اختفائها، عثر أحد مواطنيّ خان يونس من العرب على شاطىء البحر، على عوّامة الطوارىء الخاصة بالغواصة، والمزوّدة بجهاز إرسال يعمل دورياً كل عشرة دقائق بإرسال استغاثة انقاذ ورقم هوية الغواصة. وبعد فحص حالة عوّامة الطوارىء، حدّد الخبراء الاسرائيليون المنطقة التقديرية التي فقدت بها الغواصة «داكار»، وذلك في المنطقة الوسطى شرقاً للبحر الأبيض المتوسط وعلى بعد ما بين ٤٠ و ٧٠ ميلاً بحرياً من شواطىء ميناء حيفا.

وأخيراً نستطيع القول، أنه اذا حدّد الخبراء الاسرائيليون منطقة اختفاء الغواصة أو لم يحدّدوا، فليست هذه هي المشكلة، وإنما المشكلة في تحديد موقع «اسرائيل» ذاتها، والمنطقة التي يجب أن تغرق فيها، وبأي أسلوب، تمهيداً لاختفائها من الوجود، تماماً كغواصتها «داكار».

ولو عثر بعد ذلك على بعض أجزائها، فلن تعود بمشكلة، شأنها شأن الغواصة المختفية.

المراجع

١ ـ د. أسماء ابراهيم سيف. مجلة «الدفاع» القاهريـة. العدد التـاسع. سنة ١٩٨٦. ص ٦٦ ـ ٦٧.

١ ـ «الموسوعة العسكرية» الجزء الثـاني، بإشراف المقدم الهيثم الأيـوبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى. بيروت ١٩٧٨. ص ٤٣٠.

الاغتصاب الصهيوني
بين سرقة فلسطين وشحنة اليورانيوم

لعلّ من أغرب المفارقات في القرن العشرين، أن يضبح «اغتصاب الأوطان» مهنة رابحة في قاموس المستعمرين وشذّاذ الآفاق، حتى أنها وصلت مرتبة «الاحتراف»، كما هي الحال لدى الصهيونيين في فلسطين العربية.

وعندما يلمع بريق هذه المهنة كقرص الشمس، تأخذ عمليات الاغتصاب الأخرى مرتبة أقل أهمية من العملية «المركزية» ضمن دائرة الشعاعات التي ترفد «المركز الأم» من أجل الديمومة والاستمرارية.

وهذا ما ينطبق على «دولة اسرائيل» وقيامها عام ١٩٤٨، كما على كل عملياتها الاغتصابية الرديفة. وليس أشهرها عملية سرقة اليورانيوم من أوروبا لإنتاج القنبلة الذرية، والمعروفة بـ «عملية بلمبات» سنة ١٩٦٨.

فكيف حصلت هذه العملية؟ وما هي أسرارها، التي ما زالت لغزاً حتى اليوم؟

منذ بداية وجودها، عملت اسرائيل على إيهام العرب بأنها دولة عملاقة، وبأن جيشها «أسطورة لا تقهر». ولتكريس هذا الوهم وتجسيده واقعياً في نفوس العرب، كان لابد من خطوات وعمليات تظهرها بمظهر «السوبرمان». مرّة بصورة علنية، وأحياناً أخرى بشكل سرّي. ولم يكن نشاطها النووي يستلزم الدعاية والبهرجة الاعلامية، بل كان واجباً ملحاً في

بقائه سرّياً وطيّ الكتمان.

وقد تجسّم نشاط اسرائيل في المجال النووي بإنشاء مؤسسة الطاقة الذرّية الاسرائيلية بعد اعلان قيام الدولة بثلاثة أشهر. وبدأت هذه المؤسسة نشاطها منذ انشائها في ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ بالعمل على استغلال الطاقة النووية في مختلف المجالات. وفي سبيل الغاية الصهيونية المنشودة عملت اسرائيل على بناء مَفَاعِلات نووية أولها مفاعل «ريشون لوزيون» سنة ١٩٥٧، ومفاعل «ناحال سوريك» سنة ١٩٥٩، ومفاعل «التكنيون» لتدريب الخبراء والمهندسين والباحثين في مواضيع الفيزياء والكيمياء النووية، ومفاعل «ديمونا» أهم مفاعلات اسرائيل الذرّية وأخطرها، حيث لم يعترف بوجوده الا عام ١٩٦٦، ومفاعل «نبي روبين» الذي بدأت ببنائه عام ١٩٦٦، وغيرها.

وفي نفس الوقت، كان النشاط الصهيوني منصباً على تأمين المواد الخام، والمادة البشرية. ولم تكن مادة «اليورانيوم» إلا احدى أهم المواد التي تستخدم في انتاج القنبلة الذرية، التي بذل الصهيونيون قصارى جهودهم للحصول عليها وسرقتها عبر احدى الشركات الالمانية المسمّاة بـ: «أسمرة كيمي ESMRA KIMY».

تأسست «أسمرة كيمي» في مدينة فيسبادن الالمانية القريبة من فرانكفورت في ابريل ١٩٥٢ كشركة بين «هيريرت شولزن» و«هيريرت سكارى»، وكانت الشركة تقوم بصناعة وبيع المنظّفات الصناعية، أو بمعنى أدق، كانت تشتري مكوّنات الصابون وتخلطها ثم تعبئها وتبيعها. ولم يكن لدى الشركة مكان لتقوم بأعمال أكثر من هذا، لأن مقرها كان عبارة عن حجرتين تطلّان على فناء صغير. وفي أوائل الستينات، وبمساعدة اثنين من رجال التسويق الممتازين، تمكنت الشركة من الحصول على عقود لتوريد انتاجها الى القواعد العسكرية الأميركية الموجودة في المانيا. كما أصبح للمشتركين علاقات صداقة ممتازة مع المسؤولين بمكتب التموين التابع للجيش الالماني.

وفي عام ١٩٦٢ دفع «هيريرت سكارى» بالشركة الى العمل في مجال انتاج المواد المضادة للتلوّث النووي. وبحلول عام ١٩٦٤ كان لشركة «أسمرة كيمي» مركز ممتاز في سوق المستلزمات الدفاعية، الى جانب اتصالاتها الواسعة في المجالات الصناعية والعسكرية.

كان «هيريرت شولزن H. Cholzen» هدفاً ممتازاً للمخابرات الاسرائيلية «الموساد». وكان يعاني من أثر إصابة قديمة في أثناء الحرب العالمية الثانية، عندما أصيب في رأسه اصابة خطيرة في احدى المعارك الجوّية. وظل أثر الجرح يسبّب له آلاماً متزايدة على مدى السنين التالية، ونصحه الأطباء عام ١٩٦٤ بضرورة إجراء عملية جراحية.

وبعد العملية تلقى دعوة من مصنع للأثاث في تل أبيب لقضاء فترة النقاهة؛ وخلال الزيارة نظمت له المخابرات زيارة لمعهد وايزمان للأبحاث. وعندما عاد الى فيسبادن كان قد شفي تماماً من ذكريات جرحه، حاملاً معه ذكريات جديدة حارة، وكتاباً مصوّراً عن «اسرائيل» وضعه أحد معارفه الاسرائيليين الجدد. ولم يمض وقت طويل حتى أدت زيارة «شولزن Cholzen» لإسرائيل، الى تلقّي شركة «أسمرة كيمي» طلبيات من شركات اسرائيلية، جاء بعضها مباشرة، وبعضها عن طريق شركات المانية أخرى. وكانت هذه عمليات تجارية بحتة، ومن بينها طلبيات تتعلق بمادة كيميائية تستخدم في صناعة المنسوجات. وفي يونيو ١٩٦٧ حدثت تغييرات في الشركة، حيث سلّم «هيريرت سكارى» البالغ من العمر سبعين عاماً السلطة الفعلية في الشركة الى «شولزن». وبعدها مباشرة بدأت عمليات الشركة مع «اسرائيل» تأخذ الطابع العسكري الخالص.

فقد زوّدت الشركة الجيش الاسرائيلي بعدد /٣٠٠/ جهاز لمقاومة التلوّث، وبعدها حاولت الشركة أن تبيع «لإسرائيل» معدات للتصوير من الجو.

حصلت الشركة على أكبر صفقة تمَّ إبرامها مع «اسرائيل» في عملية

أن اليـورانيوم يتـطلب معالجـة معينة، قبـل أن يصبح من الممكن استخـدامه كوسيط كيميائي. وقد أخبرت شركة «أسمـرة كيمي» مستر ديـويز بـأنها اتفقت مع شركة «شيماجار» للمواد الكيمـاوية، ومقـرها الـدار البيضاء في المغـرب، على معالجة اليورانيوم، ثم إعادته بعد المعالجة الى فيسبادن. لقد كان هنـاك تعـامل بـالفعل بين الشـركتين، إلا أن هذا التعـامل كـان قد تـوقف منذ فتـرة طـويلة. وكان اختيـار شركـة «شيماجـار» فكرة ذكيـة، لأنه لـو انكشف اختفاء اليورانيوم فإن مسؤولية الحادث تقع على الوطن العربي لا على «اسرائيل».

قال «ديويز» في هذا الوقت، ان شركة «أسمرة كيمي» قـد تجاهلت بـأن المانيا عضو بالسوق الأوروبية المشتركة، وأن أي تحركات أو نقـل لليورانيـوم بين دول السـوق الست كـانت تتم تحت رقـابـة وكـالـة تـابعـة للسـوق تسمى «يوراتوم». كما أن تصدير اليورانيـوم، ولو بصفـة مؤقتة للمعـالجة، الى دولـة خارج السوق كـان يستلزم الحصول على إذن من الجهـاز التنفيذي الأعلى في السوق (اللجنة الأوروبية). ولذا حذر «ديويـز» شركـة أسمرة من أن الحصـول على إذن بتصدير اليورانيوم الى الدار البيضاء لن يكون مسألـة سهلة، ولن يتم بسرعة. وأفادت شركة أسمرة بـأنها ستبحث عن شـركة أخـرى داخل السـوق الأوروبيـة المشتركـة، وكيفية التسليم وغيـرها من المسـائل التي سيتم تـذليل عقباتها.

كـانت المفـاوضـات حتى صيف ١٩٦٨ تتم بـالمـراسلة أو عن طـريق التليفون، مما جعل الجمعية العامة للمعادن جاهلة بحقيقة شركة أسمرة. ولذا اقترح «ديويز» زيارة «شولزن» في فيسبادن لإجراء المفـاوضات النهـائية وجهـاً لوجه. وكانت الزيارة في مقر شـركة أسمـرة مشكلة صعبة، لأن ديـويز سيـرى بنفسه ذلك الفناء المؤدي الى المدخل الضيّق للشركـة، وسيدرك استحـالة أن يكـون لـدى الشـركـة مكـان يكفي لتخـزين / ٢٠٠/ طن من اليـورانيـوم، واستخدامها بأي صورة من الصور.

لكن شولزن بخبرته الطويلة كرجل تسويق، تصرّف بأسلوب لبق للغاية.

انتزاع /٢٠٠/ طن من أكسيد اليورانيوم من أحد المعامل بأوروبا. فقد وصل أمر توريد اليورانيوم الى مقر الجمعية العامة في بروكسل في مارس ١٩٦٨، وهذه الجمعية تابعة لمنظمة عملاقة أخرى هي «الجمعية البلجيكية العامة»، ذات المصالح والاهتمامات المتنوعة التي تمتد من الأعمال المصرفية الى الشحن، الى صناعة الورق، الى التعدين. وقد ورد الأمر الخاص باليورانيوم الى «دينس ديويز» رئيس قسم اليورانيوم في الجمعية.

وكان من ضمن الشركات القائمة بجانب الجمعية، شركة التعدين العملاقة «انيون منيير» التي كانت القوة الكامنة وراء استعمار بلجيكا للكونغو، وتمكنت من شحن كميات ضخمة من أكسيد اليورانيوم الى بلجيكا. وتمّ تخزين هذه الكميات في مخزن بالقرب من قرية تقع الى الشرق من «انتوبرت». وكانت الجمعية العامة للمعادن تجد صعوبة في ايجاد مشترين لتصريف هذه الكمية من اليورانيوم.

وعندما تلقّت الجمعية الطلبية التي تكلّف عدة ملايين من الدولارات من شركة «أسمرة كيمي»، لم يكن أحد في الجمعية قد سمع بهذه الشركة من قبل. ومن الطبيعي أن ديويز كان مهتماً بالتعرّف على مدى قدرة هذه الشركة المجهولة على الدفع. وجاء ردّ الشركة ليؤكد الثقة بها.

فقد كانت المبالغ اللازمة قد أودعت بالفعل في مصرف بزيوريخ. وصدّق البنك على ما قالته الشركة. ولكن أحداً في الجمعية لم يكن قد سمع بهذا البنك. وطلبت الجمعية اجراء تحرّيات بشأن المركز المالي للبنك. وعندما جاءت نتيجة التحرّيات مُرْضية، قالت الجمعية أنه سوف يسعدها أن تتعامل مع شركة «أسمرة كيمي».

انها خدعة كبيرة في الحقيقة ضمن مسلسل الخدع الصهيونية الطويل. إذ أن «شولزن» كان يصرّح بأن الهدف من الصفقة هو أن شركته تنوي انتاج البتروكيميائيات على نطاق واسع، وأنها بحاجة الى اليورانيوم لإستخدامه كوسيط في بعض عملياتها الانتاجية. ولكن الحقيقة كانت خلاف ذلك؛ حيث

قدعا «ديويز» الى منزله الواقع وسط تلال مليئة بأشجار الصنوبر في قرية «هتنهاين»، على مسافة عشرة أميال من فيسبادن، والمجهز على الوجه الأكمل بحمام السباحة الموجود فيه، والكراج بسياراته الثلاث؛ وتم اللقاء بحضور عدد من الرجال حسبهم «ديويز» من العاملين في الشركة، وكانوا يتحدثون بالالمانية فيما بينهم (وهم من رجال الموساد) بينما المفاوضات كانت بالانجليزية. وعندما أثيرت مشكلة الشركة المغربية، أعلن «شولزن» أنه وجد شركة أخرى في ايطاليا يمكن أن تتولى الأمر، واقترح وسيلة النقل بالبحر، اذا لم تكن هناك مشكلة بسبب ابتعاد شحنة اليورانيوم عن أراضي السوق الأوروبية المشتركة لفترة من الوقت. وأفاد «ديويز» بأنه لا توجد مشكلة لأن الرحلة لا تمثل تصديراً لليورانيوم خارج دول السوق الأوروبية المشتركة. إلا أن الجمعية العامة للمعادن لم يكن لديها فضول للتحقق من ماهية شركة «أسمرة كيمي»، كما أنها لم تهتم بالشركة الايطالية «سايكا» التي اختارها شولزن.

وعند عودة «دنيس ديويز» من فيسبادن الى بروكسل لتنفيذ الطلبية، كان هناك فصل آخر من التمثيلية المتقنة تدور أحداثه في زيوريخ.

ففي ١٩/٨/١٩٦٨، تم تفويض مكتب خاص في زيوريخ لمثل هذه العمليات. وبعد ٢٤ ساعة من تفويض المحامي، تم تسجيل شركة ملاحية ليبيرية تحت اسم «بيسكاين تريدرز كوربوريشن» ومديرها «بورهام ياريسال» كما هو مبين في السجلات الليبيرية.

وفي أواخر أغسطس ١٩٦٨، طلب «ياريسال» من سمسار البواخر «ميلر» في هامبورج شراء سفينة حمولة /١٥٠٠/ طن، وتم شراؤها بمبلغ /١٦٠/ ألف استرليني، ودفع ثمنها عن طريق بنك هامبورج. وأصبح لدى شركة «بسكاين تريدرز كوربوريشن» سفينة بعد خمسة أسابيع من تكوينها. وتمت الصفقة بسرعة أثارت دهشة مالكي السفينة شيرزبرج وهم أصحاب احدى شركات الملاحة في هامبورج. وقد دار بخلد المسؤولين في هامبورج

أن شيرزبرج ربما تستخدم في تهريب الأسلحة. كما تراءى للبعض أنها سوف تستخدم في أيّ عمل مريب.

ولكي تكتمل التمثيلية المتقنة، طرد «ياريسال» بحارة السفينة في شيرزبرج في اليوم التالي. وأحضر مجموعة من البحارة نقلوا من سفن أخرى مملوكة لياريسال. ولم يصل القبطان الجديد الذي عيّنه ياريسال إلا يوم ٨ اكتوبر. وفي اليوم التالي /٩ اكتوبر/ بدأت السفينة شيرزبرج التي سمّيت «شيرزبرج - ١» رحلة طويلة الى الجنوب يرفرف عليها العلم الليبيري، حاملة شحنة توجهت بها الى ميناء نابولي. ورغم عدم علم البحّارة، فإن هذه الرحلة كانت «البروفة» النهائية للعملية. وبعد اتمام الرحلة الى نابولي تلقى بحارة «شيرزبرج - ١»،أنباء تفيد بأن ياريسال باع السفينة، وأن ملاكها الجدد يريدون أن يضعوا عليها بحارة وقبطاناً آخر من التابعين لهم. وتم تنفيذ ذلك بمجرد وصول السفينة الى روتردام يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٨، حيث تلقى البحارة أجورهم وتركوها.

وفي ١٥ نوفمبر ١٩٦٨، غادرت السفينة «شيرزبرج - ١» روتردام في طريقها الى انتوبرت لشحن اليورانيوم. وكان الشيء الغريب ظهور «هيريرت شولزن» فجأة على ظهر السفينة، ودون سابق اعلان، مهتماً بكل شيء يتعلق بالشحنة. حتى أنه كان يقوم بالتتميم على البراميل. والشيء الغريب أيضاً أن عدد البحارة كان محدوداً للغاية. فقد كانوا نصف العدد المعتاد.

وبعد دقائق من منتصف ليلة الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٦٨ أبحرت «شيرزبرج - ١» وبداخلها /٢٠٠/ طن من أكسيد اليورانيوم المعبأ في براميل مكتوب عليها «بلمبات» وهو الاسم الرمزي الذي اختارته الموساد للعملية. وكانت الوجهة المعلنة للسفينة هي جنوى، لكنها لم تصل قط الى هناك. وفي ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨ ظهرت السفينة في ميناء الاسكندرونة؛ وقال القبطان لسلطات الميناء أن السفينة فارغة، الأمر الذي لم يكن صحيحاً.

.وبعدها أخذ القبطان وبحارته السفينة الى «بالرمو» بصقلية واختفوا تماماً.

ومرة أخرى عاد ياريسال ووضع البحارة القدامى على السفينة. وكان هذا الاجراء محيّراً، مما أثار فضول البحارة لمعرفة المكان الذي ذهبت اليه السفينة خلال الشهر الذي غابوه عنها. وراجعوا السجلات ووجدوا الصفحتين الأخيرتين منزوعتين.

وفي أواخر سنة ١٩٦٩ اجتمع المسؤولون من أعضاء السوق الأوروبية سراً لبحث الموضوع، وقرروا إغلاق ملف القضية والابقاء على سرّيتها. وكان لدى البعض الشك في أن اسرائيل هي المسؤولة عن العملية، وأن السفينة شيرزبرج ـ ١ قد اتجهت الى مكان بالقرب من قبرص، وأن الشحنة نقلت في البحر الى سفينة أخرى، وأن الوجهة النهائية لشحنة اليورانيوم هي «مفاعل ديمونا» الذي يوجد في بيرشيا بصحراء النقب. وبواسطة هذا المفاعل يمكن تحويل اليورانيوم الى البلوتونيوم الذي تصنع منه القنابل النووية.

ولكن الحكومة الاسرائيلية تنفي مسؤوليتها عن الموضوع باستمرار منذ تسرّب هذه القصة. وفي تموز/يوليو ١٩٧٣، بعد خمس سنوات من حادث شيرزبرج، اعترف عميل اسرائيلي يدعى «دان أربل» بدوره في هذه العملية بعد القاء القبض عليه مع خمسة اسرائيليين في النرويج، واتهامهم بالتجسس والاغتيال. وذلك بعد فشل محاولة اغتيال «أبو حسن سلامة» هناك، وقتل على أثرها عامل مغربي شبيه به.

وكشف هذا العميل عن أن السفينة شيرزبرج شاركت في عملية اسرائيلية أخرى بعد عام واحد من عملية اليورانيوم، حيث استخدمت في نقل الوقود لتموين الزوارق الخمسة التي اختطفتها اسرائيل من ميناء فرنسي يوم عيد الميلاد عام ١٩٦٩، برغم الحظر الذي فرضته فرنسا على تصدير الأسلحة اليها. اضافة لذلك، وأثناء التحقيق مع العميل «دان أربل»، اعترف للمحقق النرويجي قائلاً: «انني كنت أمتلك شيرزبرج ـ ١»، فتساءل المحقق: ثم ماذا؟ وكان ردّ «أربل»: انها قد حملت اليورانيوم الى «اسرائيل».

وهكذ فشل المسؤولون في وكالة الرقابة الأوروبية «يوراتوم» في ضبط صفقة «أسمرة كيمي» بسبب الانشقاق السياسي داخل السوق الأوروبية المشتركة، وبسبب رفض الحكومات الأوروبية الاذعان للضوابط التي وضعتها «يوراتوم». كما أن الصفقة أجازها محامٍ لا يفهم في الأمور المتصلة بالطاقة النووية، عندما اكتفى بحديث غير رسمي جرى بينه وبين «ديويز» نائب مدير الجمعية العامة للمعادن. ولا يستغرب أن يكون هذا المحامي «موسادياً»، بمعنى ارتباطه بالمخابرات الاسرائيلية وتمرير صفقاتها المشبوهة.

وأخيراً نستطيع القول، أن «اللصوصية» هي فنّ قائم بذاته؛ والصهاينة أساتذة مهرة في هذا الفنّ. ومن يسرق ويغتصب وطناً بكامله اسمه: فلسطين، فلن يتورّع عن سرقة شحنة من اليورانيوم، لاستخدامها لاحقاً في إبادة شعب فلسطين وأشقائه من العرب أجمعين، تمهيداً للقضاء على الجنس البشري بأكمله باستثناء «شعب الله/المختار»!!.

المراجع

١ ـ اللواء الركن خضر الدهراوي «اسرائيل واليورانيوم وأسرار عملية بلمبات». مجلة «العربي» (الكويتية). العدد ٣٣٦. تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٦. ص ١٨ ـ ٢٢.

٢ ـ الدكتور محمد خيري بنونة «السياسة النووية لاسرائيل». منشورات دار الشعب ـ القاهرة. الطبعة الأولى ١٩٧٠. ص ١٩ ـ ٢٠ و٧٦.

٣ ـ محمد عطوي «أسرار جديدة حول السياسة النووية لاسرائيل» جريدة «الشرق» (اللبنانية). الجمعة ١٩٨٦/١١/١٤. ص ٧.

٤ ـ مجلة «الى الأمام» (الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة). العدد ٩٦٤. الجمعة ١٩٨٦/١٠/٧. ص ٧ (نقلاً عن صحيفة «البرافدا» السوفياتية).

الاخطبوط الصهيوني
وأسرار عملية تغلغله في العراق

ليس من المستغرب، في أي عصر من العصور، أن يعمد التجار الى عمليات تهريبية لكثير من البضائع والسلع، عبر أوسع الحدود والدول، بغية جني الأرباح الهائلة وتكديس الأموال. الا أن ما يثير الاستغراب، أن يصبح الانسان في القرن العشرين، خاضعاً لقوانين السلع المستوردة والمصدّرة، بقصد ليس بعيداً عن بربرية القرون الوسطى وأهداف الغزو والقتل والتشريد، وصولاً لبناء دولة سرطانية في قلب الوطن العربي أطلق عليها اسم «اسرائيل».

وعندما كانت «المادة البشرية» هي أكبر العقبات أمام المشروع العنصري الاستعماري الاستيطاني الصهيوني، فقد كان ضرورياً، لدى المخططين، انتهاج جميع السبل والأساليب لإغراق هذا الكيان ـ الوليد بمقومات وجوده واستمراريته وديمومته: فكانت عمليات تهريب اليهود من شتى أقطار العالم الى أرض فلسطين العربية باعتبارها ـ صهيونياً ـ «أرض الميعاد لشعب الله المختار». وقد كانت عملية تهريب اليهود من العراق الى اسرائيل من أكبر العمليات وأهمها في تاريخ هذه الدولة. كما كانت شبكاتها التجسسية فيها من أخطر الشبكات وأعظمها أثراً.

كيف تمت هذه العملية؟ وما هي أسرارها؟.

شكل الصهاينة، في الواقع، مجلساً شرفياً لإدارة عمليات الهجرة

اللاشرعية الى فلسطين، وخاصة من البلدان العربيّة. وكان في عداد من أرسلوا من «الموساد» كل من «داڤيد ناميرى» في سوريا ولبنان، و«اينزوسيزيني» وآخرون في العراق، و«بارجيلاد» في ايران، و«روث كليجر» في مصر.

لقد كان التنظيم في العراق شاقاً، بوجه خاص (باعتراف جون وداڤيد كيمحي). . . وكان من الضروري الاحتفاظ بالسرية التامة، وابقاء جميع النشاطات سرية بشكل دقيق. فالسلطات العراقية كانت لديها مصادر جيدة للمعلومات. وقد حاربت بشدة عمليات النقل السرية الى فلسطين. وكان نصيب الكثيرين من اليهود العراقيين المتعاونين مع «الموساد» أحكام طويلة بالسجن وبعض أحكام الاعدام. ورغم ذلك بنيت منظمة صهيونية ناجحة تضم اليهود من جبال. . كردستان في الشمال نزولاً الى البصرة على الخليج العربي، حيث كانت الشاحنات المزودة بغرف صالحة للاختفاء تنقل مجموعات من عشرة الى خمسة عشر شخصاً. وكان «اينزوسيزيني» أحد المنظمين الرئيسيين لهذه المنظمة الصهيونية السرية، وللهجرة اللاشرعية الى فلسطين من العراق. وبعد عامين من اجتياح الحلفاء لسوريا في يونيو ١٩٤١، والذي شاركت فيه وحدات من منظمة الهاغانا، واجه «اينزوسيزيني» الموت على أيدي الالمان، بعد أن نزل بالمظلة بمساعدة بريطانية خلف الخطوط النازية بهدف اقامة تنظيم يهودي سري مماثل في ايطاليا.

كان موته خسارة كبرى للموساد. واحتلت مكانه زوجته «آدا» الجميلة، التي أصبحت احدى العميلات القياديات للموساد في ايطاليا بعد الحرب. غير أنه من العراق نفذت بنجاح أول عملية نقل جوية «للاشرعيين» على متن طائرة «داكوتا» كانت تهبط في مطار حيفا.

وتطورت عملية «الهجرة ـ التهجير» بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، حيث تولى داڤيد بن غوريون شخصياً هذه العملية، وأرسل الكثير من عملائه لزرع المتفجرات في الأحياء اليهودية لدفعهم الى الهجرة، ونجح في ذلك.

وقـد لعبت ايـران دوراً أسـاسيـاً في المـوضـوع بعـد أن تحـولت «عبـادان» و«المحمرة» الى مركزين رئيسيين لانطلاق جواسيس اسرائيل عبر ميـاه الخليج العربي الى البصرة فالمدن العراقية الأخرى، الى جانب اقامة مراكز التـدريب التجسسي فيهمـا لتدريب العمـلاء على أعمال التجسس والتفجيـر والتخـريب وتسميم الميـاه وتدميـر المراكـز الحساسـة وإشعال الحـرائق المفتعلة، وإتقان التـزيّف، الى آخـر مـا هنـاك من أعمـال تؤدي الخـدمـات الفعـالـة لصـالـح المخابرات الاسرائيلية ـ الايرانية المشتركة ضد العروبة بتوجيـه من ستة عشـر ضابطاً اسرائيلياً كانوا يقيمون في مناطق ايرانية مجاورة للأراضي العراقية.

ففـي شهـر نـوفمبـر ١٩٦٦، أوقفـت المخابـرات العراقيـة المدعـو «فجر عبدالله» ـ ايـراني الجنسية ـ ولـدى تحرّيـه وجدت معـه رسالـة تضمنت معلومات هامة عن القوات البحرية العراقية، مقرونة بوثائق اخرى تثبت تعامله مع جهة أجنبية في مجال التجسس على الجيش والقوات المسلحة العـراقية. وتطور التحقيق وتشعب فأدى الى اكتشاف شبكة تجسس رهيبة تعمل لحسـاب اسـرائيل في الأراضي العـراقية، وكشف المتهم الأول فيهـا «يعقـوب يـوسف جاسم» المتزوج من ايرانية، ويتعـاطى التهريب عبـر الحدود، كشف النقـاب عن أساليب المخابرات الايرانيـة ـ الاسرائيليـة في المنطقة، كما حـدّد طريقـة تجنيدها الأفراد باعترافه التـالي: «أنه تعـرّف خلال اجتيـازه منطقـة قريبـة من الحدود الايرانية ـ العراقية على شخص يدعى «عبد نابلون» الذي سيطر عليـه بعـد مـا أدرك مكـامن الضعف في نفسـه، وجعـل منه عميـلاً للمخـابـرات الاسرائيلية. ومن ثم قدمه الى مدير المخـابرات الايـرانية الـذي يحمل اسمـاً رمزياً «أبو منصور» والذي حدّثه باللغة الفارسية وأفهمه أن ارتباطه سيكـون مع رجل آخر في المخابرات..».

ويصف يعقوب ما حصل له فيما بعد بقـوله: «أخـذني عبد نـابلون الى بناية في احدى الشوارع الرئيسية وبرقم (١٥)، ودخلنا غرفة رقمهـا (٦) حيث التقيت بـرجل أطلق عليـه نابلون اسم «أبـو صادق». فيمـا بعد علمت أنـه هو المسؤول عن ادارة شبكات التجسس في المنطقـة. وخلال حـديثه معي طلب

مني تزويده بمعلومات عن الأسلحة التي تقرر ارسالها الى عمان في الأردن وعما يحتويه المخزن رقم (٣) من أسلحة، فوعدته خيراً،ثم افترقنا لأبدأ مهمتي». ويضيف يعقوب قائلاً: «لقاء كل ما قمت به من نشاط تلقيت مبالغ من المال الى جانب تعييني في وظيفة وهمية بإحدى الشركات التي يملكها بعض أفراد اليهود في طهران». وجاء في اعترافاته أيضاً ما يلي: «وكان المتهم عزاوى الجبوري قد وصل ايران ومعه ورقة خط فيها رسالة رمزية باللغة الفارسية (خرمشهر جنابانه بهلوى شهر يافي)، وتعني هذه الجملة أن عزاوى هذا قد التحق بالشبكة. . . ومهمته كانت الحصول على معلومات تتعلق بالطائرات الروسية وشبكة الرادار». ويضيف يعقوب قوله: «وقد علمت أن هناك ستة عشر ضابطاً اسرائيلياً تابعون للمخابرات الصهيونية وموزعون على الشكل التالي: اثنان في عبادان، واثنان في كرمنشاه واثنان في شيراز وعشرة في طهران».

هذا وقد اعترف عزاوى الجبوري، الذي جند عن طريق شخص يحمل اسماً رمزياً (فهد) اعترافاً كاملاً عن طبيعة مهمته في الحصول على معلومات عسكرية عن الجيش العراقي وتسليحه ونوعية السلاح الروسي الموجودة لديه.

وقبل أحداث ١٩٦٧، كشفت السلطات العراقية النقاب عن عملية تجسس لحساب «اسرائيل» وفضحت شبكتها التي كان يديرها الصهيوني «فيكتور عزرا مناحيم» عن طريق ايران، حيث كان يقيم شقيقه في طهران باعتباره صلة الوصل بينه وبين المخابرات الاسرائيلية.

ولم يكن فيكتور لوحده، وإنما كان يساعده في مهام عمله عدد من الاشخاص أغراهم بالمال الذي كانت تغدقه عليه المخابرات الاسرائيلية بسخاء. وأبرز هؤلاء «شيخان» حيث كانت مهمته تقديم المعلومات عن السلاح البحري، وآخر هو «فجر» الايراني الجنسية ومهمته التسلل عبر الحدود لإيصال التقارير وتسلم التعليمات الخاصة بالشبكة.

أمام كل ذلك، لم تكن المخابرات العراقية بغافلة أيضاً عن خيوط

أخطر وأكبر شبكة تجسس اسرائيلية عرفها الشرق الأوسط. . . نشطت في منطقة الخليج العربي وامتدت فروعها من بغداد الى السودان مروراً بلبنان والكويت وسوريا ومصر. . .

افتضح أمر هذه الشبكة في بداية عام ١٩٦٨، وتبين أن المخابرات الاسرائيلية أوجدتها خليطاً من ايرانيين وعراقيين واسرائيليين ومن جنسيات مختلفة. وسلطت أضواء المراقبة على تحركاتها. وما إن حل شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٨ حتى كانت كافة عناصرها في قفص الاتهام.

ودلّت التحقيقات المقرونة باعترافات المقبوض عليهم، وعددهم (٣٦) جاسوساً، أن معظم أفراد الشبكة هم من اليهود الذين يحملون الجنسية العراقية، وأنها كانت تسعى للحصول على معلومات من النواحي التالية:

١ ـ معلومات عسكرية عن الجيش العراقي وتنظيماته وتشكيلات ألويته.

٢ ـ تحديد نوعية صفقات الأسلحة الجديدة التي تسلمها الجيش العراقي ويشمل ذلك:

المصدر ـ وعيار الأسلحة وأنواعها وكمية الذخيرة الواردة معها ـ ومدى تجاوب العناصر العسكرية لأوامر قياداتها ـ ومعنويات العسكريين من ناحيتي الدفاع والهجوم.

وجاء يوم ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٨، فنشرت السلطات العراقية المختصة أسماء الـ (٣٦) متّهماً أعضاء هذه الشبكة التجسسية العاملة لحساب المخابرات الاسرائيلية، من بينهم ستة عشر عنصراً من اليهود وهم:

حزقيل صالح حزقيل ـ هارون سلمان هارون ـ حزقيل زلخا ـ عزرا ناجي عزرا ـ فؤاد كباي ـ سعيد حزكي ـ جورج موشى حايك ـ شاؤول ساسون ـ البير حاخام ـ صباح حاييم ـ يوسف زلخا ـ صبيح حكيم ـ زكي اند روبوتو ـ داوود حزقيل ـ داوود غالي ـ ونعيم خضوري هلالي . . .

وتشعب التحقيق فيما بعد مع عناصر هذه الشبكة فذكر المتهم «صادق جعفر الحاوي» بأن مجموعته كان يرأسها اليهودي «يوسف زلخا» المقيم بالبصرة. . . وكان صادق وزملاؤه يقومون بجمع المعلومات عن الأسلحة العراقية ويبعثون بها الى البصرة حيث كانت تنقل الى اسرائيل بواسطة بحارة يعملون على ظهر بواخر تسير ما بين البصرة وعبادان. . .

وأضاف «صادق» في اعترافاته بأن لدى أعضاء الشبكة جهازاً لاسلكياً أخفوه في «كنيسة السبتيين» بالبصرة. . . بالوقت نفسه أوضح دوره الفعال المكلف به من قبل القائمين على توجيه الشبكة، بأنه مولج باستقصاء المعلومات عن النواحي العسكرية التالية في منطقة البصرة وتشمل: ـ مراكز التدريب ـ أسلحة الدبابات والمدرعات ـ القاعدة الجوية (ذكر عدد الطائرات وأنواعها وتسليحها) ـ القاعدة البحرية (تحديد نوعية القطع البحرية ومدى استيعاب الحوض البحري وبيان عن تسليح كل قطعة) ـ تحديد الحالة النفسية للقوات العراقية التي تتوجه الى الضفة الشرقية في الأردن.

وذكر أيضاً: ان عناصر النسف والتخريب التي كانت تعمل تحت امرة الشبكة كانت تتلقى تدريبها على أيدي اخصائيين اسرائيليين في مدينة عبادان بإيران. واختتم اعترافاته مؤكداً بأنه قام شخصياً بنقل عدة رسائل الى عبادان لصعوبة ارسالها عن طريق جهاز اللاسلكي الذي كانت تملكه الشبكة.

كما واعترف المتهم «عبد الهادي البجارى» أنه «كان يتسلم الرسائل التي تصله من الجاسوس اليهودي زلخا ويسلمها الى التاجر عبد الحميد الدامرجي المقيم في بغداد، والذي كان على اتصال مباشر بـ «شاؤول ساسون» و«ألبير حاخام» وسواهما من عناصر الشبكة».

أما المتهم «صباح حاييم» الصهيوني، فقد اعترف بأنه استدعي من قبل المتهم الرئيسي ناجي زلخا ليتبع دورة تدريبية في عبادان، وبعد أن أمضى هناك ثلاثة أسابيع درب خلالها على أعمال النسف والتفجير والتخريب، عاد الى العراق بطريقة غير مشروعة.

واعترف المتهم «فؤاد كباي» الصهيوني أيضاً أنه «اتصل ـ بالاتفاق مع المتهم زلخا ـ بالمتهم البير حبيب توماس الذي وافق على نقل رسائل الشبكة خارج العراق عن طريق أخيه الذي يعمل على ظهر احدى البواخر». . .

واستناداً لاعترافات بقية المتهمين ثبتت ادانة هؤلاء العاملين لحساب المخابرات الصهيونية، كما دانتهم المستمسكات. . . فقالت العدالة كلمتها، وأصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على كل من: عزرا ناجي زلخا (رئيس الشبكة) ـ البير حبيب توماس ـ عبد المحسن جار الله ـ زكي اند روبوتو ـ يعقوب برجي تامردي ـ داوود حزقيل ـ داوود غالي ـ حزقيل صالح -حزقيل ـ صباح حاييم ـ نعيم خضوري ـ كارلوس رفائيل هاووش ـ تيودور رفائيل هاووش ـ عبد المحسن محمّد الحاج ـ فؤاد كباي ـ داوود باروخ دلال ـ تشارلز اندروس ـ محمد علي حاجي ـ وجعفر صادق الحاوي. أما الذين نفذ حكم الاعدام فيهم شنقاً حتى الموت، فكان من بينهم تسعة من اليهود العراقيين هم: عزرا ناجي زلخا ـ فؤاد كباي ـ يعقوب برجي تامردي ـ داوود باروخ دلال ـ حزقيل صالح حزقيل ـ صباح حاييم ـ نعيم خضوري هلالي ـ تشارلز اندروس ـ ورفائيل حوريش.

أما بالنسبة للمتهم «جعفر صادق الحاوي»، فنظراً لوجود أسباب مخففة تقديرية، قررت المحكمة تخفيض عقوبة الاعدام الى الاشغال الشاقة المؤبدة على اعتبار أن المتهم ساهم مساهمة فعالة في الكشف عن شبكة التجسس وسهل مهمة التحقيق.

كما حكم على المتهمين: نزار باقر السرج، وعبد الرزاق الحسين الجراح بالسجن ثلاث سنوات. . . كما وعلى المتهمين: هارون سلمان هارون ـ وسعيد زكي بالسجن ستة أشهر، بينما قررت المحكمة الافراج عن المتهم حزقيل زلخا لعدم توفر الأدلة رغم أنه شقيق المتهم الرئيسي.

هذا ولم يقف الأمر عند هذا الحد. ففي التاسع عشر من شباط/فبراير ١٩٦٩، أصدرت محكمة الثورة في بغداد حكمها بإعدام شبكة جاسوسية

صهيونية قوامها العناصر الثمانية التالية أسماؤهم: عبدالله داوود سليمان ـ عبدالله جاسم الجبوري ـ عباس جلود (جندي) ـ قاسم قاطع اللامي ـ رعد طه أحمد الجناوي (طالب). محمد غفور (جندي) ـ محمد اسماعيل (رئيس عرفاء في الجيش) وعماد حنوش (طالب).

وبعد هذا التاريخ بمدة لا تتجاوز أسابيع ثلاثة، افتضح أمر شبكة جاسوسية لحساب «اسرائيل»، مؤلفة من أربعة عناصر (اثنان عراقيان واثنان ايرانيان) وضبط لدى أحد المتهمين جهاز ارسال لاسلكي كانت الشبكة تستخدمه في إرسال المعلومات الى ايران، حيث يتسلمها العميل المركزي الاسرائيلي المقيم هناك.

وكانت الشبكة مولجة بجمع المعلومات عن الأوضاع الاقتصادية في العراق وإرسالها عن طريق جهاز لاسلكي الى ايران.

وقد اعترف أحد المتهمين، والمدعو «عبد العامر الشرقاوي» بأن هذه الشبكة كانت تعمل فعلاً لحساب المخابرات الاسرائيلية ولها فروع في ايران وتركيا.

وبتاريخ ١٩٦٩/٣/٧ أصدرت محكمة الثورة في بغداد حكمها بإعدام المتهمين الأربعة شنقاً حتى الموت. وفيما بعد نفذ الحكم.

وتابعت السلطات العراقية تصفية أوكار التجسس العاملة لحساب الصهاينة ومخابراتهم، فكشفت النقاب عن وجود شبكتين، تتألف الأولى منها من:

ـ جواد عبد المجيد الحداد (ملازم أول في الجيش العراقي المرابط في الأردن).

ـ مجيد أحمد العلوان (رئيس عرفاء في الجيش).

ـ طالب عبدالله الصالح وأخوه علي (وهما مدنيان من أهالي البصرة).

وكذلك كان حكم الاعدام جزاء لهم، حيث نفذ فيهم الحكم في أواخر

ابريل ١٩٦٩. أما الشبكة الثانية، فكانت تتألف من عنصرين مدنيين وهما من منطقة البصرة أيضاً:

- عبد الجليل مهاوي - وعبد الرزاق ذهب.

وأثناء محاكمتهما أدليا بمعلومات مفصلة عن دور كل منهما بالتجسس على الجيش العراقي لحساب المخابرات الاسرائيلية عن طريق الاتصال بالمركز التجسسي الاسرائيلي في المحمرة بإيران، فصدر قرار الحكم بإعدامهما، حيث نفذ في مطلع شهر أيار/مايولعام ١٩٦٩.

يبدو من خلال ذلك، أن دولة الاحتلال الصهيوني، التي زرعت زرعاً في وطننا العربي، لن تدّخر جهداً في التغلغل الى كل أعضاء الجسم العربي كما يتغلغل داء السرطان. وهي تدرك تماماً أن ما يصيب أي عضو في هذا الجسم سينعكس حتماً على الأعضاء الأخرى ويؤثر فيها وعليها.. بينما نرى في المقابل أن هذا المرض الخبيث آخذ في التغلغل والتوسع مقابل التشرذم والتمزق والشلل بين أعضاء الجسم الواحد بعيداً عن الوحدة والتوّحد في مقاومته... وسيبقى الخطر مستشرياً ما دام الشلل والتفرّد سيدي المرقف.

المراجع

١ ـ جون وداڤيد كيمشي «الدروب السرّية» ترجمة «فلسطين المحتلة» مطابع الكرمل. بيروت ١٩٨١ . ص ٥٧ ـ ٦١ .

٢ ـ فتحي كركوتلي في مجلة «الدستور» اللندنية. العدد (لندن ٣٥٦). الاثنين ٧ كانون الثاني / يناير ١٩٨٥ . ص ٢٦ ـ ٢٨ .

٣ ـ نزار عمار «الاستخبارات الاسرائيلية» ص ٣٧ ـ ٤٢ .

٤ ـ غادة المقدم عذرة «هجرة الطائفة اليهودية من العراق». مجلة «تاريخ العرب والعالم». العدد ٥٤. ابريل ١٩٨٣. ص ٦٦.

غسان كنفاني:
من العذاب الى الخلود

ليس المهم أن نستشهد بل المهم أن نصنع باستشهادنا اسطورة الحياة لأجيال لاحقة بنا، لاقتطاف ثمرة الاستشهاد وتحويلها لصالح الشعب والوطن والقضية.

فالشهادة ليست طريق الفناء والنهاية، بل هي طريق البقاء والاستمرار والخلود.

وفق هذا المبدأ عمل المناضل العربي الفلسطيني والكاتب المبدع: غسان كنفاني. وعلى أساس هذا المبدأ أيضاً، استشهد غسان كنفاني في الثامن من شهر يوليو ١٩٧٢، على أرض بيروت التي أصبحت قطعة من لحمه ودمه، وبالتحديد على أرض منطقة الحازمية في صباح يوم حار، على صعيد الطقس والوضع السياسي.

فمن هو غسان كنفاني؟ وكيف كانت عملية اغتياله؟.

تطرق الأديب حليم بركات الى ذلك قائلاً: غسان حلم جميل في ليل عربي حار. يمر الزمان ويظل يتوهج، يفعل في النفوس، يوحي، يشع، يضيء الزوايا المعتمة في الحياة العربية. يحول الليل الى صباح، فهو بداية دائمة. غسان ظاهرة نادرة. يجمع بين طاقات متعددة، تتلاحم وتعمل بانسجام في خدمة قضية هي من أعدل القضايا وأنبلها، انها قضية تحرير الانسان؛ وتحريره في فلسطين، هو تحرير الانسان في كل مكان وكل زمان.

أقبل غسان بكل طاقاته ودفعة واحدة وبأسلوب هادر، فكان وما يزال كالنبض والبرق والرعد والمطر فوق صحراء حياتنا. . . الرمل يتحول الى تراب، والتراب يكتسي بالعشب والزهر. . . تطور غسان منذ طفولته في القضية الفلسطينية، ونضج بفعل نيرانها، كل كلمة كتبها كانت بوحيها ومن أجلها. وكما الشروق يعني بداية الغروب، كذلك الغروب/يعني بداية الشروق. ولأنه صنع استشهاده، سيظل غسان طاقة هائلة تحرك الوجود العربي. سيظل يوحي ويشع ويفجر ينابيع الخلق في حياتنا. وسرّ عظمته أنه رفض الخضوع واختار الموت طريقاً الى الشمس.

ولد غسان كنفاني في مدينة عكا بفلسطين عام ١٩٣٦، في تلك السنة العربية التي شهدت أطول اضراب عربي في التاريخ ضد المستعمر البريطاني وحلفائه الصهاينة. ولد من عائلة متوسطة، وانتقل مع أبويه الى يافا، حيث تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة تابعة لإرسالية فرنسية، وقبل أن يكمل عامه الثاني عشر، قامت العصابات الصهيونية بمهاجمة المدن الفلسطينية وارتكبت فيها المذابح التي تقشعر لها الأبدان، والتي تؤكد أن العنصرية والاجرام يسري مع الدم في عروق بني صهيون وحلفائه الكبار والصغار. فاضطر غسان الى النزوح مع عائلته المكونة من أبويه وجدّه وسبعة أشقاء الى جنوب لبنان، حيث أقاموا هناك فترة قصيرة من الزمن قبل أن تنتقل العائلة الى دمشق.

في بداية الخمسينات التحق غسان كنفاني بحركة «القوميين العرب» المناهضة للإستعمار والاحتلال. وفي عام ١٩٥٣ كتب قصته الأولى وكان اسمها «أنقذتني الصدفة» وأرسلها الى برنامج أسبوعي كانت تبثه اذاعة دمشق تحت اسم «ركن الطلبة». وبالفعل أذيعت القصة مساء ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٣.

ثم نشر قصته الثانية في جريدة «الرأي» عام ١٩٥٣ بعنوان «شمس جديدة» التي تدور أحداثها حول طفل صغير من غزة. وفي العام ١٩٥٦ سافر

غسان الى الكويت ليعمل مدرساً للرسم والرياضة في مدارسها الرسمية. وكان في هذه الأثناء يعمل في الصحافة، كما بدأ اتجاهه الأدبي في الفترة نفسها بالنضوج. وهناك ومن خلال مشاهدته للصحراء، ولأبناء شعبه، وللعلاقات السائدة، يختزن في ذهنه مئات الصور والفواجع الانسانية، ليستفيد منها بعد سنوات في روايته الشهيرة «رجال في الشمس» التي كتبها عام ١٩٦٣.

انتقل كنفاني الى بيروت عام ١٩٦٠، حيث عمل محرراً أدبياً لجريدة «الحرية» الاسبوعية، ثم أصبح عام ١٩٦٣ رئيساً لتحرير جريدة «المحرر». كما عمل في جريدة «الأنوار» تحت اسم «فارس فارس»، وكذلك في مجلة «الحوادث» حتى عام ١٩٦٩، والتي نشر فيها رواية شهيرة بعنوان «من قتل ليلى الحايك؟» و«عائد الى حيفا». ثم أسس مجلة «الهدف» الاسبوعية الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وبقي رئيساً لتحريرها حتى استشهاده.

يمثل غسان كنفاني نموذجاً خاصاً للكاتب السياسي والروائي والقاص والناقد. فكان مبدعاً في كتاباته كما كان مبدعاً في حياته ونضاله واستشهاده. وقد نال سنة ١٩٦٦ جائزة «أصدقاء الكتّاب في لبنان» لأفضل رواية عن روايته «ما تبقى لكم». كما نال جائزة منظمة الصحافيين العالمية عام ١٩٧٤، ونال جائزة «اللوتس» التي يمنحها اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا عام ١٩٧٥.

وفي صباح الثامن من يوليو ١٩٧٢، وبعد دقائق معدودة على خروج غسان كنفاني من منزله في الحازمية كعادته الى مركز عمله في مجلة «الهدف» وبرفقته «لميس حسين نجم» (ابنة أخته)، دوى انفجار كبير اهتزت له منطقة الحازمية، وسمع في مختلف أنحاء بيروت العاصمة. وتطاير على أثره غسان كنفاني كما تتطاير الشظايا في الفضاء.

استشهد غسان على أيدي عملاء «اسرائيل» عندما زرعوا عبوة ناسفة في سيارته الخاصة من نوع «اوبل»، وهي عبارة عن قنبلة بلاستيكية ومعها خمسة كيلو غرامات من الديناميت انفجرت بدورها لتفجر السيارة ومن فيها.

وفي هذا الاطار تقول زوجته ورفيقة نضاله السيدة «آني»: بعد دقيقتين من مغادرة غسان ولميس، سمعنا انفجاراً رهيباً وتحطمت كل نوافذ البيت... نزلت السلم راكضة لكي أجد البقايا المحترقة لسيارته... وجدنا لميس على بعد بضعة أمتار... ولم نجد غسان... ناديت عليه... وثم اكتشفت ساقه اليسرى. وقفت بلا حراك، في حين أخذ فائز - ابنه - يدق رأسه.. بالحائط، وليلى - ابنتنا - تصرخ: بابا... بابا... لقد قتلوك...

والجدير ذكره هنا، أن المحققين وجدوا الى جانب السيارة المنسوفة ورقة تقول: «مع تحيات سفارة اسرائيل - كوبنهاغن». هذه الورقة لها معناها المحدّد. وهي تكشف عن جانب هام من جوانب نضاله السياسي ... فماذا تعني هذه الرسالة الغامضة؟.

من المعروف أن غسان كنفاني كان متزوجاً من فتاة دانماركية اسمها «آني». هذه الفتاة كان لها دور كبير في حياة غسان ونضاله السياسي ونشاطه الثوري. وقد اعتمد عليها غسان في توثيق صلاته بكثير من الأوساط الأوروبية... بل واعتمد على مساعدتها له في الحصول على كثير من الوثائق المتصلة بواقع العرب في الأرض المحتلة، هؤلاء الذين كانوا يبلغون أكثر من نصف مليون عربي داخل فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧، والذين أصبحوا أكثر من مليون ونصف مليون مواطن بعد أن وقعت الضفة الغربية لنهر الأردن تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني. لذلك فإن هذه الورقة التي عثر عليها المحققون بمكان الانفجار تعني اشارة واضحة للدور الذي لعبه غسان من خلال هذه الزوجة المثقفة الوفية لزوجها، ولشعب فلسطين العربي. وتجدر الاشارة الى أن غسان التقى مع «آني» لأول مرة وهي تقوم بزيارة لبعض الدول العربية لإعداد دراسة عن «اللاجئين الفلسطينيين». وقد تعرفت على غسان باعتباره كاتباً فلسطينياً يمكن أن يساعدها في إعداد البحث وتقصي الحقائق... وانتهت هذه المعرفة الى الزواج...

لقد أبدت الصحف الصهيونية، في الواقع، اهتماماً كبيراً باستشهاد

غسان كنفاني في اليوم الأول لصدورها بعد الاغتيال. وركز «زئيف شيف» في مقال كتبه في جريدة هآرتس بتاريخ ١٩٧٢/٧/٩، على علاقة غسان كنفاني بجماعة اليابانيين، أعضاء الجيش الأحمر الياباني، الذين قاموا بعملية مطار اللد، وهم: «اوكاموتو» و«اوكاديرا» و«ياسودا»، حيث استشهد الأخيران ولم يبق سوى اوكاموتو الذي اعتقل وعذب حتى قارب الموت، ولم يطلق سراحه الا منذ فترة قصيرة على أثر عملية تبادل للأسرى، وجاء الى منطقة البقاع اللبناني. وأضاف «زئيف شيف» قائلاً: بحسب جميع الدلائل كان لكنفاني علاقة مباشرة بعملية تخطيط المذبحة في مطار اللد... وأن المسلحين سيفهمون موت كنفاني على أنه انتقام لمجزرة اللد». ووصف «زئيف شيف» كنفاني بأنه «الرجل الثالث في المنظمة بعد جورج حبش والدكتور وديع حداد» وأضاف: «بينما كانت هناك حراسة مشددة على حبش وحداد، كان كنفاني مكشوفاً أكثر بسبب مهمته كناطق باسم الجبهة، وكرئيس تحرير لمجلتها «الهدف». ويعتبر مراقبون عسكريون وخبراء بشؤون الفسطينيين مقتل كنفاني أنه ضربة قاسية». وقد أوفدت جريدة هآرتس مراسلها «يهودا آرئيل» الى عكا، ونشرت معلومات عن غسان وعن عائلته قبل النزوح.

كما كتبت «داڤار» بنفس التاريخ مقالاً أظهرت فيه تشفياً بقتل غسان كنفاني وقالت: «إن موت كنفاني هو ثمرة نشاطه في حياته. إن التحريض على الارهاب وتبريره هو جزء لا يتجزأ من تدبيره وتنفيذه. ولجميع الذين يمارسونه المصير نفسه. إن أولئك الذين يساعدون الارهاب، نهايتهم دفع الثمن بالعملة نفسها التي جعلوها هم أنفسهم متداولة... إن هذا الأمر لا ينطبق فقط على المسلحين من القاعدة الذين يفقدون حياتهم، وإنما على الذين يرسلونهم أيضاً، والذين يظهرون بمظهر السياسيين والكتاب».

وكانت معاريف (٧٢/٦/٩) قد نشرت بعد العملية الفدائية في مطار اللد مقالاً عن علاقة الجبهة الشعبية بالجيش الأحمر الياباني. ونشرت مع المقال صورة ظهر فيها غسان وكتب تحتها: «ثوري ياباني» انضم الى الجبهة في لبنان بصحبة غسان كنفاني من زعماء «المخربين». والحقيقة، أنه اذا

عدنا الى ما كتبه غسان فإننا ندرك بعمق أنه كان على مستوى الخطورة. ولو لم يكن كذلك لما اغتيل. كان شعاره «الحقيقة كل الحقيقة للجماهير». لم يخف على رأسه مرة واحدة، كما فعل الكثيرون في أيامه. ولو خاف على رأسه مرة لما اغتيل. أليس هو القائل: «نحن الجيل الذي يمهّد لجيل الثورة؟» نعم. . . إنه مع الشهداء، يمثلون جسر العبور من المنفى الى فلسطين. انهم جسر الحرية الذي جبل بدم الكرامة والتضحية والشرف والفداء.

والثورة وقودها رجال«رجال لا حطب. . .» ومرحى بأمثال هؤلاء الرجال الذين يعرفون كيف يزقّمون حب القضية الى أبنائها وأصحابها أولاً وقبل كل شيء، لكي تدخل بعدئذ كل بيوت الدنيا من الباب الواسع ولكن. . .

«الأشخاص يزولون، والقيادات تتغير. . . وتبقى القضية أكبر من القيادات والأشخاص».

المراجع

١ ـ مجلة «الهدف» (الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين). بيروت العدد ١٦٥. تاريخ ١٩ آب/أغسطس ١٩٧٢.

٢ ـ مجلة «الآداب» (اللبنانية) بيروت. آب/ أغسطس ١٩٧٢ (مقال بقلم رجاء النقاش).

٣ ـ هاني الخيّر «يحدّثونك عن أنفسهم» الجزء الثالث. دمشق.

٤ ـ العدد الرابع عشر من نشرة منظمة التحرير الفلسطينية.

٥ ـ الصحف الصهيونية: هآرتس /دافار/. معاريف بتاريخ ٧٢/٦/٩ و ١٩٧٢/٧/٩.

الاخطبوط الصهيوني
وأسـرار إقالـة الدبلومـاسي الزنجي انـدرو يانـغ
من الامم المتحدة

اليهـود. . وراء كل جـريمة، هـذا ما صـرح به المؤرخ الشهيـر «وليـام كار». ونتيجة للقرار التاريخي الذي اتخذه «محرر العبيد» في أمريكا، الرئيس «ابراهام لنكولن» والقاضي بتحرير جميع الارقاء ابتـداء من أول كانون الثاني/ يناير ١٨٦٣، وموافقة الكونغرس الاميركي على التعديل الثالث عشر للدستور الاميـركي الذي قضى بتحـريم الرقيق في جميـع أراضي الـولايـات المتحـدة الاميركية في ١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٨٦٥. . . نتيجة لذلك، عمد الاخطبوط اليهـودي في أمريكـا الى اغتيال الـرئيس لنكولن بـاعتباره عقبـة أساسيـة أمـام مشاريعهم وأهدافهم المناهضة للإنسان وحقوقه المشروعة.

واستنـاداً الى تغلغـل النفـوذ الصهيـوني في المؤسسـات الـدوليـة، والـوزارات الامريكيـة ذاتها (كـالخارجيـة والبنتاغـون)، فقد تـربّع أحـد كبـار الصهـاينة المـدعـو «تـريجفي لي» على العـرش الاول لهيئـة الأمم المتحـدة كـأمين عام لهـا، عام ١٩٤٨، ليسـاهم في مشروع تقسيم فلسـطين العـربيـة وتشريد شعبها الى خارج الحدود.

وما زالت مؤامرات الصهيـونية ودسـائسها مستمـرة في الربـع الأخير من القرن العشرين. وعندما كانت القيم الانسانية والمثل العليا، لا وجود لهـا في تـاريخ الصهيـونية، وحتى في قـاموسهـا، فليس من المستغرب أبـداً أن يكون الـرجل «الـزنجي» الاميركي، الـدبلوماسي الحـاذق «اندرو يـانغ» ضحيـة من

ضحايا الخبث الصهيوني والمكر الذي لا يجاريه مكر آخر في تاريخ البشرية.

واستناداً الى مقولة «شعب الله المختار» التي تنخرها العنصرية وسياسة التمييز العرقي، فقد كان من الطبيعي أن يشن «اللوبي الصهيوني» الامريكي - مدعوماً من اسرائيل - هجوماً عنيفاً على الممثل الحقيقي للزنوج بعد «مارتن لوثر كينغ»، والمدافع الأكبر عن «حقوق الانسان» من فوق أكبر منبر دولي متمثل بالأمم المتحدة: ذلك هو «اندرو يانغ» ممثل أمريكا في الأمم المتحدة في عهد رئيسها جيمي كارتر، صديقه الحميم.

فمن هو هذا الدبلوماسي «الأسود» الذي أخاف الصهيونية، ليس بلونه بل بتصريحاته ومواقفه الجريئة المناهضة لسلب انسانية الانسان وانتزاع حقوقه المشروعة، أينما كان؟ ولماذا اعتبر كابوساً خطيراً هدد مشاريع القادة الصهيونيين في أمريكا وخارجها، وزعزع نظرياتهم وادعاءاتهم؟ لقد توقف الرجل الأسود... وما أكثر ما توقف في مسيرته الطويلة على مدى قرن أو يزيد من الزمان منذ أن حرر لنكولن «العبيد»، من أجل تأكيد حقه في الحياة... توقف ليتساءل: «من هو العدو»؟ بالأمس كان الرجل الابيض هو عدوه. ولكنه اليوم، وبتحديد أدق «الصهيوني» الأبيض الذي يملك قوة التأثير والضغط على كل المؤسسات الحكومية والأهلية ابتداء من رجل الشارع حتى «البيت الأبيض» الامريكي.

وامتلأ الهواء برائحة الكراهية، وهي رائحة ليست غريبة. فقد كانت تملأ سماء أمريكا على اتساعها منذ أكثر من ربع قرن من الزمان أو أكثر قبل أن يخرج الرجل الأسود ويمشي تحت الشمس ليعبر في حرية عن أحزانه ابان حكم الرئيس القوي الجنرال «دوايت أيزنهاور»، ثم جون كنيدي من بعده. وقال السود «(الذين يبلغ عددهم في أمريكا ٢٢ مليون نسمة)»: هذه هي مشاعر اليهود تجاهنا اذن... وانهالت المكالمات الهاتفية على زعماء الصهيونية في أمريكا: «أنتم تخدمون مصالح اسرائيل في أمريكا. أنتم تضعون مصلحة هذه الدولة الأجنبية فوق مصلحة أمريكا وقبلها».

وامتلأت السماء بغيوم، لا أحد يعرف متى وكيف تنقشع. هكذا بدت الصورة في الولايات المتحدة الأميركية، في أعقاب الضجة التي أثارتها «إقالة» اندرو يانغ سفير أمريكا في الأمم المتحدة.

ويبقى السؤال المحيّر هنا: كيف حدث ما حدث؟ والكل يعرف طبيعة العلاقة القوية التي تربط بين الرئيس الامريكي جيمي كارتر... وبين الرجل الذي اختاره هو ليمثل بلاده في المنظمة الدولية. من الذي تخلى عن من؟ هل هو كارتر الذي بكى وهو يكتب الرسالة التي أعلن فيها قبول استقالة يانغ، صديقه الذي أحبه ووضع فيه كل ثقته؟ أم هو يانغ الأسمر الذي قال مبرراً أسباب استقالته بأسلوب مهذب منمق: «لقد أشفقت على صديقي كارتر من الحرج الذي سيجد نفسه فيه».

رأى يانغ في رئيس أمريكا الذي تحمّس له، ووقف بجانبه مدة ثلاث سنوات وهو يخوض المعركة الانتخابية العاتية، إنه رجل أمين نظيف متديّن... ثم انطلق الى الشارع يبشر بفضائل الرجل حتى أوصله الى «البيت الأبيض». ورأى كارتر في يانغ الذي لازمه كظّله أيام المعركة التي خاضها من عالمه المجهول في حقول «الفول السوداني» الى الشارع الامريكي... رأيه أن يانغ «أعظم دبلوماسي عرفته في حياتي». فقد كان اندرو أو «آندي» كما يحلو لكارتر أن يناديه هو الذي أخذ على عاتقه مهمة الاجابة على الأسئلة التي كان كارتر يصطدم بها في كل مكان يذهب اليه ويخاطب منه ضمير الأمة الامريكية: «من أنت يا مستر كارتر؟».

لماذا ذهب يانغ اذن؟ ما الذي حدث بين الصديقين؟ والجواب: «النفوذ الصهيوني الذي يحكم تصرفات أكبر وأغنى دولة في العالم». إذْ «ليس في السياسة عواطف دائمة، بل هناك مصالح دائمة».

ففي أوائل الستينات، وفي أعقاب انتهاء حكم رئيس أمريكا القوى الجنرال أيزنهاور، وجه بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت نداء الى يهود أمريكا يدعوهم فيه الى اعلان ولائهم لاسرائيل أولاً، ولا بأس من

أن يدينوا بالولاء أيضاً لأمريكا، البلد الذي يعيشون فيه ويرتزقـون، ولكن بعد اسرائيل.

وثار اليهود الأمريكيون، وقالوا أنهم أمريكيون وليسوا اسرائيليين، ومات رئيس حكومة اسرائيل العجوز ـ بن غوريـون ـ ولكن سموم نـدائه بقيت تسيـر في عروق العديد من اليهود الذين يملكون قوة الضغط والتأثير. لقد كان السمّ هناك قبل هذه «الجرعة» المنشّطة، ولكنها على أية حال نجحت في تحصينهم وزيادة مقاومتهم.. وقد كان هؤلاء هم الـذين وقفوا بكـل ثقلهم وراء الحملة المحمومة التي أدت في النهـاية الى طـرد السفير الأمـريكي «اندرو يـانغ» من منصبـه الذي أمضى فيـه ما يقـرب من ثلاث سنـوات، قـطع فيهـا الآلاف من الأميـال، وتحدث في العشـرات من الاجتماعـات مع ممثلي ١٤٧ دولـة (هي عدد الدول الأعضاء في المنظمة الدولية)، وأدلى بمئات التصـريحات بهـدف الوصول الى تقديم صورة أفضل لبلاده أمام عيون العالم الخارجي.

ونجح يانغ باعتراف بلاده ورئيسهـا... حتى أن مندوب احـدى الدول الآسيوية لم يجد حرجاً في أن يقول للسفير الامريكي «يانغ»: «لا أدري لماذا أشعر كلما لقيتك بأنك تنتمي إلينا... أو ربما كنا نحن ننتمي اليـك... اننا نحس بأنك واحد منا».

ما الجريمة التي ارتكبها يانغ؟ ولماذا أقيل من الأمم المتحدة؟.

أنه في شهر آب/أغسطس ١٩٧٩، التقى «اندرو يانغ» بمندوب فلسطين أو مـراقبها في الأمم المتحـدة، في بيت صـديقـه سفيـر دولـة الكـويت بمـدينـة نيويورك.. ولم يكن سفير أميركا هذا أول مسؤول أمريكي يتصل بزعماء حركة التحـريـر الفلسـطينيـة أو من يمثلهم. فقـد تمت اتصـالات على مختلف المستـويـات كمـا ذكـرت مجلة «تـايم» الامـريكيـة، وحـدّدت تـواريـخ هـذه اللقاءات، بين الرسميين الأمريكيين ومنظمة التحرير في بيروت.. ودمشق.. وفيينا وأمريكا نفسها، ثم في بيروت مرة أخـرى.. فلماذا كـانت هذه الضجـة اذن حول اجتماع «اندرو يانغ» بالمسؤول الفلسطيني؟.

في الواقع أن تصريحاته في مناسبات ماضية لم تعجب اسرائيل حيث قال مثلاً: «ان مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة شخصيات لطيفة هادئة». كما وصف «القصف الاسرائيلي لجنوب لبنان بالقصف الامريكي لفيتنام». . لقد كان «يانغ» واضحاً وصريحاً منذ اللحظة الأولى التي بدأ يمارس فيها نشاطه السياسي في الأمم المتحدة بحكم منصبه الجديد.

فقد قال للصحفيين الذين التفوا حوله في مقر المنظمة الدولية: «شيء واحد أستطيع أن أؤكده لكم، وهو أنني لن أكون أبداً الرجل الأسود في «البيت الأبيض» أو «زنجي البيت الأبيض». والمعنى الذي ذهب اليه «يانغ» مفهوم تماماً. فهو يريد أن يقول أنه لن يكون أداة لأحد وأنه لن يدلي برأي ولن يتخذ موقفاً. . أي موقف الا عن قناعة وبدون خضوع لأي «ضغط أبيض».

فقد عاش يانغ آلام الزنوج وأحزانهم في طفولته وشبابه. . وكان هناك على مقربة من الزعيم الزنجي الراحل «مارتن لوثر كينغ» بطل المقاومة العنصرية، الذي قتل في شهر ابريل من عام ١٩٦٨ فقتلوا معه ضمير أمة. . . يومها وقف يانغ يقول أمام الجثمان المسجّى أمامه: «سيبقى لوثر كينغ ملكاً ومالكاً لقلوب الملايين من محبّي السلام والحرية».

وحمل «اندرو يانغ» آلام وآمال زنوج أمريكا بعد رحيل «لوثر كينغ». فهو الذي مضى يكمل الرسالة التي بدأها استاذه ومعلمه. من هنا كان وقع سقوطه قوياً بين السود في أمريكا (وعددهم ٢٢ مليوناً) والسود وغير السود في الخارج، وفي أفريقيا بصفة خاصة.

وخلال محاولاته الأخيرة لتهدئة النفوس الثائرة في روديسيا وجنوب أفريقيا قال يانغ: «لقد اخترع الانكليز العنصرية»، وقرأ «الجذور» ورأى هذا الوجه القبيح لهؤلاء الذين أسروا الرجل الأسود وباعوه وسخّروه في بناء «امبراطوريتهم» الجديدة في هذا العالم الجديد البعيد. فلما انتهت مهمتهم

جلسوا يحتفلون بذبحه.

وقرأت أمريكا معه قصة الرجل الأسود الذي بنى بدمه وعرقه هذه الدولة الكبرى... وكانت من أكثر الكتب رواجاً وتوزيعاً في العالم خلال العامين الأخيرين وأكثرها تأثيراً على المشاهدين الذين تابعوا حلقاتها المصورة على شاشة التلفزيون. كان والد «يانغ» طبيب الأسنان المعروف في مدينة «اتلانتا» يرى آثار الكراهية على وجوه أبناء الحيّ الذي يعيشون فيه من السكان السود... وكانت تقطر دماً... البيض يتعقبونهم، ورجال الشرطة يطاردونهم..! وأشفق الأب على ابنه وقرر أن يعاونه على مواجهة هذا البغي والعدوان، فعلّمه الملاكمة على يد ملاكم محترف.. ولكن يانغ لا يذكر أنه استخدم قبضة يده مرة في حياته، فقد كان له دائماً طريق آخر بعد تخرجه من الجامعة في عام ١٩٥١... لقد اختار أن يكون قسيساً... ودرس اللاهوت وحصل على الليسانس بعد سنوات أربع.

وفي هذه المدرسة الهادئة، تعلم «يانغ» الحوار المقنع، وتعلم الايمان بالله، وبحقوق الانسان في كل مكان.. وتعلم قبل وبعد هذا كله نبذ العنف. كان يدخل اجتماعاً - أي اجتماع - في ولاية جورجيا، حيث التقى بصديقه كارتر بعد ذلك بسنوات طويلة... وكانت التفرقة العنصرية بين السود والبيض أعنف ما تكون في تلك الفترة في منتصف الخمسينات... فقد كان الرجل الأسود مواطناً من الدرجة الثانية في بلده، محروماً من ممارسة حقه السياسي لأنه غير متعلم... مغلوب على أمره في كل مجال من مجالات الحياة... كان يعيش وراء حائط عال، وويل له اذا حاول أن يتسلق هذا الحائط لمجرد أن يلقي نظرة عابرة على ما يحدث وراءه على الجانب «الأبيض».

وكانت هناك اجتماعات كثيرة تعقد بين زعماء السود وحدهم لبحث ومناقشة آلامهم ومحاولة العثور على حل لها... وكانت هناك اجتماعات أخرى بين السود وعقلاء البيض لتجنّب الانفجار الذي يوشك أن يودي بوحدة

الأمة الامريكية. . وكان يانغ يحضر هذه الاجتماعات الأخيرة التي كانت دائماً ساخنة وملتهبة لا مجال فيها للحديث الهادىء أو المناقشة العاقلة. ويصل الشاب المتحمس الى مقر الاجتماع، فلا يكاد البيض يلمحونه حتى يبدؤون في التحفّز، ولكنه يسارع الى تهدئتهم: سأمضي بينكم دقيقتين أو ثلاثاً ثم أنصرف. سأكون مستمعاً فقط ولن أتكلم الا اذا طلبتم اليّ الكلام».

وتلتقط اذنه وسط الصخب الذي يملأ المكان كلمة أو عبارة تعبر عما تحمله قلوب هؤلاء العنصريين المتعصبين من كراهية لكل ما هو أسود، ويبتسم «يانغ» ثم يقول في هدوء: «دعونا نشترك جميعاً في صلاة قصيرة». ويرفع الجميع أيديهم ويصلّون وتهدأ النفوس وتحين الفرصة التي انتظرها. . . فيمضي في حديثه، وكأنه في صلاة طويلة. . . وعندما ينتهي الاجتماع يكون قد مضى على يانغ ثلاث ساعات.وهو يتكلم. . .

وبقدر ما كان «أندرو يانغ» صريحاً ولبقاً في حديثه الذي يشد المستمعين، كان أيضاً مستمعاً ذكياً، يحفظ ويهضم ما يسمع، ولا ينفعل حتى لو كانت كلمات محدّثه تحمل له الشتائم والاهانات. . . كانت الابتسامة لا تفارق شفتيه لحظة واحدة. . . ولكنه لا يلبث أن يتحول الى الجدّ بسرعة اذا استمع الى تفسير خاطىء أو الى معلومات يحاول صاحبها من ورائها أن يقلب حقائق معينة لأحداث عرفها ودرسها.

وحتى بلاده، لم تسلم من النقد، وهو الذي قال: «ان السجون الأمريكية مليئة بالمسجونين السياسيين». وكذلك. «إن السود في السويد يلقون نفس المعاملة السيئة التي يتعرض لها الرجل الأسود في «كوينز» بنيويورك». . «إن جيرالد فورد وريتشارد نيكسون من أنصار السياسة العنصرية. .» و«أن باتريشيا هيرست ابنة ملك الصحافة في أمريكا، سجينة سياسية أيضاً. .». لقد قال يانغ وهو يعلن نبأ استقالته على الصحفيين، أو على الأصح الاستقالة التي أجبرته وزارة الخارجية على تقديمها بعد الضجة الاسرائيلية المفتعلة قال: «من الصعب جداً أن أفعل ما أظن أنه في مصلحة

بلدي، وفي الوقت نفسه أحافظ على قواعد البروتوكول والدبلوماسية. انني لا أشعر بأي أسف لأي عمل قمت به.

ولن أستطيع أن أقول أنني لن أفعل ما فعلت اذا واجهت نفس الموقف مرة أخرى».

«كان من أقدر السياسيين الذين عرفتهم أمريكا» هكذا قال عنه صديقه كارتر الذي أراد أن «ينام» على الحادث المفتعل كما قال لمساعديه بالحرف الواحد لولا الضغوط الصهيونية التي أملت عليه ارادتها وسلبته أقدس حق من حقوقه المشروعة بوصفه رئيساً للولايات المتحدة الامريكية.

لقد اشتغل «يانغ» بالسياسة عقب مصرع الزعيم الزنجي لوثر كينغ مباشرة، ورشح نفسه لعضوية الكونغرس الامريكي مرتين... وفاز في المرة الثانية، عام ١٩٧٢، وكان يمثل مدينة «اتلانتا» بولاية جورجيا. ومن هذا المنبر الجديد راح يدعو الى الحب والتسامح والتعايش السلمي بين السود والبيض. أما صلته بالرئيس كارتر، فقد بدأت في عام ١٩٧٥، وعندما بدأ يتحمس لهذا الرجل الذي اعتزل عمله كعالم من علماء الذرة في البحرية الامريكية ليتفرغ لزراعة «الفول السوداني» في مزرعته، كان يؤمن بأن جيمي كارتر يمكن أن يكون رئيساً مثالياً لأمريكا...

وعندما وصل كارتر الى «البيت الأبيض» في النهاية، أراد أن يكافىء «يانغ» على المجهود الذي بذله خلال حملته الانتخابية فعينه سفيراً لأميركا في الأمم المتحدة. وجاء «يانغ» الى نيويورك مع زوجته «جين» وأولاده الأربعة: اندريا وليزا وبولا وأندرو الصغير، وأقام الجميع في الطابق الثاني والأربعين بفندق «والدورف تاورز». وقال أصدقاؤه مداعبين تعليقاً على اختياره لهذا الدور العلوي في الفندق: «أنه يريد أن يكون دائماً قريباً من السماء». واستغنى «يانغ» عن سيارته الرسمية الفاخرة «الكاديلاك» واستبدل بها سيارة فورد عادية. وكان يدعو سائق سيارته لتناول الافطار معه في كافتيريا الأمم المتحدة، قبل أن يذهب الى مكتبه الذي اختار للعمل فيه أكبر عدد من

السيدات السود المتعلمات.

وتبقى للأم في النهاية كلمتها الممزوجة بالحنان والعاطفة. ففي اللحظة الحرجة التي كانت تمر بها أمريكا كلها عندما اختير «يانغ» سفيراً لها في الأمم المتحدة، اتصلت به والدته تليفونياً عقب اعلان نبأ تعيينه قائلة: «هل تركت مقعدك في الكونغرس من أجل هذا المنصب؟ أرجوك ألا تفعل. ابق حيث أنت... فهذا أفضل لك ولنا ولكل رجل وامرأة من السود في أمريكا».

أما المرأة الثانية التي اتصلت به، فكانت «كورا» أرملة الزعيم الزنجي الراحل «مارتن لوثر كينغ» وكانت هي الأخرى تعترض بقوة على تركه مقعده في مجلس الشيوخ الامريكي من أجل هذه الوظيفة الجديدة في الأمم المتحدة.

«لم أكن أريد هذا المنصب.. لم أكن أريده». كانت هذه كلمات «اندرو يانغ» بعد العاصفة ولكن كيف ستنتهي؟ هل تهدأ الثورة التي تعتمل دوماً في صدور السود في أمريكا وهم يرون الرجل الذي يمثلهم ويحمل آمالهم لمستقبل أفضل يهوي تحت مطرقة النفوذ الصهيوني؟.

ولا أحد في أمريكا أو في خارج أمريكا يتوقع أن يهوي «يانغ» هكذا في هدوء، أو أن يختفي لفترة طويلة، فهو رجل يؤمن بمبادىء ومثل عليا، في زمن أصبحت فيه هذه المبادىء عملة نادرة.

ولابد أخيراً من القول، أن من صلب السيد المسيح على الجلجلة، لن يتورّع مطلقاً عن اغتيال أبناء المسيح ورسالته، ولا عن اقالة ممثلي الفقراء والمدافعين عن «حقوق الانسان» في أي زمان ومكان.. والذين رضعوا مع الحليب، وقبل أن يروا النور، الخبث والمكر والحقد والكراهية، على كل ما هو بشري وإنساني، وتغلغلت في عروقهم مع الدم الفاسد، عنصرية العرق والنقاء العرقي، لا ينتظر أن يصدر عنهم ما يعتبر خدمة للإنسان والانسانية.

وليس الأبرياء العرب ـ الذين يقدر عددهم بأكثر من مائة وخمسين

مليوناً ـ الا الضحية الكبرى للصهيونية السياسية في هذا العصر من القرن العشرين.

واذا تغلبت القوة على الحق في مرحلة ما من عمر التاريخ، فإن قوة الحق هي التي ستنتصر في النهاية، وكل آت قريب.

المراجع

١ ـ عبد المجيد نعنعي «تاريخ الولايات المتحدة الاميركية الحديث» دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٤. ص ١٣٧.

٢ ـ منير نصيف «حكاية اندرو يانغ». مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٢٥١. تشرين أول/اكتوبر ١٩٧٩. ص ٢٨ ـ ٣٢.

٣ ـ ابراهيم ابراهيم «من يحكم الولايات المتحدة؟» مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٢٩٨. أيلول/سبتمبر ١٩٨٣. ص ١٧ ـ ٢٢.

٤ ـ عبد الحميد الكاتب «الأمين العام للأمم المتحدة في خدمة الصهيونية» مجلة «العربي» الكويتية. العدد ٢٩٨. سبتمبر ١٩٨٣. ص ٤٤ ـ ٥٠.

٥ ـ نجدة فتحي صفوة «رسالة الى وايزمان» مجلة «العربي» الكويتية العدد ٣٠١. كانون أول/ديسمبر ١٩٨٣. ص ١٣٠ ـ ١٣٣.

حرب الأذهـان بين
المخابرات المصرية والمخابرات الاسرائيلية

ما أعظم الانسان الذي يفخر بانتمائه لوطنٍ يحمل هويته وحبّه المتغلغل في الدم والشرايين، كما يحمل إيمانه القـوي بقدسيّـة الدفـاع عنه حتى آخـر رمق.

وقليلون جداً في هذا العصر، هم الذين يضعون «الكرامـة الوطنيـة» في سلّم الأولويات على حسـاب مصالحهم الشخصيـة، في وقت كثر فيـه ضعفاء النفوس أمام اغـراءات العدو الصهيـوني الذي بـرع في استخدامهـا بكل دقـة وفنّ. ومهما حاول هذا العدو أن يظهر نفسـه بمظهـر «الانسان الـذي لا يقهر» فـإنـه مجبـر على الاعتـراف «بقـزميّتـه» وضعفـه أمـام الأقـويـاء في نفـوسهم وإيمـانهم. ولم يكن نموذج المنـاضل العـربي المصـري أحمـد محمـد عبـد الـرحمن، الذي خـدع العدو الصهيـوني مدة ثمـاني سنـوات، إلا أحـد هـذه النماذج التي تؤكد عبقرية الانسان ألعربي الواعي وذكاءه الخارق في وجه كـل الأسـاطير التي يفبـركها العقـل الاجرامي الصهيـوني، لينـظهـر «تشـوّقـه» أمـام الخصوم.

فمـا هي قصة المنـاضل المصري الشـريف أحمـد عبـد الـرحمن مـع المخابرات الاسرائيلية؟ وما هي أسرار خداعه لهذا العدو التاريخي؟.

بعد حرب حزيران ١٩٦٧، والدمار الذي أصاب مـدن القنال من جـراء القصف الوحشي بأطنان القنابـل للمدن المصـرية الـواقعة على قناة السويس،

خاصة ،وأن هذه المدن لا تحوي أهدافاً عسكرية، نتج عنه هروب جماعي للسكان الذين بقوا على قيد الحياة، باتجاه القاهرة. وكان المناضل أحمد عبد الرحمن أحد هؤلاء الذين تركوا منازلهم وهربوا الى العاصمة، مع زوجته وولديه: حمادة ومها، ليبدأ حياة جديدة فيها.

ولد في ١٩٣٩/٨/٦، وهو من سكان السويس ـ حيّ الغريب. كان يعمل قبل هجرته موظفاً في شركة سمبل للسياحة في السويس. وحين وصل الى القاهرة استقر مؤقتاً لدى أقرباء له شاركوه المنزل والمأكل والمشرب. ولم يستطع أن يجد عملاً يناسبه، وهو المواطن الذي يرغب ـ كما يقولون ـ أن يكسب خبزه بعرق جبينه، فقرر السفر الى اليونان، وودع زوجته وأولاده بعد أن أوصى بهم أقرباءهم، ثم سافر الى أثينا، حيث تمكن من ايجاد عمل على الباخرة «آرتا» التي تتجول في موانىء أوروبا، حتى وصلت الى ميناء «بريستون لانكشير» في انكلترا، فوقفت لإفراغ ما فيها من البضائع للتجار البريطانيين. ولما انتهى أحمد من عمله نزل الى المدينة لإرسال بطاقة بريدية الى زوجته. وبعد ذلك جلس في أحد مقاهي الرصيف لشرب الشاي الانكليزي، فتعرّف على فتاة جميلة جداً، ادّعت أنها انكليزية وابنة ميلونير. وربطت بينهما علاقة عاطفية بعد أن تمكن من الحصول على اجازة من الباخرة التي يعمل عليها لقضاء الليل في أحد الفنادق معها. ثم سافر في اليوم التالي، وكانت صديقته التي زعمت أن اسمها «جوجو» واقفة على رصيف الميناء لوداعه. ثم بدأت تلاحقه من ميناء الى ميناء، وأحياناً تنتقل بالطائرة لتلقاه في البلاد التي يتواجد فيها. كما كانت ترسل له الخطابات الغرامية. وعرضت عليه ترك العمل في البحر وستجد له العمل المناسب. وعند ذلك بدأ يشك في نواياها ورفض عرضها قائلاً أنه يفضل البقاء في البحر.

وصلت الباخرة «آرتا» الى ميناء «كيل كانال» في المانيا الغربية، ونزل منها كالعادة بعد انتهاء عمله للتجول في المدينة. فتعرّف على اثنين ادّعيا أنهما من رجال الأعمال. أحدهما يدعى «جاك» والآخر «ابراهام»، وحاولا

التقرب منه، ووجها الدعوة له لقضاء الليل في المدينة. فوافق وهو الواثق من نفسه. وأثناء السهرة كرّرا نفس طلب صديقته «جوجو» (حيث تأكد أنها يهودية) ـ والتي اختفت من على المسرح بعد أن أرشدتهما اليه ـ بضرورة ترك العمل على الباخرة وسيجدا له العمل المناسب. وأخبره جاك أن والده مليونير، وسيتوسط له للعمل معه ويترك المركب. وفي اليوم التالي تظاهر جاك بأن والده وافق على أن يعمل أحمد لديهم بعد جهد كبير، وعليه أن يترك العمل حالاً.

ولكن أحمداً، الصادق مع نفسه، أجابهما: كيف لي أن أترك العمل مع كابتن يحترمني ويساعدني؟ فقالا له: افتعل مشاجرة في الباخرة. فأجابهم بأنه ليس من أخلاقه المشاجرة. ولكي يضعاه تحت الأمر الواقع أحضرا له رسالة باللغة العربية ضمن مظروف عليه طابع مصري، مرسلة اليه من والدته «المريضة جداً» حتى يوافق الكابتن على تركه العمل. وفعلاً نجحت حيلة جاك وزميله. ووافق القبطان على محاسبة أحمد، الذي قبض جميع ما ادّخره من رواتب طيلة الأشهر الماضية، وأعطاه فوق ذلك مبلغ /١٠٠/ دولار مكافأة له؛ وطلب منه أن يلتحق بهم عندما يطمئن على والدته. ودعه وتوجه الى الفندق. فحضر جاك وابراهام واصطحباه معهما للسهر احتفالاً بهذه المناسبة. وفي أثناء السهرة أعلمه جاك بأن والده (المليونير المزعوم) قد وافق أن يكون أحمد «وكيلاً» لشركته في القاهرة، وأن عمله سيكون الاستعلام عن المراكب الغارقة في قناة السويس، وحجم الغاطس، وطول المركب وعرضه (وهذه في الحقيقة معلومات وهمية وبسيطة تستعمل لجرّ الرجل العميل ليستهين بالعمل المكلف به) وسلّمه مبلغ /٥٠٠/ دولار، دفعة على الحساب، وبطاقة الطائرة أيضاً وعنوانهما في المانيا لإرسال الرسائل والبرقيات بعد استقراره بالقاهرة.

ودّع جاك وابراهام عميلهما الجديد أحمد في المطار، وتمنيا له سفراً سعيداً، وهما يعتقدان أنه أصبح عميلاً لهما بين ليلة وضحاها، لا سيما وقد

وعـداه بإعـادة المياه الى مجـاريها بينـه وبين «صـديقتـه جـوجـو» حين يفكـر بزيارتهما الى المانيا.

وحين هبطت الطائرة في مطار القـاهرة الـدولي وخرج منهـا، لم يصدّق نفسه بعودته هكذا، وبهذه السرعة. فيروي قصته قائلاً:

عـدت الى بلدي مصـر ورأسي يكـاد ينفجر. لم أنم ليلة وصـولي الى القاهرة، حيث ضممت ولديّ حمادة ومها، وأنا أبكي بدموع لم تنـزل. رأيت فيهما أطفال بلدي الصغـار الذين فتكت بهم القنـابل الاسـرائيلية في وحشيـة وهمجيـة. . . ورأيت في أمي وزوجتي مصـر العـزيـزة بكـل شمـوخهـا وأصالتها. . . رأيت في أهلي جميعـاً ذكريـات بلدي السويس وتـذكرت جـاك وابراهام. . . ماذا يريدان مني؟ هل يظنّان بهذه السذاجة ـ وأنا ابن السـويس ـ أن يمرّرا عليّ ألاعيبهما هكذا ببساطة؟ هل تخيّلا لحظة واحـدة أنني بلعت «الطعم»؟ لقد قرأت كثيراً عن طرق اصطيادهم للمصريين في الخارج. قرأت كثيراً عن أسلحتهم المعهودة ـ المال ـ الجنس ـ إيجاد العمل واستثمار حالات الضيـاع. . . لكنني لن أضيع مـا دامت تلتصق أقدامي بـأرضي الحبيبة، ومـا دمت أتذكر أخـوتي وأصدقـائي وجيراني الـذين صرعـوا برصـاصهم، وما دام يتحـرك في كياني كبـرياء مصـر، فلن أكون لهم ولن أخـون بلدي مثـل بعض ضعفاء النفوس الذين انتهوا على حبل المشنقة.

ويتـابع المنـاضل أحمـد عبد الـرحمن كلامـه بقولـه: نمت في الفجـر ساعات قليلة وقد عزمت على أمر ما. وفي الساعة العاشرة خرجت من المنزل وتـوجهت الى مبنى (المخابـرات المصـريـة). . . لم أتـردد وأنـا أدخله. وفي مكتب اللواء ع ـ ف ـ ارتميت على المقعـد أمامـه وشرحت لـه كل شيء. . . شرحت له القصة كاملة من لحـظة مغادرتي مصـر حتى عودتي. . . لم أخبىء أي تفصيلات. كنت أتكلم وكأنما أزيح عن صدري كابـوساً مخيفـاً جثم على أنفـاسي. . . وبعـد أن انتهيت استـرحت. وبعـد ذلـك عـرض عليّ رجـال المخـابرات صـوراً للعديـد من عملاء المخـابـرات الاسـرائيليـة في أوروبـا،

فتعرّفت على صورتي جاك وابراهام.

على أثر اجتماع ضم كبار ضباط المخابرات المصرية جرت الموافقة على استمرار أحمد عبد الرحمن بتمثيل دور العميل، حيث أرسل لهما رسائل تتضمن معلومات مدروسة وضعت بإشراف المخابرات، حتى وصلته رسالة يطلب فيها جاك حضوره الى ايطاليا. وأيضاً سمحت له المخابرات بالسفر، فسافر الى جنوى، وأرسل من فندقه برقية الى جاك على العنوان الموجود معه. فجاءه الجواب من جاك بأنه موجود في نابولي، فسافر اليه. وتم اللقاء بينهما حيث أعطاه أحمد المعلومات التي حملها معه. وهنا كشف جاك النقاب عن شخصيته وطلب من أحمد التعاون مباشرة مع المخابرات الاسرائيلية وتزويدها بالمعلومات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية في مصر. وأعطاه اسماً رمزياً هو (جورج سايكو)، وأخبره بأن المخابرات الاسرائيلية سوف تحميه. وقام بتدريبه على جميع المعلومات وطريقة إرسالها. وأعطاه مبلغ ألف دولار. وطلب اليه العودة للقاهرة لتنفيذ التعليمات الجديدة. عاد أحمد الى القاهرة وأعلم المخابرات بما جرى معه. والجدير ذكره أن المخابرات المصرية أرسلت ضابطاً برتبة رائد بدون علم أحمد، ليكون على اطلاع بإتصاله بالمخابرات الاسرائيلية في ايطاليا. ولما رجع أحمد الى القاهرة كان ضابط المخابرات المصرية يتبعه كظلّه.

وثقت المخابرات المصرية بأحمد، وسلمته معلومات جديدة ليرسلها الى المخابرات الاسرائيلية. وبذلك استطاع أحمد أن يحوز على ثقة الموساد التامة، حيث تكررت زياراته الى أوروبا لتسليم المعلومات التي لا يمكن ارسالها بريدياً. وقد سلمته المخابرات الاسرائيلية جهاز اتصال حديث ليبث عليه الرسائل الضرورية، الى أن جاءته برقية بطلبه للقاء في روما، حيث تسلّم جواز سفر اسرائيلي باسم «يعقوب منصور» وسافر الى تل أبيب على احد طائرات شركة العال الاسرائيلية، حيث التقى بمجموعة من ضباط المخابرات الاسرائيلية الذين رحبوا به ترحيباً حاراً، وأنزل في فيلا فخمة في بئر السبع

تحوي جميع متع الحياة ـ ومنها النساء ـ وجرى تدريبه أثناء ذلك على كيفية التصوير السّري وتحميض الأفلام وقراءة الميكروفيلم. وقضى هناك /٢٢/ يوماً ثم عاد الى القاهرة عن طريق روما، حيث التقى برجال المخابرات المصرية، وشرح لهم ما جرى معه وما درّب عليه. وأيضاً أعطي معلومات مدروسة ليزسلها لإسرائيل. وبعد مدة طلبوا منه الحضور أيضاً الى أوروبا حيث سلّموه جواز سفر اسرائيلي وأرسلوه الى تل أبيب ليبحث معه كبار ضباط المخابرات الاسرائيلية الأمور الهامة في مصر على الطبيعة. وتعرّض خلال ذلك للعديد من الاختبارات النفسية والعرض على (جهاز كشف الكذب) فنجح في جميع هذه الاختبارات. ولم يفطن رجال المخابرات الاسرائيلية الى حقيقته، ولم يتطرق اليهم الشك في اخلاصه (بسبب توجيه المخابرات المصرية له مع مراعاة كافة الاحتمالات).

وفي شهر سبتمبر ١٩٧٣ أرسلت له المخابرات الاسرائيلية برقية تستفسر فيها عن الموقف العسكري في مصر خاصة على الجبهة، وهل هناك احتمال للحرب مع اسرائيل؟ وكان الرد ضمن خطة الخداع الاستراتيجية الكبرى، حيث أشارت برقيته الجوابية الى أن ما يجري على الجبهة ليس الا أحد تدريبات الجيش المصري، وأن احتمالات الحرب ليست قائمة على الاطلاق. وصدقت المخابرات الاسرائيلية البرقية ونقلتها الى رئيسة الوزراء غولدا مائير، على أنها برقية من أحد عملائها المخلصين. وكانت بعد ذلك حرب رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣ التي غسلت العار وبرزت الكبرياء المصرية السورية من الأعماق وذلك كدليل على خداع المخابرات المصرية للعدو الاسرائيلي. واستدعي أحمد عبد الرحمن في أعقاب الهزيمة القاسية ليسافر الى تل أبيب، فسافر هذه المرة عن طريق زيوريخ، وكان قد تم إعداده من قبل المخابرات المصرية لهذه الرحلة بعد الحرب للتعرف على الوضع الداخلي في اسرائيل، وما تركته الحرب من بصمات على المجتمع والمواطن الاسرائيلي.

وفي مطار اللد كان كل شيء مختلفاً هذه المرة... الوجوم يسود

الوجوه. . . الحزن في كل مكان. ووجد أحمد عبد الرحمن وجوهاً جديدة في المخابرات الاسرائيلية. الوجوه القديمة اختفت بعدما اعتبرت مسؤولة عن الهزيمة، وقوبل بترحاب شديد، ونقلته سيارة من المخابرات الى شقة فاخرة في شارع (ديز نفوت) وهو أفخم شارع في تل أبيب. وأعيد بعد استراحة قصيرة لمقابلة مدير المخابرات الاسرائيلية الجديد الذس سمّى نفسه تمويهاً «داني»، وكانت تقوم على خدمته ضابطة برتبة ملازم أول جميلة جداً. وبعد أن رحّب به المدير أحاله الى لجنة من ضباط المخابرات الاسرائيلية تضم حوالي /١٨/ ضابطاً أخذوا يكيلون له الأسئلة والاختبارات عن مصر وعن الأحوال العامة بعد حرب رمضان. وكان أحمد يجيبهم بما درّب عليه من الاجابة في المخابرات المصرية. وأخيراً بعد أن اطمأنوا اليه جرى تسليمه أحدث جهاز الكتروني في العالم للإرسال والاستقبال، لكي يستخدمه في إرسال المعلومات لهم. وقد قدّر ثمن هذا الجهاز بمائتي ألف دولار ويقوم بإرسال البرقية في حوالي الثانية ولا يمكن التشويش عليه أو اكتشاف موجاته الالكترونية. ومن المعروف أن المخابرات الاسرائيلية لا تعطي مثل هذا الجهاز إلا للعميل الذي تثق به تماماً.

وكلفوه باليقظة وابلاغهم أولاً بأول عن الاستعدادات العسكرية في مصر وانذارهم بأي حالة من حالات الاستعداد العسكري مهما كانت؛ وهذا يعكس حالة الرعب والفزع التي عاشتها اسرائيل في أعقاب حرب رمضان، والتي زلزلت كيان المجتمع الصهيوني. كما طلبوا منه استئجار شقة في القاهرة لتكون مسرحاً لنشاطه خشية اكتشاف أمره من قبل أهله أو أصدقائه، وأعطي مبلغ ألفي دولار لهذا الغرض، مع أنه كان يستلم منهم دفعات شهرية مغرية. وعاد الى مصر ليقدم الجهاز الالكتروني (هدية للمخابرات المصرية). وقد أبقي معه الجهاز وأعطي شقة مفروشة حسب طلب المخابرات الاسرائيلية.

واستأنف إرسال البرقيات على الجهاز. وكان مجموع البرقيات التي أرسلها /٢٠٠/ برقية اشتملت على معلومات مدروسة بدقة متناهية حتى لا تكشف

المخابرات الاسرائيلية أي خداع فيها أو أيـة هفوة تـدعوهـا للشك بعميلهـا لحظة واحدة.

بعد ذلك سافر مرات عدّة الى أوروبا تحت حماية المخابرات المصريـة وإشـرافها على كل الاتصالات، حتى لا تتعـرض لأي خطر أو ينكشف أمـره. كما كانت تدرس كافة الاحتمالات قبل سفره الى أوروبـا أو تل أبيب، وتعدّ له الاجابات المسبقة على كافة الأسئلة التي قد تطرحها المخابرات الاسـرائيلية. ونظراً لتكرار سفره الى أوروبا واسرائيل خـلال سنوات فقـد زوّدوه خلال هـذه المدة بأحدث ما لديهم من الوسائل اللازمة للتجسس ومنها:

١ ـ كتب محفورة لتهريب الرسائل والنقود بداخلها. ومن هـذه الكتب: المرايا ـ بائعة الخبز ـ أول الطريق.

٢ ـ عروس لعبة مجوّفة، وعلبة شوكولا تهرّب فيها النقود.

٣ ـ علبة مسح أحذية تفرغ ويوضع داخلها كريستالات.

٤ ـ جهاز الراديو العادي أول الأمر.

٥ ـ الجهاز الالكتروني.

٦ ـ كتب الشيفرة.

٧ ـ الكاميرا التي تصوّر في الظلام (لكنه لم يستعملها).

استمرت العملية طوال ثماني سنوات دون أن يتطرق الشـك أو تتزعـزع ثقة المخابـرات الاسرائيليـة «بالعميـل» أحمد. واستمـرت عملية الاتصـالات والسفر الى تل أبيب. وكـانت آخر رحلة لـه في شهر يـونيـو ١٩٧٦، حيث نقل الى المخابرات المصرية كافة المعلومات المـطلوبة بـدقة متنـاهية. عنـد ذلك قررت المخابرات المصرية انهاء هذه العملية مع المخابرات الاسـرائيلية بعد أن حققت أهدافهـا، وبعد جهـد شاق وخـارقٍ للغايـة بذلتـه المخابـرات المصرية الى جـانب المواطن المصـري الشريف الـذي ضرب مثـلاً رائعاً في

الوطنية والفداء والاخلاص لوطنه.

لقد كان الاتفاق تاماً بين المخابرات المصرية والمواطن الشريف أحمد محمد عبد الرحمن على انهاء العملية لاستحالة السير بها أكثر من ذلك بعد أن استنفذت المخابرات المصربة المخابرات الاسرائيلية لآخر قطرة، فقد أعطيت البرقية الآتية لأحمد ليرسلها على الجهاز الالكتروني الى المخابرات الاسرائيلية:

«من المخابرات المصرية الى المخابرات الاسرائيلية: نشكركم على إمدادنا بأدق وأخطر أسراركم التي كشفت لنا المزيد من عملائكم داخلياً وخارجياً على مدى ثماني سنوات. والى اللقاء في معارك ذهنية أخرى».

وهكذا أسدل الستار على معركة من حرب الدهاء بين المخابرات المصرية والمخابرات الصهيونية التي كان بطلها المناضل العربي المصري أحمد محمد عبد الرحمن، الذي استحق اعجاب وتكريم واحترام كل مصري وكل مواطن عربي شريف.

ولتعلم المخابرات الاسرائيلية وقادة دولة الاحتلال الصهيوني ومن يدعمها بأن الكرامة العربية ما زالت بألف خير، باعتبار أن الأمة العربية من المحيط الى الخليج التي أنجبت أحمد عبد الرحمن، قادرة على إنجاب الملايين أمثاله. وهم بالمرصاد لكل أساليب الصهيونية وألاعيبها في معركة الصراع التاريخي العربي ـ الصهيوني.

المراجع

* سعيد الجزائري «المخابرات والعالم». الجزء الثاني. منشورات مكتبة النوري. دمشق. دون تاريخ. ص ١٤٩ ـ ١٥٥.

أمينة المفتي
بين الأمانة والخيانة

جميل جداً أن يموت الانسان في سبيل وطنه، ولكن الأجمل أن يعيش لأجله. . . وليس من جريمة كبرى في العالم أكبر من أن يخون الانسان وطنه وشعبه وأمّته.

وعندما تصبح الشعوب والأوطان سلعةً تُباع وتُشرى بالمزاد العلني، تضرب قضية «المساواة والعدالة» أقدامها في الأرض، مثبتةً أنّ لا فرق بين الرجل والمرأة في عملية المتاجرة والخيانة. . . وعندئذ، لا مكان ولا وجود، لأقدس المقدّسات في قاموس البشرية، والمتمثّلة بـ : الشرف والكرامة.

وكثيراً ما أثبتت النساء جدارتها في عالم المخابرات والتجسس، وبرعت في هذا المضمار، وفاقت فيه رجالاً كثيرين. ومنهنّ مَنْ سَقَطْنَ في بداية الامتحان، وفي مرحلة «الرواج»، كما هو الحال مع الدكتورة في علم النفس «أمينة داوود المفتي». الأردنية الجنسية، والعربية المولد، لكنها «اسرائيلية الهدف والمبتغى».

فمن هي أمينة المفتي؟ وكيف جنّدتها المخابرات الصهيونية؟ وما هي المهمة التي أوكلت اليها في بيروت؟ وماذا كانت نهايتها؟.

ولدت الآنسة «أمينة داوود المفتي» في العاصمة الأردنية، عمّان، سنة ١٩٣٦. حصلت على الثانوية العامة بدرجة جيدة، وكانت تميل أثناء دراستها

الى «علم النفس»، فسافرت الى النمسا، ودرست في جامعتها هذا الاختصاص، وتخرّجت وهي تحمل شهادة الدكتوراه. وحين عادت الى عمّان بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧، عملت على استئجار بناء جعلته مستشفى للمعاقين جسدياً وعقلياً؛ ثم ما لبثت أن اختلفت مع وزير الصحة في حينه الذي اتهمها بالاختلاس، وفسخ عقدها مع الوزارة بعدما تبيّن له أن شهادة الطب النفسي التي تحملها مشكوك بها... وبعد تصفية مستشفاها حقدت على وزير الصحة وعلى جميع العرب (حسب ادعائها فيما بعد)، وعادت الى النمسا للعمل هناك، فتعرّفت على طيّار نمساوي يهودي سرعان ما تزوجت منه برضاء أهله ومعارضة أهلها. وبقيت معه في النمسا كزوجة حتى اندلعت حرب تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣. وانطلاقاً من حقدها على العرب شجعت زوجها على الالتحاق بطيران العدو الصهيوني.

كانت اسرائيل قد فتحت باب التطوّع والتعاقد للكثير من الطيارين خاصة اليهود منهم. فحضرت أمينة مع زوجها اليهودي الى اسرائيل، وقد أصبح اسمها بعد زواجها من الطيار «آني داوُد». وقد ألحق زوجها فوراً بالطيران الاسرائيلي برتبة نقيب طيار، حيث أدخل الى الخدمة الفعلية باستلامه طائرة قتال «سكاي هوك»، توجه بها في أول غارة على الجبهة السورية، فأسقطته وسائل الدفاع الجوي السورية التي كانت له ولأمثاله بالمرصاد، واعتبر مفقوداً. أما زوجته الخائنة «آني» فقد اعتبرته أسيراً لدى الجيش العربي السوري؛ فاستأذنت السلطات الاسرائيلية بالسفر الى بيروت للبحث عن زوجها وتسقّط أخباره هناك، فسمح لها. وخرجت بجوازها النمساوي الى قبرص، وهناك أخرجت جوازها الأردني وكان صالحاً للإستعمال بسبب تجديدها له في السفارة الأردنية في فيينا لوقت الحاجة.

وصلت أمينة المفتي الى بيروت، ونزلت في أحد فنادق شارع الحمراء، حيث تعرّفت على سيّدة لبنانية تدير محلاً لبيع الألبسة النسائية في الشارع نفسه، واشترت منها بمبلغ كبير لتغريها على التحدث عما سمعته عن أخبار

الطيارين الاسرائيليين الأسرى في سوريا. ولم تنس أن تسألها عن وجود بعض الصحف السورية لديها من تاريخ فقدان زوجها. ولكنها لم تحصل على نتيجة فقررت العودة الى النمسا بعد أن قطعت الأمل بوجود زوجها الطيار الاسرائيلي على قيد الحياة، وذلك للمطالبة بميراثه هناك والذي يقدّر بنصف مليون دولار تعود اليها وحدها حسب القوانين النمساوية.

وصلت الى فيينا فاستقبلها ذوو زوجها بالترحاب، وقدموا لها العزاء بزوجها، وأحاطوها بالرعاية والعطف، ثم عرّفوها على ثلاثة أشخاص (ضباط في المخابرات الاسرائيلية) أظهروا لها اهتماماً خاصاً بقضية الإرث وأبدوا استعدادهم من أول اجتماع معها أن يقنعوا أهل زوجها بعدم اقامة العراقيل في وجهها على هذا الصعيد (لقاء) تعاملها معهم لصالح المخابرات الاسرائيلية، فوافقت على ذلك انسياقاً مع حافزها الأساسي في عدائها للعرب، وحافزها الثاني وهو حصولها على الميراث.

وهكذا بدأت اللعبة... وأقام لها الضباط الثلاثة دورة تدريبية مكثّفة في نفس منزل عائلة زوجها، وهي عائلة يهودية نمساوية، جرى تدريبها في مدة شهر على ما يلي:

١ ـ أساليب التجسس الأولية.

٢ ـ المراقبة وتشمل مراقبة الأشخاص مع تحديد أماكن اقامتهم ورسم اماكنهم لمعرفة ورصد عناوينهم.

٣ ـ التصوير ويشمل التصوير عن بعد والتصوير في الليل.

٤ ـ الشيفرة والكتابة بالحبر السرّي.

وباعتبارها دكتورة في علم النفس فقد نجحت في هذه الدورة نجاحاً جعل مدرّبيها أن يوعزوا لها بالسفر حالاً الى بيروت لتنفيذ مهمات حدّدوها لها، وقد دفعوا لها مبلغ /٥٠٠٠/ خمسة آلاف دولار تحت الحساب، وطلبوا منها إرسال عنوانها عندما تصل الى بيروت لكي يحوّلوا لها ما تحتاجه من

أجل نجاحها في تنفيذ مهمتها.

وصلت الى بيروت وقررت الاقامة في منطقة «عين الرمانة» السكنية. فاستأجرت شقة مفروشة فيها بمبلغ ألفي ليرة لبنانية شهرياً/ ٢٠٠٠ ل. ل/. وقامت بصرف الخمسة آلاف دولار التي تحملها من أموال المخابرات الاسرائيلية بمبلغ عشرين ألف ليرة لبنانية، وهو مبلغ جيد في حينها. ثم تقدمت بطلب للحصول على خط هاتفي للشقة، فسجّل الطلب تحت رقم /٣٤٥١/ ووعدت خيراً. ولكن الجيران أفادوها بأن تركيب الهاتف يلزمه «واسطة»، فتذكّرت عند ذلك صديقتها التي تدير محلاً تجارياً في شارع الحمراء، فذهبت اليها ورجتها باعتبارها لبنانية (بنت البلد) أن تدلّها على «واسطة قوية» للحصول على الخط الهاتفي المنشود؛ فعرّفتها على موظف في إدارة التلفونات اللبنانية الذي أوضح لها أن الخطوط قليلة في منطقة عين الرمانة، ولكنه سيبذل جهده لتأمين خط لها بأقرب وقت، خصوصاً بعد أن حدّثته صديقتها اللبنانية عن الأحوال المادية لهذه السيّدة، وأنها على استعداد (للدفع)، حيث لم يَنْسَ هذا الموظف أن يقدم لها بطاقته (كرت فيزيت) التي تحمل عنوانه ورقم هاتفه للإتصال به عند الحاجة.

شكرت أمينة صديقتها وعادت الى شقّتها وهي تفكر في هذا الموظف، فوجدت فيه صيداً ثميناً لمعاونتها في عملها التجسسي، تستخدمه كنافذة يمكنها الاطلالة منها على المجتمعات، فضلاً عما يمكنها أن تحصل عليه من معلومات عبره نظراً لكونه موظفاً في مصلحة التلفونات، فلم تترك الوقت يمضي، وقد أصبحت نفسيتها هي ذاتها نفسية جواسيس اسرائيل من حيث التضحية بكل شيء (حتى الشرف) مقابل الحصول على المطلوب. فاتصلت به من محل بقّال وطلبت منه الحضور الى شقّتها للتباحث في موضوع الهاتف، فحضر مسرعاً، وهو الذي يرحب بل ويسعى جهده لإقامة مثل هذه العلاقات من وراء عمله في الهاتف. أما أمينة فقد أكرمت وفادته، ومن ضمن هذا الاكرام تناول الويسكي بعد الطعام، كما أقامت معه علاقة

غرامية عربوناً لإيصال الخدمة الهاتفية لها.

سُرَّ الموظف كثيراً بهذا الصيد (امرأة في ريعان الشباب تقدم له نفسها على طبق من الويسكي) كل ذلك لأجل (التلفون). فقام بإحضار صديق له وعرّفها عليه على أساس أنه يساعده في تأمين الهاتف، فقبلت إنشاء علاقة مع الثاني، وهي تضمر في نفسها أن تستدرجه للعمل معها في نطاق خلية جاسوسية لصالح المخابرات الاسرائيلية، فكتبت بذلك كله الى «الموساد» في فيينا مع ذكر عنوانها حسب طلبهم. فجاءها الجواب أن تترك موضوع الخلية الجاسوسية جانباً وتنفذ المهمة التي جاءت من أجلها بمفردها (وهي وضع تقرير ومخطط شامل ومصوّر عن منازل ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية وهم: الشهيد زهير محسن، رئيس منظمة الصاعقة، وأبو الزعيم (عطاالله عطاالله) مسؤول المخابرات العسكرية في حركة فتح، والثالث من آل «بسيسو» كما جاء في اعترافها لاحقاً).

كانت أولى خطواتها أن استعلمت عن منزل أبو الزعيم في الريحانية على وجه التقريب، لكنها لم تقدر أن تستعلم عن مدخل المنزل وعن القوى التي تحرسه، فقررت الذهاب بنفسها الى الريحانية، ووضعت الكاميرا على كتفها لتبدو كسائحة أجنبية. فاكتشفت مستشفى بالقرب من منزله فدخلته (كمريضة) لإجراء فحوصات عامة ليتسنّى لها الاقامة فيه ومراقبة وتصوير المنزل. لكنها وجدت أن شقق المستشفى لا تطل على المنزل بالشكل المطلوب، فخرجت منه في نفس اليوم بعد أن دفعت مبلغاً لا بأس به، وتوجهت الى بناية تقع أمام بناية أبو الزعيم مباشرة، فاستقبلها الناطور - وكان من الجنسية المصرية - فسألته عن وجود شقة فارغة للإيجار، فأجابها بالنفي. ولكي لا تقطع الحوار معه، سألته اذا كان لديه أولاد، فأجابها بنعم، وقد أوهمته أنها تحب الأولاد وتهوى تصويرهم، ثم طلبت منه أن يأتي بأولاده وزوجته المقيمين معه بنفس البناية لكي تلتقط بعض الصور معهم.

ذهب الناطور مسرعاً وجاء بزوجته وأولاده للسلام على هذه الست

الطيبة، فرحّبت أمينة بهم وأعطت الزوجة خمسين ليرة لبنانية، وعشر ليرات لكل واحد من الأولاد. ثم طلبت الصعود الى سطح البناية لالتقاط الصور. فأسرع الجميع حيث التقطت الجاسوسة من خلالهم بعض الصور لبناية أبو الزعيم المقابلة. وبعد انتهاء التصوير قدّمت لها زوجة الناطور الشاي، فسألتها أمينة ان كانت تطبخ الملوخية لأنها تحبها، فاعتذرت زوجة الناطور وصرّحت لها بأنها لم تذق الملوخية منذ وقت طويل (بسبب ضعف راتب زوجها). فقامت أمينة بإخراج مئتي ليرة لبنانية أعطتها للناطور ليعدّ لها الملوخية. وأنها ستحضر نهار غد لتناول هذه الأكلة التي تحبها معهم وفي منزلهم المتواضع. وعلى أساس المبدأ القائل: (أذكروا الفضل فيما بينكم) فقد تحدث ناطور البناية الى أحد حراس الأمن في بناية أبو الزعيم عن السيّدة الأنيقة الطيبة هاوية التصوير والملوخية، فشكّ هذا الحارس بالأمر وأعلم رئيسه بذلك فوراً، فتقرر كشف حقيقة هذه السيدّة. وعندما حضرت في اليوم التالي جرى اعتقالها ثم تسليمها لأجهزة الأمن اللبنانية المختصة التي حققت معها فأنكرت أن تكون قد قامت بأي عمل يمس الأمن، وأنها مواطنة أردنية صالحة ودكتورة في علم النفس تحاول إنشاء مستشفى أو عيادة لها في بيروت لمساعدة اللبنانيين المعاقين عقلياً وجسدياً، فجرى اطلاق سراحها، حيث بادرت «أجهزة أمن الثورة الفلسطينية باعتقالها في أول شهر أيلول/سبتمبر سنة ١٩٧٥ وأخضعت للتحقيق، فاعترفت بكل ما ذكر من أعمال التجسس لصالح المخابرات الاسرائيلية، وصودرت من شقتها أدوات التجسس والفيلم الذي قامت بتصويره لبناية أبو الزعيم من خلال أولاد الناطور.

أما المخابرات الاسرائيلية «الموساد» التي كانت تنتظر منها المعلومات التي أوفدت لأجلها فقد انتظرت كثيراً. ولدى اطلاعها من الصحف اللبنانية على نبأ اعتقالها جنّ جنونها، وبدأت بإجراء اتصالات ومفاوضات من خلال الصليب الأحمر الدولي من أجل استعادتها. ونجح الصليب الأحمر بعد مفاوضات مع الثورة الفلسطينية على اعادة أمينة الى اسرائيل مقابل اطلاق سراح أسيرين فلسطينيين هما:

١ ـ وليم نصار المعتقل في سجون اسرائيل منذ سنة ١٩٦٨.

٢ ـ محمد مهدي بسيسو المعتقل في سجون اسرائيل منذ سنة ١٩٧١.

بقي على الصليب الأحمر تأمين مكان التبادل، حيث جرى الاتصال مع الدكتور ليساريدس رئيس الحزب الاشتراكي القبرصي الذي قبل القيام بترتيب عملية التبادل على أرض مطار «لارنكا» الدولي في قبرص، بالتعاون مع وزير الداخلية القبرصي «بنيامين» والمخابرات القبرصية. وقد تحدّد يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٨٠ موعداً لإجراء التبادل. فقامت السلطات القبرصية بإجراءات أمن مشدّدة في مطار «لارنكا» الدولي، منها انتشار المصفحات والدبابات حول المطار، وإخلاء المطار من السواتر أو ما يمكن استعماله كساتر لأي عملية عسكرية محتملة تعكّر عملية التبادل. كما سحبت جميع السيارات التابعة للخطوط الجوية المختلفة، والسلالم، وأبعدت جميع الطائرات المتواجدة في المطار عن المكان المخصص لوقوف الطائرة الاسرائيلية. ومنعت الحركة تماماً في المطار والمباني المحيطة به منذ وصول الطائرة الاسرائيلية التي تقلّ الأسيرين وحتى إقلاعها. وقد تم التبادل بالتعاون مع السلطات القبرصية التي سهلت العملية. فقد حطّت الطائرة الاسرائيلية المقلّة للأسيرين في المطار، بعد أن أذن لها برج المراقبة، وبقيت في المدرج المعدّ لها مدة عشر دقائق بدون أن تفتح الأبواب خشية أن يكون هناك أي كمين أو تغيير في الخطة. ثم فتح باب الطائرة ونزل منها ضابط مخابرات اسرائيلي باللباس المدني ومندوب الصليب الأحمر الدولي، حيث تقدما باتجاه سيارة للأمن العام القبرصي كان بداخلها الجاسوسة أمينة المفتي وضابط من قوات أمن الثورة الفلسطينية ومندوب الصليب الأحمر. وقد بقي ضابطاً المخابرات الاسرائيلية وأمن الثورة الفلسطينية بعيدين عن بعضهما بينما تصافح مندوبا الصليب الأحمر ونقلت رغبة الضابط الاسرائيلي بالتعرّف على أمينة، أي مشاهدتها للتأكد. فتشاور مندوب الصليب الأحمر مع ضابط أمن الثورة الذي وافق على ذلك، فتقدم الضابط الاسرائيلي من السيارة وهو يحمل صورة الجاسوسة بيده، فتأكد أنها هي نفسها، فعاد الى الطائرة وأنزل منها الأسيرين اللذين تبعاه حتى مكان

وقوف مندوبي الصليب الأحمر فوقفا بجانبهما، ثم توجه مندوب الصليب الأحمر مع ضابط المخابرات الصهيوني الى السيارة حيث نزلت منها أمينة وتوجّهت معهما الى الطائرة الاسرائيلية التي عادت بهم الى اسرائيل. ركب الأسيران سيارة الأمن العام ومعهما مندوب الصليب الأحمر وضابط أمن الثورة الفلسطينية وتوجهوا الى مدينة «لارنكا». وفي مكان متفق عليه في الطريق كانت سيارة مدنيّة تقف بانتظارهم، حيث ركب الأسيران والضابط الفلسطيني تلك السيارة وعادوا الى مطار لارنكا كمسافرين عاديين واستقلوا الطائرة الى بيروت. وفي اليوم التالي أصدرت وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) بياناً شكرت فيه تعاون الصليب الأحمر الدولي وجهوده الانسانية كما شكرت الحكومة القبرصية على موافقتها بأن يتم التبادل على أراضيها.

ان الثورة الفلسطينية عندما قبلت التفاوض لأجل تبادل الجاسوسة أمينة المفتي بالأسيرين الفلسطينيين (وليم نصار ومحمد مهدي بسيسو) كانت مقتنعة بأن هذين الأسيرين أغلى من أمينة المفتي بملايين المرات، ولأن هذه الجاسوسة لم تقم بنشاط هدّام خلال الأيام الأولى من وصولها الى بيروت، من ناحية ثانية.

واذا كانت «أمينة المفتي» أمينة بالاسم فقط، وليست أمينة على نفسها، فليس من الغرابة أن لا تكون أمينة على شعبها ووطنها وأمتها. وكم في هذا العصر من أناس يحملون أسماءهم الكبيرة، يتسترون بها للقيام بما لا يمتّ للإنسانية بصلة، في كثير من الأحيان.

تقـرير «سرّي جداً»
من رئيس «الموساد» الى رئيس الوزراء الاسرائيلي
مناحيم بيغن أو «عملية نشر الغسيل»

الانسان وريث كل العصور، بسلبيّاتها وايجابيّاتها. انه يحمل كل التركة الزاخرة بحسناتها ومثالبها، على امتداد زمن تاريخي طويل، وما قبل التاريخ، وصـولاً الى الانسان الحـاضر في القـرن العشرين. وكم كـان صادقـاً «محـرر العبيد»، الرئيس ابراهام لنكولن، بقوله: «تستطيع أيها الانسان أن تخدع كـلَّ الناس بعض الزمن، وأن تغشَّ بعض الناس كلَّ الـزمن. ولكنك تعجـز من أن تخدع كلَّ الناس كلَّ الزمن».

فإذا كان هـذا على صعيد الانسـان الفرد، فكيف اذا كـانت الحال على صعيـد جماعـة لها من القـوة والامكانـات ما لا يـوصف؟ أو على صعيد دولـة رضعت العنصرية والاجرام يوم كانت جنيناً في رحم التاريخ، كمـا هو الحـال مـع دولة الاحتـلال الصهيوني على أرض فلسـطين، والمتمثلة بـ «اسرائيـل»؟ ونظراً لاحتراف «مهنة» الدجل والتضليل عند قادة الدولة العبرية، فـإن نهجهم الاسـتـراتيجي يقوم على دعـائم وأسس ثابتـة، لا مجال لتجـاوزهـا أو التخلي عنها.

يـرتكز هـذا النهج على اظهـار اسرائيـل بمظهـر الدولـة الديمـوقراطيـة

المتقدمة، التي يتمتع فيها الانسان بكل الحقوق التي ضمنها له القانون المحلي والدولي. وقد ضغطت هذه الدولة على نفسها أكثر فأكثر لتظهر للعالم بمظهر الدولة العلمانية الراقية التي لا يضيع فيها أيّ حق. لذلك عمدت الى تشكيل لجنة «اغرانات» عقب حرب رمضان/ اكتوبر سنة ١٩٧٣، بعد أن تحطمت أسطورة «جيشها الذي لا يقهر» على صخرة ارادة الانسان العربي المستندة الى «قرار القتال». . . وشكلت لجنة (للتحقيق) عقب مجازر مخيمي صبرا وشاتيلا في بيروت عام ١٩٨٢. وإن أي مراقب حيادي (بمعنى أن لا يكون مع اسرائيل ولا مع العرب) بمقدوره أن يؤكد أن تشكيل مثل هذه اللجان ما هو إلا مهزلة لذرّ الرماد في العيون. وقد أثبتت نتائج التحقيق والتوصيات المتخذة في هذه اللجنة، صحة التدجيل والتمثيل الاسرائيلي على أعلى المستويات.

وعندما تصل الأمور داخل الكيان الصهيوني الى حدّ الخطر، يهرع المسؤولون عن المخابرات ويدلون بدلوهم الاستخباري لتنبيه المسؤولين الى ما وصلت اليه الأمور من الانحلال، من أصغر موظف حتى الأشخاص ذوي المرتبة الثانية في الدولة كنائب رئيس الوزراء، ونائب رئيس الأركان، ومعاون الوزير، وحتى الوزير نفسه. . . وجميعهم من تحت الغربال في الكيان الصهيوني، حسبما جاء في تقرير أعدته رئاسة المخابرات الاسرائيلية، ورفعته الى رئيس الوزراء (مناحيم بيغن) بعد حرب «سلامة الجليل»، وكأنه لا يعلم سلوك أهل البيت والجيران معاً. . .

ان هذا التقرير ممهور بكلمة «سرّي جداً»، وتحت رقم ٧٤٣٣٢/غ.

وهذا نصه: من المدير العام للمخابرات الاسرائيلية/ الى السيد رئيس مجلس الوزراء مناحيم بيغن المحترم.

في هذه الأوقات الحرجة التي نمر بها، والتي تعتبر من أصعب الأوقات التي مرّت بها بلادنا منذ عام ١٩٤٨، حيث وصلت الأمور الادارية الى حدود الانقلاب التام من أكثر المسؤولين المدنيين والعسكريين، لذلك نرى من

واجبنا أن نطلعكم على حقيقة الأمور بحذافيرها، لتتخذوا الاجراءات التي ترونها مناسبة، ونكون بذلك قد أدّينا الواجب الذي يفرضه علينا وجودنا في هذه المؤسسة، متمتّعين بثقتكم الغالية والأمر لكم:

أولاً: استهتار الضباط الكبار وعدم اطاعتهم الأوامر حتى أثناء الحرب: تعاني القوات الاسرائيلية من ظاهرة انعدام الطاعة داخل الهرم القيادي على مستوى القطعات الكبرى.

وتتمثل هذه الظاهرة في أن قادة المجموعات الاحتياطية (الألوية - الفرق) التي تدعى أثناء الحرب، يرفضون الخضوع لأوامر قادة المناطق أو الاعتراف بسلطتهم. وترجع هذه المسألة الى أن قادة الألوية الاحتياطية كانوا سابقاً قادة في الجيش العامل، وتسلموا خلال خدمتهم الفعلية مراكز عالية، وكان تحت أمرتهم عدد من الضباط الذين بقوا في الخدمة، ووصلوا الآن الى مناصب قيادية. وعندما تجري التعبئة العامة ويستدعى الاحتياط، يضطر قادة الألوية الاحتياطية للعمل تحت قيادة ضباط كانوا قبل عدة سنوات في عداد مرؤوسيهم، ويقفون أمامهم باحترام حسب الأقدمية في حينه. أما الآن فهم يجدون غضاضة في ذلك، بل ويرفضون أوامر رؤساء اليوم**مرؤوسي** الأمس. ويحدث من جراء ذلك احتكاكات ومصادمات تعرقل سير العمل وتفقد قادة المناطق السيطرة العملية على القوات أثناء المراحل الحاسمة من المعركة.

وأثناء ذلك نقدم مثالاً مضى عليه الوقت، لكن نفس الأمور تتكرر الآن في حرب «سلامة الجليل». والمثال يا سيادة رئيس الوزراء - يضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية - هو أنه في حرب ١٩٧٣ استدعي اللواءأريبل شارون (وزير الدولة) الى الخدمة الاحتياطية وسلّم قيادة ألوية في المنطقة الجنوبية (سيناء). وكان شارون قد عمل كقائد لتلك المنطقة في فترة ١٩٦٩ - ١٩٧١. حيث كان من بين الضباط العاملين تحت أمرته آنذاك «العقيد شموئيل غونين». وتشاء الصدف أن يرقّى العقيد غونين الى رتبة لواء ويغدو في عام ١٩٧٣ قائداً للمنطقة الجنوبية. لذا فقد كان على شارون (رئيسه

السابق) أن يعمل تحت أمرته، مما اضطره الى رفض ذلك. وبرّر شارون رفضه هذا بثلاثة أسباب هي:

١ ـ ان اللواء غونين كان مرؤوسه، ولهذا فهو يرى أن العمل تحت أمرته يسيء الى كرامته...

٢ ـ انه أقدم من اللواء غونين، نظراً لأنه وصل الى رتبة (لواء) قبله بخمس سنوات.

٣ ـ انه أكثر منه كفاءة وأقدر منه على العمل وتقييم الموقف والتصرف في عمليات سيناء.

ويضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية بقوله: ولم يقتصر هذا الوضع على شارون وحده، بل شمل مجموع الألوية التي خصصت للقتال على الجبهة المصرية. فقد كان جميع رؤسائها (قادتها) يحملون رتبة (لواء) وسبق لهم أن تولوا مناصب عالية في المنطقة الجنوبية عندما كان غونين لا يزال برتبة (رائد أو مقدم). لذا فإنهم نظروا اليه باستعلاء ورفضوا الانصياع لأوامره. ونشأ عن هذا الموقف غير الانضباطي وضع خطير، اذ أخذ كل قائد لواء يعمل على هواه، وبقي قائد المنطقة (غونين) في مقر قيادته عاجزاً عن تنفيذ خطته، أو تحريك القطعات الموضوعة تحت تصرفه؛ وتحول من قائد الى شاهد، يتابع ما يفعله مرؤوسوه دون أن يملك سلطة تنفيذ أوامره وقراراته. وكان من الممكن أن يؤدي هذا الوضع الى عواقب وخيمة لو أن القيادة المصرية كان لها مقدرة ملاحظة الخلل الناجم عن انعدام السيطرة المركزية داخل القوات الاسرائيلية في المنطقة وعملت على استغلاله.

وبعد اتصالات «شموئيل غونين» أدركت القيادة الاسرائيلية بسرعة خطورة الوضع، فقرر رئيس الأركان «دافيد اليعازر» إصدار أمره بعزل شارون واعتقاله حسب الأنظمة العسكرية بتهمة رفض أوامر قائد الجبهة. ولكنه لم يستطع كما تعلمون تنفيذ أمره في حينه. وفي تلك الفترة الحرجة من القتال خاصة وأن مجموعة شارون كانت على وشك العبور الى الضفة الغربية لقناة

السويس، حيث تدخلت غولدا مائير ورأت أن الحل الأمثل هو تعيين قائد من الاحتياط أعلى رتبة من غونين وجميع قادة الألوية ليتولى قيادة الجبهة الجنوبية وفرض السلطة على الجنرالات الخمسة الذين يعتبرون أنفسهم أعلى من غونين بما فيهم شارون . . ؟ .

وعلى هذا الأساس طلبت غولدا مائير من وزير التجارة والصناعة اللواء الاحتياط (حاييم بارليف) الذي رفع الى أول رتبة (فريق) في اسرائيل لدى إحالته للتقاعد كما تعلمون، وطلبت منه التخلي عن وزارته والالتحاق بالجبهة الجنوبية (كرئيس أركان خاص). وقد التحق بارليف فوراً. وفي أول زيارة لغونين أعلمه أنه لم يأت ليحل محله بل لمساعدته في ضبط الأمور وحل معضلات الانضباط ومساعدته للسيطرة على قادة الألوية. ومع ذلك فإن وجود بارليف مع غونين أفقد هذا الأخير سلطته القيادية، وحوّله الى ضابط أركان لدى بارليف . . .

ثانياً: تجاوزات الجنرالات . . . وكسبهم غير المشروع . . ؟ .

يضيف رئيس «الموساد» في تقريره الى مناحيم بيغن بقوله: تعلمون أن شعبنا الاسرائيلي أصبح يقدس القوة ويعتبرها أساس قيامه ومبرر وجوده، والضمانة الأولى لبقائه في بحر العداء العربي. وتتجسد القوة في نظره بالقوات المسلحة التي استطاعت احتلال فلسطين (بالقوة) ثم حافظت على الأراضي رغم المحاولات العربية لاستردادها. ولذلك فإن للعسكريين والضباط (بشكل خاص) وضعاً اجتماعياً متميزاً داخل المجتمع الاسرائيلي. ويستغل الضباط هذا الوضع المتميز لتحقيق المكاسب الشخصية خلال وجودهم في الخدمة، ثم يتابعون الاستغلال بعد ترك الخدمة والالتحاق بالوظائف المدنية أو حين إشغالهم المناصب السياسية. وقد أثبتت التحقيقات مثلاً أن جزءاً كبيراً من الأموال المخصصة لبناء «خط بارليف» قد تسرّب الى جيوب المقاولين المدنيين والضباط المتواطئين معهم، لقاء عمولات معينة. وجاء سقوط «خط بارليف» عام ١٩٧٣ ليثير هذا الموضوع من جديد، وليدفع

شعبنا الاسرائيلي الى التحدث عن منفعة «خط بارليف» في بناء الڤيلات الفخمة للمقاولين والضباط في اسرائيل فقط... ومن أشهر الأسماء اللامعة في مجال التجاوزات:

١ ـ الجنرال الراحل «موشيه دايان» الذي استغل منصبه كوزير دفاع، والسمعة التي اكتسبها في حرب ١٩٦٧ وبعدها، وقام باستخدام عمال وخبراء الدولة لمساعدته في التنقيب عن الآثار واستخراجها، لا ليقدمها هدية للدولة أو للمتاحف، بل أنه باعها بأسعار خيالية الى تجار ومهرّبي الآثار.

٢ ـ الجنرال «أرييل شارون» نفسه وزير الدفاع قبل إعادته للخدمة؛ وأثناء تركه الخدمة العسكرية قام بشراء أرض في النقب بأموال لم يكشف مصدرها، وزرعها بالبطيخ (المسمّى جبس). واستغل منصبه عندما كان وزيراً للزراعة فاستخدم موظفي ومعدات الوزارة في مزرعته، فأطلق عليه اسم «جنرال البطيخ». كما أنه استخدم الأحداث من سكان غزة العرب للعمل في مزرعته، مخالفاً بذلك القوانين التي تمنع تشغيل الأحداث الذين يقلّ عمرهم عن ١٦ سنة. ووجد الهستدروت (أي اتحاد نقابات العمال) الذي يسيطر عليه حزب العمال المعارض، الفرصة المناسبة لتفجير أزمة للإطاحة بجنرال البطيخ (شارون) والاساءة الى تكتل «ليكود» اليميني الحاكم. لذلك طلبت وزارة العمل من وزارة الزراعة (شارون نفسه) إيقاف استخدام الأحداث، ولما رفض ذلك قامت وزارة العمل باستصدار أمر من المحكمة العليا الاسرائيلية بمنع الأحداث من مغادرة قطاع غزة بسيارات العمال المتجهة الى النقب، وهددت أهالي الأحداث بإحالتهم للمحاكمة في حال السماح لأبنائهم بالعمل قبل بلوغ السن القانونية.

٣ ـ المستشار العسكري الخاص لرئيس الوزراء السابق اسحاق رابين لشؤون مكافحة الارهاب «رحبعام زئيفي». فقد تمثلت تجاوزاته في تهريب الأسلحة الاسرائيلية وتسويقها في بعض دول أميركا اللاتينية وأفريقيا. ولقد كشفت الشرطة الاسرائيلية العلاقة بين هذا الجنرال و(مافيا) تهريب

الأسلحة التي جنّدها «رحبعام» للقيام بعمليات جمع الأسلحة وتسويقها وشحنها ومن ثم تدريب الزبائن عليها.

وبعد ذلك حل الجنرال «غونين» مكان «رحبعام» في هذا المجال. فقامت الشرطة بتفتيش منزله حيث عثرت على كميات كبيرة من الأسلحة. وكان للجنرال «ييغال يادين» (الذي شغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء) دور في كشف تعامل غونين بتهريب الأسلحة مستغلاً مركزه العسكري. فأمر بتفتيش منزله بعد أن تأكد من وجود الأسلحة المعدّة للتهريب فيه. وقد صودرت كمية كبيرة منها فعلاً. ويبدو أن للعلاقات الشخصية المتوفرة بين «يادين» و«غونين» دوراً في عملية الكشف، نظراً لأن «يادين» كان عضواً في لجنة «اغرانات» التي أدانت «غونين» بعد حرب ١٩٧٣، فهاجمه «غونين» بشدّة، وكال له الاتهامات.

ووجد «يادين» أن الفرصة قد حانت للانتقام، فانتهزها. وقد وجدت الشرطة العسكرية في منزل «غونين» بالاضافة الى الأسلحة، عدداً من الوثائق السرّية والتقارير الميدانية الخاصة بحرب ١٩٧٣. كما وجدت الصفحات الضائعة من السجلات العسكرية التي لم يقدمها «غونين» الى (لجنة اغرانات) عندما حققت هذه اللجنة معه.

ويظهر من كل ذلك مدى استهتار القادة الاسرائيليين بالتعليمات العسكرية واستغلالهم الكبير لوضعهم الخاص المتميز، خاصة اذا كانوا مثلما ذكرنا، من الضباط الذين حققوا بعض الانجازات العسكرية خلال الحرب مع العرب، وحصلوا على سمعة شعبية يحتمون بها لخدمة مصالحهم الخاصة كما تبين.

وعندما يمعن السوس نخراً في جذوع الشجر، يصبح مظهرها الخارجي البراق والشامخ، غير ذي فائدة إطلاقاً. ومهما رأت نفسها متعاليةً على شجيراتٍ صغيرة تتمتع «بمناعة» المقاومة، سرعان ما تنتصب الحقيقة، لتثبت زيف المظهر الخارجي، وتؤكد أن الواقع هو عكس ذلك. وليس بمقدور أيّ

طلاءٍ أن يحجب الجوهر الى الأبد، مهما كانت قوة لمعانه وفعاليته.

وهكذا هي حال اسرائيل في منطقة الشرق الأوسط. شجرة في غابة المنطقة، تحاول جاهدة إيهام العالم أنها سليمة من كل أمراض العصر وأوبئته... ولكن الدعاية شيء والواقع شيء آخر... ولم يقتصر واقعها على السوس فقط، إذ قلّما وجد نوع من الفساد والانحلال إلا وتغلغل مع الدم في شرايينها...

وليس أصدق من «أهل البيت» في وصفهم لكل ما أصاب «إسرائيل» بعد حوالي ٣٨ عاماً على قيامها. و«صاحب البيت أدرى بالذي فيه» كما يقولون.

ففي تقريره الـ «سرّي جداً» الى رئيس وزراء العدو الصهيوني مناحيم بيغن، يضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية (الموساد) على:

- استهتار الضباط الكبار وعدم اطاعتهم الأوامر حتى أثناء الحرب.
- وتجاوزات الجنرالات... وكسبهم غير المشروع...

ثالثاً: تدنّي المستوى الخلقي والانضباطي داخل الجيش...

ويخاطب مناحيم بيغن بقوله:

نعرض لكم أيضاً أن المستوى الانضباطي في القوات المسلحة دائماً في مستوى أدنى من المستويات العالمية. ولكن التدقيق في اختيار القيادة لأعضاء الجيش العامل (المتطوعين)، ووضع الشروط الأخلاقية المتشدّدة خلال دعوة المجندين، كانت تخفف من شدّة هذه الظاهرة الى حدٍّ ما. وبعد حرب يوم الغفران، ظهرت الحاجة الى توسيع القوات المسلحة بغية موازنة التفوّق العددي (عند العرب). ولكن الواقع الديمغرافي في اسرائيل لم يكن يسمح بإجراء توسع طبيعي. لذا خففت القيادة الشروط النفسية والأخلاقية المفروضة عند اختيار الجنود المتطوعين للإحتراف، وحتى عند سوق المجندين الى الخدمة. ونجم عن هذا التساهل الذي ساهمت به مخابراتنا،

زيادة عدد القوات المسلحة (١٥٠ ألف فرد) لم يكن ضمهم للقوات المسلحة ممكناً قبل حرب ١٩٧٣.

ومن المؤكد أن أغلبية هؤلاء الجنود كانوا معفيين لأسباب دينية أو جسدية. والقسم الأكبر كان معفياً لأسباب نفسية أو أخلاقية، أو لارتكابهم جرائم مختلفة كالسرقة، والتهريب، والقوادة (أي تسهيل الدعارة) والمخدرات. . . الخ. . .

ويضيف رئيس «الموساد» قائلاً: وبسبب هذا السيل الكبير من المرضى النفسيين أو الشاذّين أو المنحرفين، (تدنّى المستوى الأخلاقي) في القوات المسلحة، وتدنّى معه بالتالي المستوى الانضباطي وظهر وضع جديد أقلقنا وأقلق القيادة، مما دفع رئيس الأركان السابق «مردخاي غور» الى الاحتجاج والمطالبة بتغيير هذا الوضع الذي يصعب على قادة الوحدات التغلب عليه. ونذكر لسيادتكم أنه لوحظ منذ تطبيق سياسة التوسع في عام ١٩٧٤ انتشار عدد من المظاهر غير الانضباطية على الشكل الآتي:

أ ـ عدم احترام الضباط ذوي الرتب العالية.

ب ـ عدم ارتداء الضباط الصغار وحتى الكبار (واقية الرأس) المسمّاة (القبعة أو السيدارة) وترك الحبل لشعرهم على الغارب كالهبّيين.

ج ـ تكاثر حالات الغياب من الثكنات.

د ـ عجز الشرطة العسكرية عن فرض هيبتها السابقة وضبط المخالفين.

هـ ـ سرقة الأسلحة من المستودعات وبيعها، بالاضافة الى سرقة معدات وتجهيزات الزملاء في الخدمة.

و ـ تعاطي المخدرات داخل الثكنات وخارجها.

ز ـ اغتصاب النساء سواء من جوار الثكنات أو خارجها.

ح ـ تعاطي الشذوذ الجنسي بين مختلف الرتب.

ويضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية موجهاً خطابه الى مناحيم بيغن قائلاً: ولقد احتج قادة الوحدات على هذا الوضع، وطالبوا باتخاذ التدابير التي تضمن حماية الانضباط في القوات المسلحة. ولكن رئاسة الأركان كانت ترد على التقارير التي تصلها من الوحدات بالتأكيد على أن التخلص من هذا الوضع الشاذ يتطلب العودة الى تطبيق قوانين التجنيد (السابقة) التي تمنع المنحرفين من دخول القوات المسلحة؛ وأن هذه العودة متعذّرة بسبب الحاجة الماسة لأعداد كبيرة من الجنود لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة لاسرائيل. وأن المجتمع الاسرائيلي ليس له قدرة على تأمين العدد الكافي من الجنود الأسوياء. ونحن نعلم أنه في عام ١٩٧٥، اتخذت تدابير في حصر خدمة الجنود المنحرفين بالوحدات الادارية، وعدم ضمهم الى الوحدات المقاتلة حتى لا ينقلوا اليها عاداتهم السيئة. ومع هذا فقد انتشرت ظواهر الاجرام وتعاطي المخدّرات في وسط الوحدات الادارية وخاصة بين سائقي سيارات الضباط وعمال المصانع العسكرية والورشات وحراسات المستودعات الخلفية.

وقد أدى انتشار تعاطي المخدرات بين القوات المسلحة الى بروز ظاهرة «الانتحار» بين العسكريين. ولدينا تقرير يفيد أن نسبة المنتحرين من العسكريين قد زادت ٦٥٪ عن السابق، وأن الدوافع الى الانتحار هي اليأس والقنوط الذي يصيب العسكريين ويدفعهم الى تعاطي المخدرات. وفي حال فشل المخدرات في حل مسألة اليأس والقنوط يلجأون الى «الخيار» الأخير المتمثل بالهروب من الحياة الى الموت انتحاراً.

ويؤكد رئيس «الموساد» بقوله: ولا زالت مشكلة الانتحار تقلقنا حتى الآن رغم تعيين مئات الباحثين النفسيين والأطباء في مختلف وحدات القوات المسلحة لدراسة ظاهرة الانتحار المتفشّية ووضع الدراسات اللازمة لمعالجتها. ويدل ما اطلعنا عليه حتى الآن أن اليأس قد تغلغل في نفوس أغلب العسكريين لعدة أسباب أهمها:

أ ـ فقدان الثقة بالزعماء السياسيين لاسرائيل.

ب ـ اهتزاز الثقة بإمكانية بقاء دولة اسرائيل.

ج ـ الشكوك التي تحيط بتصرفات الحكومات المتعاقبة.

د ـ خيبة الأمل الناجمة عن عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على تحقيق انتصار حاسم ونهائي على العرب.

هـ ـ شعور العسكريين الاسرائيليين بأن الانتصار التاريخي على العرب متعذّر لأسباب ديموغرافية واستراتيجية، خاصة بعد تنامي الثورة العربية ويقظة القومية العربية والدعم العسكري والمعنوي والسياسي الذي يقدمه الاتحاد السوفياتي للعرب.

و ـ الشعور بأن جميع التضحيات السابقة قد ذهبت أدراج الرياح، وأن كل حرب جديدة ستكون أقسى من سابقتها وتتطلب تضحيات اكثر.

ز ـ التجاوزات المالية لكبار العسكريين والسياسيين التي يلمسها العسكري الاسرائيلي مما يدعوه للتساؤل: هل أقاتل من أجل هؤلاء الذين يختلسون ويسرقون ويصبحون من الأثرياء على حساب دمي وحياتي؟..

ويضيف رئيس المخابرات الاسرائيلية قائلاً: وتقول هذه الدراسات في نهايتها بأن رفع المستوى المعنوي والأخلاقي للجندي الاسرائيلي يتطلب تبديلاً جذرياً في المجتمع نظراً لاعتماد الجيش الاسرائيلي على المجندين الذين يفدون اليه من المجتمع رأساً، على أن يشمل هذا التبديل تطهير أجهزة الدولة من القاعدة الى القمة، والعمل على أن يستعيد الشعب الاسرائيلي ثقته بالقوات المسلحة من خلال انتصار باهر على العرب، وطمأنة المواطنين الاسرائيليين الى مستقبلهم، .ولفت نظرهم الى فضل الصلح التعاقدي الذي عقد مع مصر أقوى دولة عربية، والأمل بأن يؤدي هذا الصلح الى إجبار الدول العربية الى التصالح معنا.

ويستطرد رئيس «الموساد» مخاطباً مناحيم بيغن حول:

ـ وضع المجندات الأخلاقي في الجيش الاسرائيلي، فيقول: إن قضية خدمة الفتيات الاسرائيليات في الجيش تشكل مشكلة بحد ذاتها، نظراً لأن الأحزاب الدينية تعارض تطبيق الخدمة الالزامية على الفتيات. ولكن حاجة القوات المسلحة الاسرائيلية للقوة البشرية وعدم كفاية الرجال لإشغال كل الخدمات، جعل حكوماتنا المتعاقبة ترفض الانصياع لمطالب الأحزاب الدينية، وتكتفي بحل وسط يتمثل في تجنيد الفتيات غير المتديّنات، وبوسع كل فتاة أن تتخلص من الخدمة الالزامية بعد حصولها على وثيقة من الحاخامية اليهودية تثبت أنها متديّنة. ونظراً لأن الحاخامية تسهّل الحصول على هذه الوثيقة بحكم تعاطفها مع الأحزاب الدينية، فإن من الممكن القول أن مجنّداتنا عبارة عن متطوعات باختيارهنّ تقريباً.

وليس وجود الفتيات في الجيش أمراً مقلقاً لو كان المجتمع الاسرائيلي متمسكاً بأهداب الفضيلة. ولكن وجود المجندات مع الانهيار الخلقي العام في اسرائيل الذي نتحدث عنه، واختلاط الجنسين في ظروف غير طبيعية، يؤدي الى نشوء علاقات جنسية لا تخضع للضوابط الاجتماعية، ولا يحرم القانون العسكري الاسرائيلي على المجنّدة إقامة مثل هذه العلاقات مع أي جندي أو ضابط، شريطة أن يتم اللقاء الجنسي خارج القواعد العسكرية، وعلى بعد لا يقل عن ستة أمتار منها. ولكن القانون نفسه يحرم على المجنّدة الحمل غير الشرعي، وتكون عقوبة المجندة الحامل (الطرد من الخدمة). ولعلمكم يا حضرة رئيس الوزراء، فقد ذكر «عزرا وايزمان» عندما كان وزيراً للدفاع رداً على سؤال عضو الكنيست «غيئولا كوهين» بأن عدد المجنّدات اللواتي يطردن من الخدمة سنوياً بسبب الحمل غير المشروع يصل الى /١٥٠٠/ مجندة.

ومن المعلوم أن المجندات لا يخدمن في جميع الأسلحة، بل تقتصر خدمتهن على الخدمات الادارية التابعة لقطعات المدفعية والمدرعات. ولكن وجود قواعد هذه القطعات في أماكن بعيدة عن المدن، جعلت الجنود

المعـزولين عن الجنس الآخر، يـلاحقون مجنّـدات الشؤون الادارية بشكـل مفضـوح، بل ويعتـدون عليهن بـالقـوة أحيـانـاً، الأمـر الـذي زاد من معضلة الانضباط داخل الوحدات، ويشغل قادة هذه الوحدات بمشاغل يومية اضافية. لذلك تمّ استبعاد الفتيات من سلاحي المدفعيـة والمدرعـات، واقتصر عملهن على الخدمة في الوحدات الادارية الخلفية وسلاح البحرية.

ومـع ذلك، فقـد تزامن وصـول الفتيات بأعـداد كبيـرة الى الـوحـدات الادارية مع تجميـع المنحرفين في هـذه الوحـدات أيضاً، بعـد إبعـادهم عن القطعات المحـاربة كمـا ذكرنـا. ونجم عن ذلك وضـع غير طبيعيٍ تمثـل في انتشار الفساد على نطاق واسع، بل والى اقامة حفلات دعـارة داخل الثكنـات نفسهـا، وانتقال تعـاطي المخدرات الى المجنّـدات، الأمر الـذي أثار أهـالي المجنّـدات ودفعهم الى الاحتجاج. وأعـطى الأحزاب الـدينية مبـرراً للضغط أكثر وأكثر لإلغاء تجنيد الفتيات.

وكانت خدمـة الفتيات في سـلاح البحريـة بعيدة عن الأضـواء. وكانت المعلومات تؤكد نجاح المجندات في هـذا السلاح، الى أن انفجـرت فضيحة القـائد السـابق للبحريـة الاسرائيليـة «ميخائيـل بركـائي» الذي استغـل وظيفته ورتبتـه وقـام بـاغتصـاب مجنّـدتين من سـلاح البحـريـة. ولكن المجنّــدتين المغتصبتين لم تبلّغا عن حادثة الاغتصاب في حينها. وكان من الممكن إخفاء هـذه القضية لـولا أن عضو الكنيست السيـدة «شـولا ميت ألـوني» علمت بهـا وأثارتها داخل الكنيست بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٨. ولقد أثبتت التحقيقات أن الجنرال بـركائي اغتصب المجنّـدتين خلال خـدمتهما الـرسمية تحت أمـرته. وقـد تجرأت فتـاتان غيـرهما كـانتا من عـداد المجنـدات لـدى الجنرال ميخائيل، واعترفتا بأنه مارس معهمـا الجنس في مكتبه لـدى مقابلتـه لأسباب تتعلق بوضعهنّ في الخدمة، فتقـرر تجميد خـدمته فـوراً، وأحيل الى المحكمة العسكرية الخاصة بتاريخ ١٩٧٨/١١/١٩. ورغم تبرئته لعدم ثبوت الدليل (لأن الفتيات الأربع لم يستطعن الحضور والظهور أمام المحكمة خشية

الفضيحة والصحافة)، فإن القضاة كانت لديهم قناعة تامة بأنه (مذنب)، مما دعاهم الى تقديم توصية بتجميده، الى أن يقرر الزعماء السياسيون مصيره (وقد سرّح من الجيش فعلاً فيما بعد بقرار سياسي). وهناك إشاعات بأنه اغتصب الكثيرات وأنه ليس الضابط الوحيد الذي أقدم على مثل هذا العمل. وأن عدم انكشاف هؤلاء يعود الى أن المجندات المغتصبات يلجأن للصمت خوفاً من الفضائح. ومن هنا جاء التحرك المستمر من الأحزاب الدينية ضد خدمة المجندات في القوات المسلحة. (وهذا ما دفع وزير الدفاع الصهيوني بتاريخ ٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣، أن يصدر أمراً يقضي بتزويد المجندات الاسرائيليات بعلب رش صغيرة تحوي غازاً مسيّل للدموع للدفاع عن أنفسهن ضد الاغتصاب الجنسي بعد أن كثرت الشكاوى من العائلات الاسرائيلية التي تتعرض بناتها للاغتصاب. . .).

ويتابع رئيس المخابرات الاسرائيلية خطابه الى مناحيم بيغن فيقول: وبعد، إننا اذ نعرض هذه الظواهر الأربعة بالاضافة الى انعدام الانضباط الخارجي (كالتحية التي اختفت منذ سنين. اللباس العسكري. التصرف في الشارع والمحلات العامة) تدل على وجود أزمة معنوية حقيقية داخل الجيش الذي يتصرف أفراده بعد ٣٤ سنة من الاستقلال وانشاء الدولة وقواتها المسلحة النظامية وفق التقاليد والمفاهيم الانضباطية التي كانت سائدة أيام (الهاغاناه) و(شتيرن) و(ارغون) التي سبقت ظهور الدولة، مع فارق نذكره بالاحترام وهو أن رجال الهاغاناه وشتيرن والارغون كانوا يملكون نفسية الرواد، في حين أن غالبية الشبيبة الاسرائيلية الحالية مصابة بأمراض المجتمع الرأسمالي، وفي مقدمتها الضياع والانحلال الخلقي وعدم الاحساس بالضوابط والروابط الاجتماعية.

ويخلص رئيس «الموساد» الى اقتراح مفاده: نقترح الأخذ بما جاء في هذا التقرير والدعوة الى اجتماع يحضره السيد وزير الدفاع والسيد رئيس الأركان والسيد وزير الشرطة والقضاة العسكريون لتدارس ما يمكن اجتنابه بشكل جذري وخدمة للمصلحة العامة للشعب الاسرائيلي.

يرفع مع الاحترام

رئيس المخابرات الاسرائيلية

وبما أن التقرير لم يذكر اسم مدير المخابرات الاسرائيلية، فإننا نؤكد بأنه الجنرال «تسفي زامير» الذي خلفه «اسحاق حوفي» في أول سبتمبر ١٩٧٤.

المراجع

١ * مجلة «استراتيجيا» (اللبنانية). العدد ٣. شهر يناير ١٩٨٢. ص ٩١ ـ ٩٣ (دراسة للباحث عصام الجزار بعنوان: الانهيار الخلقي في الجيش الاسرائيلي).

٢ * سعيد الجزائري «المخابرات والعالم» الجزء الثاني. منشورات مكتبة النوري. دمشق. دون تاريخ. ص ٤٣٩ ـ ٤٥٣.

اسرار عملية اغتيال
جوهرة القارة الآسيوية انديرا غاندي

في الوقت الذي كان فيه شهر اكتوبر ١٩٨٤، يطوي آخر ورقة في روزنامته، كان العالم بدوره يقف مشدوهاً أمام نبأ اغتيال رئيسة وزراء الهند، انديرا غاندي.

فمن هي هذه المرأة؟ ولماذا اغتيلت؟ وما هي أسرار عملية اغتيالها؟.

تعتبر انديرا غاندي جوهرة القارة الآسيوية، والشخصية الوطنية الأولى في الهند، وأبرز الرموز الحيّة لحركة عدم الانحياز، واحدى كبار الزعماء المعروفين في العالم.

لقد ولدت انديرا في مدينة الله أباد (Allahabad) بولاية «أوتاربراديش» في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧. وهي الابنة الوحيدة لرئيس الوزراء الهندي الزاحل «جواهر لال نهرو». وجاء اغتيالها قبل عشرين يوماً من بلوغها عامها السابع والستين.

لقد ولدت انديرا غاندي دون أي شك «في السياسة» أكثر من أي شخص آخر بين معاصريها من حكام البلدان الأخرى. وتكرس وجودها «للسياسة» على حساب أي اهتمام آخر، حتى انها حوّلت حياتها العائلية نفسها الى عمل سياسي.

كانت طفلة عندما اعتقلت قوات الاحتلال البريطاني والديها بسبب

نشاطاتهما السياسية من خلال الحركة الوطنية الهندية. وكان أبوها، ذلك المحامي الشاب المعروف جداً، يوليها اهتماماً خاصاً، حيث كان أثناء سجنه يرسل اليها رسائل توجيهية وتعليمية شبه يومية، وقد نشرت هذه الرسائل عام ١٩٤٢ تحت عنوان: «رسائل من أب الى ابنته»، حيث جاء في احداها، عندما لم تكن انديرا قد بلغت بعد الثالثة عشر من عمرها، قائلة:

«هل تذكرين كيف سحرتك قصة «جان دارك» عندما كنت تقرئينها لأول مرة، وكيف كان طموحك يشبه الى حد كبير طموح هذه البطلة الفرنسية. إننا اليوم نصنع التاريخ في الهند، ولا شك أننا سعداء الحظ أن نكون بين الذين يشهدون ما يجري الآن من أحداث في بلادنا. انني لا أعرف ما هو الدور الذي سنقوم به، ولكن مهما كان دورنا فيجب أن نذكر دائماً أنه يجب ألا نقدم على عمل من شأنه أن يقلل من أهمّية قضية بلادنا أو يجلب العار لمواطنينا. الوداع يا صغيرتي وآمل أن أراك تكبرين لتصبحي جندياً شجاعاً في خدمة بلدك».

أنهت انديرا غاندي دراستها الجامعية في بريطانيا، وبالتحديد في جامعة اوكسفورد، وهناك تحدّد التزامها السياسي بانتمائها الى الحزب العمالي، وكانت قد تعرّفت أثناء اقامتها في بريطانيا على هندي شاب اسمه «فيروز غاندي» «Feroze Gandi» (لا يمت بصلة القرابة الى المهاتما)، وتزوجته عام ١٩٤١، إلا أن شهر العسل كان قصيراً لأن انديرا دخلت السجن يوم وصولها الى الهند وبقيت فيه ثلاثة عشرة شهراً بسبب نشاطاتها السياسية.

أنجبت انديرا غاندي ولدين هما راجيف وسنجاي. وعاشت فترة طويلة من حياتها في مقر والدها رئيس الوزراء، الذي جعلها معاونته المقربة، وشاركته في نشاطاته الداخلية منها والخارجية. كما كانت بجانبه عام ١٩٥٥، في أهم مؤتمر دولي في ذلك الوقت، هو مؤتمر باندونغ. إلا أن ابنها سنجاي قتل عام ١٩٨٠، في حادث تحطم طائرة، في الوقت الذي كانت تعدّه ليكون خليفة لها.

في عـام ١٩٦٢، وبعـد حـرب الحـدود بين الهنـد والصين، أصبحت انـديرا رئيسـة للمجلس المركـزي لحزب المؤتمـر. وبعد وفـاة والـدهـا عـام ١٩٦٤، اختيرت وزيرة للاعلام في حكومة «بهادور شاستري». وعندمـا توفي هـذا الأخيـر فـي ينـاير ١٩٦٦، انتخـبت رئيسة لحزب المؤتمر الهنـدي، وكلفت بتشكيل الحكومة في ٢٤ يناير من العام نفسه. وظلت في موقعها هذا حتى مصرعها، باستثناء فترة ثلاث سنـوات قضتها في المعـارضة بين ١٩٧٧ - ١٩٨٠، حيث كانت هذه المرحلة من أقسى مراحل حياتها.

وانطلاقاً من دورها وأهميتها ووزنها على الصعيد الوطني والدولي، فقد منحتهـا جامعـات عدة الـدكتوراه الفخـرية، منهـا جامعـة موسكـو، وجـامعـة اوكسفورد، وجامعة السوربون، وجامعة بغداد، وجامعة طوكيو، وجامعة انـدرا اغرا. ومن نشاطاتها البارزة الأخيرة تـرؤسها لـدورة حركـة عدم الانحيـاز التي عقدت في عام ١٩٨٣ في نيودلهي. وكان آخر نشاط لها عودتها قبل يوم واحد من مصرعها من جولة انتخابية حيث من المقرر أن تجرى الانتخابات الهنـدية في آخر عام ١٩٨٤، خطبت فيها قائلة: «ان دمي سينعش الهند»، معبّـرة عن فخرها بأنها وهبت حياتها لخدمة البلاد.

من هذا المنطلق، نؤكد بأن عمليـة اغتيال انـديرا غـاندي ليست مجـرد عمل انتقامي ارتكبه جماعة «السيخ»، بل هناك جهـات دولية استغلت خـلاف زعيمة الهند مع هذه الأقليـة لتدبيـر قتلها وإشعـال حرب أهليـة تكون نتيجتهـا تقسيم بلاد الهند مرة جديدة.

وتقسيم الهند في نظر خبراء السياسة الدولية يوازي بخـطورته مـا حصل في بـلاد البلقان. ومن هنـا بدايـة الحديث عن.. «بلقنـة الهنـد». وقـد كـان لـرئيس الحزب التقـدمي الاشتـراكي الاستـاذ وليـد جنبـلاط قصب السبق في تعليقه على هذا الحديث عندما قال: «ان اغتيال السيدة غـاندي يعتبـر ضربـة تستهـدف العالـم الثـالث ودول عدم الانحيـاز، لما تمثله السيـدة غانـدي ابنـة القائد الكبير «جواهر لال نهرو» وهي التي تفانت في سبيل الحفاظ على حركة

عدم الانحياز. كما أن العملية الاجرامية الآثمة تستهدف تقسيم الهند وتفتيتها على يد الاستعمار». والحقيقة أن في هذا التصريح تكمن كل الابعاد الجوهرية لعملية اغتيال «جوهرة قارة آسيا»، بمشاركة نائب مفتش الشرطة الهندية «بينت سينغ» الذي قتل في الحادث، والذي كانت تعتبره غاندي من أقرب المقربين لها، ومن أكثر الاشخاص الذين كانت تثق بهم. وقد ردت صحيفة «انديان اكسبرس» الهندية عن «بينت سينغ» قوله في كلمات أخيرة: «لقد فعلت ما كان يجب عليّ أن أفعله». لقد عادت «سفيتلانا» ابنة ستالين الى وطنها ولقيت ابنة نهرو مصرعها في عقر دارها.

حادثان لم يفصل بينهما زمنياً إلا أيام معدودة، وفصلت بينهما مكانياً مسافات البعد بين لندن، حيث عاشت ابنة ستالين آخر سنواتها في الغرب، وبين نيودلهي حيث عاشت ابنة نهرو، حياة الهند السياسية طولاً وعرضاً منذ ما قبل الاستقلال بسنوات.

فماذا يجمع بين الحادثين: التصادف الزمني وحده؟ لا.. ثمة عامل مشترك واحد آخر.

كانت عملية تهريب ابنة ستالين الى الولايات المتحدة قبل ١٧ عاماً، احدى مرارات الهند، وبالتحديد انديرا غاندي، اذ أن هذا التهريب تم أساساً على أرض الهند. واستغلت فيه الحصانة الدبلوماسية لعدد من الأميركيين بينهم السفير الأميركي في نيودلهي انذاك، «تشيستر باول».

ولقد كانت المرارات متبادلة بين انديرا غاندي والحكومات الأميركية المتعاقبة كثيرة، وأكثر من أن تحصى. مع ذلك، فإنه عندما وصلت برقية وكالة «تاس» السوفياتية في اليوم التالي لاغتيال انديرا غاندي الى واشنطن، حاملة اتهام موسكو لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، بتدبير اغتيال زعيمة الهند، فغر الأميركيون أفواههم دهشة: بعض المسؤولين في وزارة الخارجية امتعض وهو يقرأ نبأ الاتهام... مسؤولون في البيت الأبيض قهقهوا بصوت مرتفع.. فهذا دليل آخر برأيهم على أن السوفيات فقدوا صوابهم،

ربما من شيخوخة زعمائهم، فلم يعودوا يدركون أن هناك أشياء يمكن تصديقها في أي مكان من العالم، منها القول أن أميركا وراء اغتيال انديرا غاندي.

وبالفعل بدا الاتهام، غريباً، بل مضحكاً لأول وهلة. وقد أثار غضب بعض المراسلين الهنود في واشنطن، ومنهم من لا يكن مودة خاصة للولايات المتحدة. فحتى حادثة تهريب ابنة ستالين الى أميركا قبل ١٧ عاماً، لم تؤد الى ضربة انتقامية من جانب الهند، ويمكن القول أنها نسيت ونسي دور «السي. اي. ايه» فيها. أليس كذلك؟.

ليس كذلك بالضبط. فالحقيقة الأكثر أهمية من مصادفة عودة «سفيتلانا ستالين» الى وطنها واغتيال انديرا غاندي في خلال أيام معدودة، هي من نوع الحقائق التي لا دخل للمصادفة فيها. انها حقيقة تاريخية ومعقدة ليس فيها شيء واحد مطروق للإتهام. هذه الحقيقة هي أن انديرا غاندي غابت عن الحكم فترة قصيرة للغاية، أقل من ثلاث سنوات، خلالها حكم الهند رجل كان يقبض معاشاً شهرياً من وكالة المخابرات المركزية الأميركية ضمن القائمة التي سبق أن كشفتها الصحافة الأميركية في احدى نوبات الثورة على دور الجاسوسية الأميركية في صنع السياسة الخارجية...

تولى «مورارجي ديساي» رئاسة حكومة الهند بعد انشقاق خطير أحدثه بدأب تآمري غير عادي في صفوف حزب المؤتمر، أخرج انديرا غاندي من السلطة الى السجن مؤقتاً، ولكن في أول منعطف جرت عنده الانتخابات عادت انديرا غاندي مكتسحة ديساي وجناحه. و«مورارجي ديساي» كان ألعوبة هنري كيسنجر في الهند، كان أداة لوزير الخارجية الأميركية الأسبق لتحطيم السياسة الهندية، ولتحطيم الهند كلها اذا لزم الأمر.

كانت انديرا غاندي قد اتخذت قرارها الاستراتيجي بتأييد قيام دولة بنغلادش، ودخول الحرب ضد الباكستان. من أجل هذه الغاية، في وقت

كانت فيه الصين قد أعلنت انها ستقف في صف باكستان اذا هاجمتها الهند، وأعلنت أميركا انها لن تستطيع الوقوف في وجه الصين اذا قررت اجتياح الهند. وقبلت انديرا التحدي، وانتصرت، أما الصين، فإنها لم تتدخل، وأما أميركا فقد اكتشفت أنها لا تستطيع أن تمزق أوصال الهند، ولا حتى أن ترعبها بالغول الصيني.

في ذلك الوقت، ١٩٧١، كان «مورارجي ديساي» يوافي وكالة الاستخبارات المركزية بتقارير مستمرة، ويقبض مكافأته الشهرية بانتظام، حتى بعد أن فصلته انديرا من منصبه كنائب لرئيس الوزراء في عام ١٩٦٩. ظلت الوكالة المركزية تشير اليه بتقاريرها السرية الى الرؤساء الأميركيين على أنه واحد من أهم أرصدة الوكالة كما يقول «سيمور هيرش» الكاتب المحقق الأميركي في كتابه «ثمن السلطة... كيسنجر في البيت الأبيض».

غير أن رجل أميركا في نيودلهي «مورارجي ديساي» تسبب في وقوع كيسنجر والحكومة الأميركية في أكبر ورطة في منطقة جنوب شرقي آسيا، حيث وافاها في أغسطس ١٩٧١ بتقرير يفيد أن الاتحاد السوفياتي وافق على توقيع معاهدة صداقة وتعاون مع الهند، كثمن غير محدود الأجل، لخطة الهند للإعتراف بباكستان الشرقية.

وقد قلب هذا التقرير مفاهيم البيت الأبيض التي كان قد حددها كيسنجر، بأن الاتحاد السوفياتي يسعى الى إذلال الصين وباكستان والولايات المتحدة معاً بالانضمام الى الهند في موقفها من الأزمة مع باكستان... وقتها اعتبرت وكالة الاستخبارات المركزية أن حياة مصدرها في نيودلهي أصبحت في خطر، لأن صحيفة «نيويورك تايمز» علمت بأمر هذا التقرير ونشرت مضمونه منسوباً الى مصدر استخباراتي في نيودلهي. واستمرت الملاحقة الاستخباراتية الأميركية للهند طوال أزمة باكستان الشرقية.

وتكشف التطورات بعد ذلك أن الأميركيين أقاموا اتصالات موازية للإتصالات مع ديساي، مع أحد زعماء باكستان الشرقية وهو: «خندقار

مشتاق» بهدف تدبير محادثات مباشرة بينه وبين دكتاتور باكستان العسكرية «يحي خان»، بإحباط دور الشيخ مجيب الرحمن زعيم حزب «عوامي». وقد كشفت انديرا اللعبة فامتنعت عن المشاركة في مثل هذه المباحثات فيما كان الشيخ مجيب لا يزال في السجن. فيما بعد أصبح «خندقار مشتاق» زعيماً لحركة التمرد التي اغتالت الشيخ مجيب الرحمن في حركة انقلابية مفاجئة في عام ١٩٧٥، بعد استقلال بنغلادش بأربع سنوات، وهي حركة انقلابية، نسبت أيضاً في ذلك الوقت الى أعمال «السي. اي. ايه». كانت انديرا تخرج من معركة مع أميركا الى معركة أخرى. بعض المعارك استمر لسنوات طويلة، ولم يكن بطبيعته من المعارك التي يمكن أن تنتهي الى نتيجة حاسمة، بهزيمة طرف لطرف آخر. مثلاً، معركة الهند ضد الحرب الأميركية في فيتنام: من البداية الى النهاية وقفت الهند ضد هذه الحرب، وجمعت عالم عدم الانحياز بأكمله وراء مقاومة العدوان الأميركي على فيتنام بكل الأساليب الدبلوماسية والمعنوية في الأمم المتحدة وفي مؤتمرات عدم الانحياز، وفي كل مجال آخر.

في عام ١٩٧٤، كانت للهند معركة أخرى مع الولايات المتحدة عندما أجرت الهند تجربتها النووية، وتبين أن الاستخبارات المركزية الأميركية بكل ما لها من رصيد داخل الهند، لم تتمكن من التنبؤ بهذا التطور، وطبعاً لم يكن هذا العجز وحده مصدر غضب واشنطن، بل تصميم انديرا على استقلالية الهند، ورفضها الخضوع لأي ضغط والوقوف تحت أية مظلة كبرى.

كما لم يكن من المتصور سياسياً أن تخضع الهند للضغوط الاقتصادية الأميركية المتتالية لكي تعزل نفسها عن الدولة الأعظم الأخرى - الاتحاد السوفياتي - وهي تواجه هذا المحور الذي يزداد قوة بين واشنطن وبكين. لهذا فإن الهند لم تتخذ موقفاً معارضاً كما كانت تشتهي واشنطن ضد دخول القوات السوفياتية تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٦٨، ولا دخول القوات السوفياتية أفغانستان في أواخر العام ١٩٧٩، بل ان موقف حكومة الهند من حكومة

ايران الثورية لم يكن مصدر ارتياح بأي حال لحكومة واشنطن.

ولم تكفّ المحاولات الأميركية أبداً عن السعي الى هدف تغيير سياسة الهند الخارجية بدفعها باتجاه الولايات المتحدة. ولم تكفّ انديرا غاندي عن مقاومة هذه المحاولات، بمقدرة سياسية نادرة.

آخر محاولات حكومة ريغان لمحاصرة انديرا غاندي في الهند بنظم الحكم اليمينية، كانت من خلال دعم الحكومة اليمينية في سيريلانكا (سيلان سابقاً) التي تقف عند الطرف الجنوبي لشبه القارة الهندية. وقد فتحت واشنطن الباب أمام اسرائيل لتقوم بدور عسكري غير مباشر بدعم حكومة شديدة العداء لأنديرا غاندي في سيريلانكا، بدعوى تقديم المساعدة العسكرية بصورة أسلحة وتدريب ومعلومات من «الموساد» (المخابرات الاسرائيلية) لحكومة «جاي واردين» في سيريلانكا ضد الجماعات الانفصالية التي تدعمها الهند. وطبيعة الحال، لم تكن اسرائيل تفتقر الى الدوافع الخاصة لكي تجد ميداناً تخوض فيه معركة ضد حكومة انديرا غاندي التي أيدت العرب على طول الخط في قضاياهم القومية في كل المجالات.

وتتجه شبهات كثيرة من الدوائر الدبلوماسية الى اسرائيل أيضاً، فيما يتعلق بتسليح الجماعات الانفصالية المتمردة من طائفة «السيخ» بالهند، في الفترة التي سبقت اغتيال انديرا غاندي مباشرة. ذلك أن كميات الأسلحة الأميركية التي اكتشفتها القوات الهندية داخل «المعبد الذهبي» لطائفة «السيخ» التي اقتحمته في أعقاب الاضطرابات الأخيرة، قد أذهلت الكثيرين. وأكدت الحكومة الهندية نفسها معرفتها بأن هناك دولاً أجنبية وراء هذا التسليح الكثيف، لكنها للإعتبارات الدبلوماسية والأمنية معاً، آثرت ألا تحدد هذه الدول.

غير أن اللافت للنظر حقاً أن اغتيال انديرا غاندي جاء في وقت كانت تشهد فيه العلاقات بينها وبين حكومة ريغان، أعلى لحظات توتّرها، خصوصاً بعد أن أعلن ريغان أنه مستعد لتقديم مظلة نووية أميركية بلا شروط

لباكستان، في الوقت نفسه الذي كانت سلطات «البنتاغون» تقوم بعملية تسريع لتسليم كميات ضخمة من الأسلحة الأميركية لباكستان بينها طائرات «اف ١٦» القاذفة المقاتلة.

وكانت انديرا غاندي قد أعلنت قبل أيام من اغتيالها انها طلبت من الرئيس الأمبركي ريغان توضيحاً لتصريحاته، واعتبرت أن سياسته تشكل خطراً مباشراً على أمن الهند القومي. وقد اضطرت واشنطن الى ايفاد «ريتشارد مورفي» الى نيودلهي، ربما لممارسة عملية خداع على الطريقة الكيسنجرية السابقة.

وفي حضور مورفي مساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأوسط وجنوب آسيا، أشارت انديرا الى وجود معاهدة بين الهند والاتحاد السوفياتي تقضي بتبادل المشورات في حال تعرض أي منهما لمثل التهديدات التي تمثلها تصريحات ريغان.

كما أكدت انديرا لمورفي ما سبق أن أعلنته حكومتها من أن معلوماتها تفيد، أن مصادر أجنبية معينة، قواعدها في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا الغربية واسرائيل، قدمت دعماً نشطاً لعناصر الاضطراب في ولاية البنجاب الهندية في يوليو سنة ١٩٨٤. واستخدمت انديرا اسم «السي. اي. ايه» صراحة وهي تتحدث عن نشاط المتطرفين من طائفة «السيخ»، وأن بعض عملاء هذه الوكالة وعدوا بتقديم مزيد من المساعدات من أجل اقامة دولة مستقلة للسيخ تحت اسم دولة «خالستان». ولم يكن من قبيل المصادفة أن تقول انديرا غاندي بالحرف الواحد قبل أقل من ٢٤ ساعة من اغتيالها: «اذا قتلت اليوم، فإن كل قطرة من دمي سوف تقوّي هذه الأمّة وتنتعش الهند» مع علمها المطلق بما يحتله أبناء طائفة «السيخ» من مناصب قيادية في السلطة الهندية، حيث نجد منهم الجنرالات والوزراء والنواب الاتحاديون وكبار المهندسين، ومنهم أيضاً رئيس الاتحاد الهندي «زاييل سينغ» الذي أقسم «راجيف غاندي» (ابن انديرا) أمامه اليمين الدستورية بعد عملية اغتيال والدته

بتسع ساعات.

هذا وتعرف الهند أكبر عدد من التناقضات بين دول العالم. انها بلاد القوميات التي ما زالت تعيش تاريخاً حافلاً من الصراعات الدموية فيما بينها. والهند بلاد التعدّدية الاقليمية والدينية والعرقية واللغوية، بقدر ما هي بلاد الأثرياء الكبار والفقراء المسحوقين الذين يضرب بهم المثل. انها بلاد يتضوّر فيها ملايين الناس من الجوع وأمام أعينهم تسرح الأبقار «المقدّسة» وتمرح.

وتبقى بلاد الهند أخيراً بلاد راجيف غاندي الذي ينتمي الى طائفة البارسي التي لا تشكل شيئاً في تعداد سكان الهند. فوالده من هذه الطائفة النخبوية التي تزوجت والدته انديرا أحد شبانها وأخذت منها اسم غاندي.

فهل يستطيع راجيف غاندي قيادة الديموقراطية الهندية؟.

مهنته الأصلية قيادة الطائرات. وهو يعرف جيداً انه يكفي للطيار أن يرتكب خطأ صغيراً حتى يسقط من علٍ. والهند في وضعها اليوم تشبه طائرة. ويكفي راجيف أن يرتكب حماقة لكي تسقط الهند.. وتنفجر. وليس من العبث ما يسمع اليوم عن خطر «بلقنة الهند»، ووجود مؤامرة دولية خلف اغتيال انديرا غاندي ليست وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية و«الموساد» بعيدة عنها.

ورغم كل ذلك، ستبقى انديرا مثالاً يحتذىٰ به، لأنها تمثل فعلاً جوهرة القارة الآسيوية، ورمزاً للنضال الوطني والأممي، باعتبارها خبيرة بارعة في مقارعة المخاطر وتحدي أكبر قوة امبريالية في العصر الحديث، متمثلة بعدوة الشعوب رقم «١»: الولايات المتحدة الأميركية.

لقد أحرق راجيف غاندي جثمان والدته حسب التقاليد الهندية العريقة، والتهمت النار الجثمان، طاوية بذلك صفحة زعامة ميزت فترة ما بعد استقلال الهند لتفتح صفحة جديدة في تاريخها... وذرّ رماد انديرا في ملتقى أنهر ثلاثة: نهر جامونا ونهر الجانج المقدس ونهر ساراسواتي غير المرئي حسب

المعتقد الهندوسي.

لقد كان هذا الرماد رمزاً لحياة أفنيت في سبيل توحيد الهند بمختلف طوائفها وشعوبها وأقوامها.

وستبقى الجوهرة رغم كل التقلبات. فكيف اذا كانت جوهرة لقارة عملاقة هي قارة آسيا؟.

المراجع

١ - مجلة «الكفاح العربي» البيروتية. العدد ٣٣٢ - ١٠١٥. الاثنين من ١٩ - ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤. ص ٣٨ - ٣٩.

٢ - جريدة «السفير» البيروتية. العدد ٣٧٧٦. الاثنين ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤. ص ١١ (نقلاً عن جريدة «اللوموند» الفرنسية) ترجمة ر. ن.

٣ - جريدة «الأنباء» البيروتية. العدد ١٥٤٤. الاثنين ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤. ص١٨ - ١٩.

٤ - مجلة «الأفق» القبرصية. العدد ٣٢. الخميس ٨ نوفمبر ١٩٨٤. ص ٣٠ - ٣٤.

٥ - مجلة «كل العرب» الباريسية. العدد ١١٦. الاربعاء ١٤ نوفمبر ١٩٨٤. ص ١٩ - ٢٥.

٦ - مايكل كوفمان (صحافي أميركي) «طائفة السيخ». مجلة «الجيل» القبرصية. العدد التاسع. المجلد الخامس. سبتمبر ١٩٨٤. ص ٦٠ - ٧٠.

مردخاي فانونو
بين الدسيسة والفضيحة

مِنْ أبلغ ما يطلق على السياسة الاسرائيلية في هـذا العصر، دبلومـاسية الحرباء والأفاعي الرقطاء، التي تعطي لكل ظرفٍ لونه وأهميته تبعاً لمستلزماته ومتطلباته. ولم تكن «طرودها الدبلوماسية» إلا أحد أنجح الأسـاليب في تطبيق هذه السياسة. وطبيعي أن «طردهـا الدبلومـاسي» الذي حـوى الخبير النـووي الاسرائيلي «مردخاي فانونو» في طريقه من لندن الى تل أبيب في أواخـر شهر أيلول/سبتمبر ١٩٨٦، لن يكون آخر طرودها. . . والحبل على الجرار.

فمن هو «مردخاي فانونو»؟ وما هو سر عملية اختطافه من لنـدن الى تل أبيب؟

القصـة هي بحد ذاتهـا عالم من الأسـرار والألغـاز، ومحـدودة التـداول جداً. . . وقد رواها صديق مقرّب من فانونو بقوله: أخبرني مردخاي بأنه ليس صهيونياً ولن يكون. وكل أصدقائه يعرفون عنه أنه يعمل في مصنـع للنسيج لا في «مفـاعل ديمـونا». فـ«الشين بيت» (جهـاز مكافحـة التجسس الصهيوني) تلقّن علماء مفاعل ديمونا ما يقولون ومـا لا يقولـون، وهي تهدّدهم بـالقتل اذا هم كشفوا عن هويتهم الحقيقية، وقد كانوا مراقبين أكثر خارج مكان العمل.

ويضيف: في كـل مـرة كـان مـردخـاي يـزورني كـانـوا يستـدعـونني للتحقيق. . . ولم أعرف أنه يعمل في ديمونا إلا قبل عام تقريباً، وقد أوصاني بعدم التصريح بهذه المعلومات. وقد أدرك فانونـو من خلال عمله في مفـاعل

ديمـونا مخـاطر الـرعب النووي، واستيقظ «ضميـره» وبدأ يعـدّ العـدّة لكشف ادعاءات اسرائيل السلمية للعالم كله.

ولهذه الغاية تمكن فانونو من اجتياز حواجز التفتيش المحيطة بالمفاعل، مصطحباً معه آلة تصوير دقيقة. وفي مرة أخرى أدخل أفلام التصويـر. وكانت النتيجة أن حصل على صور غاية في الدقة والتتابع والتسلسل بحيث أدهشت خبراء الذرّة الذين استقدمتهم صحيفـة «الصنداي تـايمز» البـريطانيـة خصيصاً لفحص الوثائق والصور. . . مما يؤكد على النيّة المبيتة لديـه لكشف ما يـدور داخل مفاعل ديمونا.

ويستطرد صديق فانونو قائـلاً: ان مردخـاي تقدم في أوائـل عام ١٩٨٦ بطلب من الدوائر الأمنية الاسرائيلية للسماح له بالسفر الى استـراليا. ووافقت «الشين بيت»؛ لأنه ليس في ملفّه ما يريب أو مـا يستدعي الشـك في امكانيـة تسريب معلومات صحافية عن أسـرار الذرّة الاسـرائيلية. فـإن ذلك لا يشكـل عامل قلق لاسرائيل، اذا لم تكن موثقة بالصور والمستندات والأدلّة المقنعة.

وفي حين كان فانونو يتجه الى سيدني (استراليا)، أوعز الى صديق آخر بحمل الصور معه الى لندن، لعلمـه بأنـه سيتعرض لتفتيش دقيق للغـاية لـدى مغادرته مطار اللد. وكانت شقته مسرحاً لعمليات اقتحام وتفتيش عديدة ودقيقة منذ تقديمه طلباً للسفر الى استراليا، تولتها مخابرات «الشين بيت».

في سيدني، تعرّف فانونو الى قسّ استرالي هو «جون ماكنايت». وبعـد صداقة دامت فتـرة قصيرة فقط، وبـدافع من قنـاعاتـه السابقـة، اعتنق فانـونو المسيحيـة وصار بـروتستانتيـاً. هذه الخـطوة نبّهت الحكومـة الاسرائيليـة الى شخصـه فانفتحت عليـه العيون. وتسـاءل رسميون في اسـرائيل كيف يسمح لخبيـر مثله بـالسفـر الى الخـارج وبهـذه السهـولـة. . . ثم كيف لم تكتشف المخابرات الاسرائيلية نياته الحقيقية، سيّما وأنه لم يذهب للعمـل في مفاعـل نـووي استـرالي؟ وتضيف بعض المعلومـات أن مـردخـاي فـانـونـو اتصـل بالمخابرات السوفياتية في سيدني، مما دفع «الموساد» لتعقبه ومـداهمة منـزله

دون أن يعثر على شيء. وقد أخبر صديقه «القس ماكنايت» بذلك، فنقل الصديق بدوره الخبر الى وكالة الصحافة الفرنسية في القدس... ونشرت الفضيحة على الملأ.

وبرفقة صديقه «ماكنايت» انتقل فانونو الى لندن حيث يوجد الصديق الثاني الذي يحتفظ بالوثائق... وفي العاصمة البريطانية كانت المفاجأة الثانية.

سافر الصديقان واتصلا سراً بالرجل الذي يحمل المستندات. ثم اتصلا بصحيفة «الصنداي تايمز» البريطانية، وتم الكشف عن أسرار الترسانة النووية الاسرائيلية، لأول مرة بمثل هذه الدقة.

ان فانونو كان يعرف أن «الموساد» تتعقبه منذ وصوله الى سيدني. وكان يعرف أيضاً نفوذ هذا الجهاز الخطير في بريطانيا، ومدى حجم العلاقة بين «الموساد» وجهاز المخابرات البريطانية (C. A. D)، ويعرف أنه اذا لم تجرِ تصفيته على يد «الموساد»، فإنها ستتم بالتأكيد على يد البريطانيين.

ولكن كيف نصبت «الموساد» له الفخ؟.

بعد نشر المعلومات عن مفاعل ديمونا في صحيفة «الصنداي تايمز»، تأكدت «الموساد» أن فانونو موجود في لندن، وبدأ رجال المخابرات الاسرائيلية يبحثون عنه ويحصون عليه حركاته وأنفاسه.

لم يكن مسلحاً، ولم يكن حذراً في تنقلاته. كان ينزل في فندق مطمئناً الى المبلغ الذي قبضه ثمناً لمعلوماته... وكان له في لندن صديقان، أحدهما هو القس البروتستانتي ماكنايت، والآخر هو الصديق الذي حمل له الوثائق من اسرائيل، وقد فرّ بعد انكشاف أمره الى جهة مجهولة.

وقد كانت وثائق مردخاي فانونو، صوراً من الداخل لمفاعل ديمونا. التقطت في تأنٍ وترتيب، والتي تدل على أنه أمضى وقتاً غير قصير في

التصوير، وكان يعد صفقته عن سابق تصوّر وتصميم.

تعقب رجال «الموساد» مردخاي أياماً دون جدوى، في الوقت الذي كانت فيه الضجة تملأ اسرائيل، بل العالم كله، وشيمون بيريز يصرح في ١٤/١٠/١٩٨٦ بما يأتي: «ان المعلومات التي نشرتها «صنداي تايمز» ليست حقيقية، واسرائيل ملتزمة بالفكرة القائلة بأنها لن تكون أول دولة تدخل السلاح النووي الى منطقة الشرق الأوسط».

فجأة وعلى غير موعد، ظهرت في لندن امرأة جميلة تدعى «سيندي»، أنها صديقة فانونو. كانت قد أرسلت له رسائل عدّة الى سيدني... ولم يصدّق مردخاي عينيه إذ رآها... وبعد حديث طويل، وكلام فيه كثير من الشوق، أقنعت الصديقة مردخاي بالخروج من لندن (حيث المتاعب) الى عرض البحر، في سفينة سياحية متوسطة الحجم، ووافق على رحلة الحب هذه. لكن الرحلة لم تنته كما كان يحلم، بل انتهت الى سفينة أخرى، تبين فيما بعد أنها اسرائيلية... وانتهى مشوار الحب الى زنزانة باردة في تل أبيب. ولم تكن الحبيبة الا احدى عملاء «الموساد» وقد أجادت الدور بدقة. ويبدو أن تحذيرات القس ماكنايت، الذي شكّك في أمرها، لم تنفع. فنداء القلب كان أقوى.

غير أن هذه الرواية ليست الوحيدة التي تتردد عن اختفاء فانونو وظهوره في اسرائيل. فبعض الصحف الغربية تشير الى أنه ربما يكون قد خطف أثناء نزهة مع «الحبيبة» قام بها في «نهر التايمز»... و«الشين بيت» لا تقول شيئاً. أما كيف استطاع فانونو العبور الى داخل مفاعل ديمونا مع آلة التصوير الدقيقة فمسألة تخضع للبحث داخل «الشين بيت»؛ والصحافة البريطانية تنقل عن اسحق شامير قوله أن مسؤولاً كبيراً في هذا الجهاز أعفي من منصبه. ولكن كيف تمكنت «الموساد» من اختطاف فانونو في لندن ونقله الى اسرائيل؟ فتلك هي المسألة الأهم في هذه القضية؟.

أكدت صحيفة «الفاينشال تايمز» بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٨٦، «ان

الاستخبارات البريطانية ساعدت «الموساد» في خطف فانونو من بريطانيا».
ونسبت معلوماتها الى أحد كبار السياسيين الاسرائيليين، لكنها لم تكشف هويته.

وواقع الأمر هو كالتالي: قبل أسبوعين من اختفاء فانونو، تمّ اتصال هاتفي بين رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت شيمون بيريز، ورئيسة وزراء بريطانيا مرغريت تاتشر.

وفي تلك الفترة، لم يكن أحد يعلم بوجود فانونو في لندن سوى عدد من محرّري الصحيفة البريطانية الذين تولوا مهمة إعداد الموضوع الخاص حول قيام اسرائيل بانتاج أسلحة نووية، استناداً الى المعلومات والصور التي أمدّهم بها فانونو. والذي عمل لمدة عشر سنوات في المفاعل النووي الذي تحيطه اسرائيل بسرّية مطلقة.

ورغم انكار بريطانيا للإتصال الذي تم بين شيمون بيريز ومرغريت تاتشر، فقد تكرر هذا الانكار على الرغم من المعلومات الصادرة من داخل اسرائيل نفسها، والتي تؤكد أن بيريز حصل من رئيسة الوزراء البريطانية على وعد قاطع أن تغمض المخابرات البريطانية أعينها عن قيام أفراد جهاز المخابرات الاسرائيلية «الموساد» بخطف فانونو وإعادته الى اسرائيل.

كذلك اتفق على اشاعة أخبار أن فانونو اختطف خلال رحلة على يخت في عرض البحر المتوسط، وذلك لتخليص بريطانيا من تهمة التواطؤ مع اسرائيل في عملية الخطف، حيث لم يغادر فانونو الأراضي البريطانية بطريقة رسمية، أي أن مغادرته لم تسجّل في أي من مطارات بريطانيا أو موانئها.

هذا وقد طلب السفير البريطاني في تل أبيب «وليام سكواير» من الحكومة الاسرائيلية تفسير كيفية اختفاء الفني النووي مردخاي فانونو بشكل غامض من لندن، لينتهي به الحال في أحد سجون اسرائيل حيث اتهم بالخيانة.

وقد اعترفت اسرائيل في الأسبوع الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩٨٦ - بعد أسابيع من الصمت - بأنها تحتجز فانونو. ولكنها نفت تقارير بأن عملاء «الموساد» اختطفوه في لندن.

وطلبت بريطانيا من المحامي الذي يمثل فانونو، معلومات عن الكيفية التي ظهر بها موكله في أحد سجون اسرائيل. وقال المحامي «أمنون زيخروني» لوكالة «رويتر» إن السفير البريطاني «وليام سكوايير» اتصل به للإستفسار عن الطريقة الغامضة التي عاد بها فانونو الى اسرائيل. وقال «زيخروني»: «لقد أبلغته أنه لا يمكنني أن أعطيه المعلومات الا بموافقة وزارة الخارجية الاسرائيلية: فهي سر من أسرار الدولة».

وذكرت الصحف الاسرائيلية أن محامي فانونو زاره نهار الثلاثاء بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٨٦ للمرة الأولى منذ اعتقاله. وأوضح المحامي «أمنون زيخروني» أن هذه «الزيارة نظمت كما لو كانت عملية سرّية حقيقية» لأن أجهزة المخابرات الاسرائيلية أرادت أن تتجنب أن يتسنى للصحافيين والمصورين الذين يلاحقون المحامي تتبّعه الى المكان الذي يتم فيه احتجاز فانونو، ويعتبر سراً.

وقال المحامي للصحافيين الذين استقبلهم في مكتبه بعد أن زار موكله «فانونو يطلق الآن لحيته ولا يأكل إلا الفاكهة، ويقضي الليل كله في قراءة التوراة والعهد الجديد وأعمالاً فلسفية، وينام أثناء النهار».

وأضاف: «ان فانونو أعرب عن الأمل في أن تكون محاكمته علنية».

وفي حديث أدلى به الى الاذاعة الاسرائيلية، قال رئيس لجنة الخارجية والأمن في الكنيست الاسرائيلي أبا ايبان «ان اللجنة ستناقش الثغرات الأمنية في مفاعل «ديمونة» النووي، حيث كان يعمل الفني النووي الاسرائيلي مردخاي فانونو المعتقل في اسرائيل بتهمة تسريب أسرار نووية الى احدى الصحف البريطانية». وأضاف: «ان اللجنة تعقد اجتماعات مغلقة ستبحث

في الاجـراءات المعتمـدة في «ديمـونـة» والتي أتـاحت بـروز هــذه الثغـرات الأمنية، وهي ستحقق في اجراءات الأمن المتبعـة في «ديمونـة» للحيلولة دون تكرار حادثة فانونو».

أمـا اسحق شامير فقد ذكـر في كلمة ألقـاها خـلال جولـة قام بهـا الى شمالي تل أبيب أن فانونو «لم يخطف» على الأراضي البـريطانيـة قبل اقتيـاده الى اسرائيل، لكنـه رفض الكشف عن أي تفاصيـل أخرى، في الـوقت الذي أكد فيه عضو مجلس العموم البريطاني «أنـطوني بومنت دارك» وهـو من حزب المحافظين أن «مصدراً اسرائيلياً رفيعاً أبلغه أن جهاز الاستخبارات الاسرائيلي (الموساد) هو الذي نفذ عملية تهريب فانونو بواسطة طرد دبلوماسي عن طريق السفارة الاسرائيلية في لندن».

أَلَم تعمـد اسرائيـل الى هذه الـطريقة، وفي بـريطانيـا أيضاً عبـر مـطار هيثرو، عندما لجأت الى اختطاف وزير المالية النيجيري السابق «أحمد ديكو» لحسـاب الحكومـة النيجيريـة التي اتهمته بسـرقة أمـوال الخـزينـة، واكتشفت السلطات البريطانية هذه الخطة في اللحظة الأخيرة وأفسدتها؟.

أما في دمشق، فقالت صحيفة «الثورة» إن الحكـومة البـريطانيـة نظمت حملة بشعة ضد سوريا متهمة إياها بالارهـاب، وذلك لتبـرئة سـاحة المعتـدي الصهيوني والتغطية على جرائمـه النكراء، وتمـويه أوكـار الارهاب الحقيقيـة. وبالمقابل معاقبة ضحايا العدوان الصهيوني وتحميلهم مسؤولية الجـرائم التي اقترفها الاستعماريون البريطانيون والصهاينة بحق الأمة العربية.

ومضت صحيفـة «الثـورة»، تقـول «لقـد حـاولـوا طمس جـوهـر الكيان الصهيوني العدواني وتحسين صورته وتلطيف ملامحه. حتى قضية فانونو التي تمس جـوهر السيـادة والكرامـة الوطنيـة البريـطانية، آثـروا ابتلاعهـا والصمت عليها، وبالمقـابل سعّـروا حملة الثأر من سـوريا التي تخـوض نضالاً انسـانياً ووطنياً نبيلاً لرفع الظلم عن المشردين، ووضع حد للإرهاب واقتـلاع جذوره،

وتخلوا عن أخلاقية العمل السياسي وفقدوا الاتزان وانسلخوا عن الموضوعية، وآثروا السقوط في مستنقع الخداع والتضليل والافتراء».

من ناحية أخرى، أكدت مصادر عملية أن المعلومات والرسومات التوضيحية عن مفاعل «ديمونة» النووي الاسرائيلي، والتي أدلى بها فانونو الى صحيفة «الصنداي تايمز» تثبت أن هناك محاولة تضليل متعمد تهدف الى صيانة سرية عمليات المفاعل. وتضيف: أن وصف فانونو للمفاعل يتعارض تماماً مع الأسس العلمية التي يقوم عليها انتاج يورانيوم مقوّى لصنع القذائف النووية». وتقول المصادر إن هذا ما يؤكد بأن القصة بأكملها مدسوسة.

ومن خلال متابعتنا لهذا الموضوع، من حقنا أن نقول (وليعذرنا مردخاي فانونو اذا كنا مخطئين) إن هذه «الهمروجة» النووية حول الخبير النووي الاسرائيلي ليست سوى حلقة ودور من أدوار «الموساد» وليس مستبعداً أبداً أن يكون فانونو أحد أعضاء هذا الجهاز، المكلف بتأدية دور «نووي» و«اعلامي» في الوقت نفسه. واذا كان قد اختطف أو خطف نفسه ـ لا فرق ـ فإن هذه المسألة لم تعد تنطلي مطلقاً على أحد، خصوصاً أولئك الذين خبروا أساليب وألاعيب الاستعمار البريطاني والموساد الصهيوني الذي هو «إبن شرعي» لبريطانيا العظمى.

واذا تجاهل اسحق رابين (وزير الدفاع الاسرائيلى يومها) أو نفى امتلاك اسرائيل للأسلحة النووية، ولو اعترف بأن لديها «هيئات أبحاث» عديدة، فإن القضية أصبحت كعين الشمس، والصهاينة يتنفسون الكذب والتدجيل كما يتنفسون الهواء، ولا يستطيعون العيش بدونه خوفاً على إتلاف الرئة الاسرائيلية.

ففانونو مكلف بمهمة رسمية من قبل «الموساد» وبعلم من شيمون بيريز نفسه، وإلا كيف عرف بأنه سيدلي بتصريحات عن اسرائيل وقوتها النووية بالصور والرسومات التوضيحية التي نشرت في «الصنداي تايمز» في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦؟ ولماذا أجرى الاتصال مع مرغريت تاتشر قبل حوالي عشرين يوماً من نشر هذه التصريحات؟.

وجود اسرائيل
بين الترسانة النووية ووحدة العرب

عندما كانت «اسرائيل» مجرّد «فكرة» في جمجمة قادة الحركة الصهيونية، فقد رسم دورها بدقة، وحُدِّدت وظيفتها المركزية تحديداً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض. وأصبح الوطن العربي ـ أرضاً وشعباً وتاريخاً وتراثاً وحضارة ـ على جدول أولويات الشطب من خارطة العالم.

على هذا الأساس، ترافق الاهتمام «النووي» الاسرائيلي مع كل الخطوات الأخرى التي تصب في الهدف الصهيوني المركزي.

وفي شهر نوفمبر من سنة ١٩٨٦، أطلق «بالون اعلامي نووي» اسرائيلي في لندن، بعيداً عن المنطقة العربية، ولكنه موجّه ضدها بالتحديد. ولم يكن هذا «البالون الاعلامي النووي» سوى أحد الخبراء الاسرائيليين الذي عمل مدة عشر سنوات في «المفاعل النووي الاسرائيلي» المعروف بـ «ديمونا»، ويسمى «مردخاي فانونو».

فما هي هذه الأسرار التي فضحها هذا الخبير النووي، والتي كلفته ـ إعلامياً ـ خطفه من لندن الى دولة الاحتلال الصهيوني؟ وما هو الهدف من تسريب هذه «المعلومات النووية» في هذه الفترة؟.

على غرار الاجتياحات الاسرائيلية التي عرفتها المنطقة العربية منذ قيام «دولة اسرائيل»، فقد شهدت هذه المنطقة اجتياحاً صهيونياً من نوع آخر في

شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٦، يصح تسميته بـ «الاجتياح النووي».

تطرقت وسائل الاعلام ـ على اختلاف مصادرها واتجاهاتها ـ الى ما سمّي بـ «كشف النقاب» عن حقيقة الترسانة النووية التي تتمتع بها اسرائيل. والدلائل كلها تشير الى أن اسرائيل لديها أسلحة حرارية ـ نووية ذات قدرة هائلة على تدمير مدن عربية بأكملها. بل إن ما يجعل الأمر هاماً وخطيراً بالنسبة للأمة العربية، ان اسرائيل لم تعد فحسب تملك القنابل الذرية، بل صارت قوة نووية رئيسية تحتل المرتبة السادسة بين دول العالم الأكثر قوة في القدرة النووية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين، كما أن لديها مخزوناً نووياً أكبر بكثير من دول مثل الهند والباكستان.

فماذا وراء تلك الحقيقة التي باتت انذاراً يدق ناقوس الخطر في وجه الأمة العربية؟.

ذكرت جريدة «المسلمون» ـ التي تصدر في لندن ـ أنها تابعت التقارير السرّية وما نشرته صحيفتا «الصنداي ميرور» و«الديلي ميرور» ومن بعدهما صحيفة «الصنداي تايمز» الأكثر انتشاراً في بريطانيا.

فماذا تقول تلك التقارير الخطيرة التي بات على كل مواطن عربي أن يعرفها ليعلم حقيقة تلك الدولة التي زرعت في وطننا العربي؟.

في بادىء الأمر، ولم يكن قد مضى على قيام دولة اسرائيل ـ في ١٥ مايو ١٩٤٨ ـ سوى ثلاثة أشهر، حتى بدأ اليهود الذين هاجروا الى فلسطين المحتلة، يفكرون في بناء قوة نووية بحجة استخدامها من أجل توليد الطاقة. وبالفعل تمّ تأسيس «مؤسسة الطاقة النووية الاسرائيلية» في نهاية صيف ١٩٤٨، كما تولت وزارة الدفاع الاسرائيلية الاشراف على تلك المؤسسة حتى تقف على قدميها. وفي الوقت نفسه كانت الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة تعمل على إرسال بعثات تعليمية الى أوروبا والولايات المتحدة لتدريب

الباحثين في مجال الطاقة النووية.

وبدأت الحقائق تتكشف عندما ذكرت صحيفة «الصنداي ميرور» البريطانية أن صحافياً من أميركا الجنوبية ويدعى «أوسكار زوارو» يملك معلومات خطيرة عن قدرة اسرائيل النووية، وأنه على استعداد لبيع هذه المعلومات مقابل /٢٠٠/ ألف جنيه استرليني!.

ويؤكد الصحافي أن اسرائيل تمكنت من انتاج أول قنبلة نيترونية، وأنه علم بذلك من باحث يهودي يدعى «موردخاي بالومى» كان قد هاجر من اسرائيل الى استراليا.

ولكن الصحيفة البريطانية «الصنداي ميرور» والتي يملكها المليونير اليهودي «روبرت ماكسويل» أبدت شكوكها في مصداقية الصحافي؛ ونقلت عن المسؤول في شؤون الاعلام في السفارة الاسرائيلية في لندن قوله: ان مركز البحوث النووية في «ديمونة» بصحراء النقب لم يعمل به أي عالم نووي باسم «مردخاي بالومي» وان هذا العالم كان يعمل فنياً ـ صغيراً ـ في لجنة الطاقة النووية الاسرائيلية، وإنه أقيل من منصبه قبل حوالي عام! وفي محاولة للدفاع عن اسرائيل، زعمت صحيفة «الصنداي ميرور» أن ما قاله الصحافي «زوارو» ليس سوى خدعة تستهدف ـ على حد تعبير الصحيفة ـ تشويه سمعة اسرائيل! وأن الصور التي قدمها هذا الصحافي للجريدة وعددها /٣٧/ صورة لا تتضمن أي اثبات!.

ولكن فيما بعد، وبالتحديد يوم ٥ تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٨٦، ظهرت صحيفة «الصنداي تايمز» البريطانية ـ ويملكها الملياردير اليهودي روبرت ميردوخ ـ في الأسواق، وفي صور صفحتها الأولى الوقائع الحقيقية لحكاية القوة النووية الاسرائيلية بالتفصيل. وأفردت الصحيفة ثلاث صفحات كاملة عن تلك الحكاية، وهي حكاية لم تتبرأ منها اسرائيل، بل ويبدو أنها أصيبت بالغرور والفخر لقيام الصحيفة البريطانية الكبرى بنشر تلك التفاصيل الدقيقة. فهذا النشر يحقق لاسرائيل أهدافها في تطبيق نظرية الارهاب النفساني ضد العرب.

والتقرير الخطير الذي نشرته صحيفة «الصنداي تايمز» يكشف عن وجود مصنع اسرائيلي تحت الأرض، مهمته صنع أسلحة نووية اسرائيلية. وهذا المصنع كان ولا يزال ينتج الرؤوس العسكرية النووية منذ ٢٠ عاماً.

ويؤكد التقرير أن هذا المصنع بدأ الآن بانتاج أسلحة حرارية ـ نووية ذات قدرة هائلة على تدمير مدن بأكملها.

أما مصدر المعلومات الخاصة عن مقدرة اسرائيل في صنع القنبلة النووية فيتمثل في اليهودي «مردخاي فانونو» الذي عمل كفني نووي لمدة عشر سنوات في المستودع السرّي الذي أقيم تحت الأرض في «ديمونة» واسمه: «ماخون ٢»، ذلك المستودع الذي يتولى انتاج المكونات الحيوية الضرورية لصنع الأسلحة النووية.

هذا وقد قام خبراء نوويون في حلف شمالي الأطلسي بفحص تلك المعلومات والصور التي أرسلها مردخاي فانونو، وأجمعوا على ما يلي:

أولاً: ان اسرائيل طوّرت أنظمة نووية معقدة وسرّية، تصلح لبناء مخزون نووي هائل، وهذا يؤهلها لاحتلال المرتبة السادسة في العالم من حيث المقدرة النووية في مجال التسليح النووي!.

ثانياً: ان المصنع السرّي الاسرائيلي أقيم منذ ٢٠ عاماً بطريقة خفية، ولم تتمكن أقمار التجسس من رصد قيام اسرائيل باستخراج البلوتونيوم اللازم لصنع القنبلة النووية. ويرجع ذلك الى قيامها بدفن هذا المصنع تحت الأرض، تحت مبنى عديم الجدوى، مما جعلها ـ أي اسرائيل ـ في مأمن عن عمليات التفتيش الدولية.

ثالثاً: ان المصنع السرّي الاسرائيلي مزوّد بتكنولوجيا فرنسية لاستخلاص البلوتونيوم. وقد حوّلت هذه التكنولوجيا مفاعل «ديمونة» من مؤسسة بحوث مدنية الى مؤسسة لإنتاج القنبلة أو القنابل النووية. وكمية البلوتونيوم المستخلص تصل الى حوالي ٤٠ كيلو غراماً في العام، وهي

تكفي لصنع عشر قنابل. وخلال السنوات الست الماضية، أضافت اسرائيل معدات أخرى لصناعة مكوّنات القنابل الحرارية النووية.

رابعاً: ان قدرة المفاعل النووي الاسرائيلي التي كانت تصل الى ٢٦ ميجاوات، وهو المفاعل الذي بناه الفرنسيون، أصبحت الآن بطاقة ١٥٠ ميجاوات لتمكينه من استخراج كمية أكبر من البلوتونيوم، ويتولى نظام تبريد دقيق إخفاء الانتاج. ويقول العلماء النوويون الذين استشارتهم صحيفة «الصنداي تايمز»، أنهم اقتنعوا تماماً بما قدّمه «فانونو» اليهودي من معلومات، كما أنهم على يقين بوجود ما بين ١٠٠ الى ٢٠٠ سلاح نووي ذي قوة تدميرية متنوعة تم تجميعها. وهذه الأسلحة تعادل عشرة أضعاف قوة الترسانة النووية الاسرائيلية، كما أشارت اليها تقديرات سابقة.

ومن بين العلماء الذين أعطوا هذه التقديرات «تيودور تيلور» وهو أحد الخبراء البارزين في مجال صنع الأسلحة النووية. وقد تلقى علومه على يد «روبرت أوبنهايمر» المعروف بأنه «أبو القنبلة الذرية». وقد عمل في التصميمات الأمريكية المبكّرة للقنبلة. وبعدها أصبح رئيساً لبرنامج تجارب الأسلحة الذرية في وزارة الدفاع الأمريكية. وقد فحص «تيودور تيلور» الصور التي التقطها «مردخاي فانونو» داخل مفاعل ديمونة.

ويقول «تيلور» أنه لا يجب أن يكون هناك أي شك بعد الآن في أن اسرائيل أصبحت بالفعل ـ كما هي منذ عقد من الزمن ـ دولة نووية بالكامل. وأن برنامج الأسلحة النووية الاسرائيلية يعتبر متقدماً بصورة أساسية أكثر بكثير مما أشارت اليه التلميحات السابقة فضلاً عن التقارير.

وأضاف «تيلور» أن شهادة فانونو تتفق تماماً مع مقدرة اسرائيل على انتاج عشرة أسلحة نووية سنوياً، تعتبر أسلحة أصغر وأخف وأكثر فعالية من تلك الأنواع الأولى من الأسلحة التي أنتجتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين.

وحين رفضت اسرائيل التعليق على ذلك، فإنها أكدت أن اليهودي فانونو قد عمل بالفعل في لجنة الطاقة النووية الاسرائيلية في ديمونة، وأنه أوقف عن العمل في شهر نوفمبر ١٩٨٦ مع ١٨٠ من عمال ديمونة خلال حملة الحكومة لتخفيض الإنفاق.

وحتى يُلمّ المواطن العربي بمزيد من المعلومات عن حقيقة القوة النووية الاسرائيلية، فقد تطرقت جريدة «المسلمون» الى ما يجري داخل «مفاعل ديمونة» كما فصّلته صحيفة «الصنداي تايمز» البريطانية، فقالت:

في كل يوم من الساعة السابعة صباحاً، يمر أسطول نقل يضم ٤٠ أوتوبيساً من طراز فولفو باللونين الأزرق والأبيض ـ لون علم اسرائيل ـ على الطريق السريع الذي يشق صحراء النقب.

وعلى بعد ستّة أميال من مدينة ديمونة تنعطف السيارات يميناً، ثم تتوقف بعد نصف ميل أمام نقطة تفتيش للجيش الاسرائيلي. ويقوم الجنود بالتفتيش على تصاريح الأمن، ثم يسمحون للأوتوبيسات بالمرور. وبعد ذلك، وعلى مسافة ميلين آخرين تقف الأوتوبيسات مرة أخرى لتخضع لتفتيش أكثر دّقة.

ويوجد سور «مكهرب» يمتد عبر صحراء النقب، يحيط بأهم مؤسسة سرّية في اسرائيل. وقد قامت البلدوزرات بإقامة تلال من الرمال بمحاذاة السور المكهرب لتظهر آثار الأقدام لفرق المراقبة الراجلة أو المحمولة بطائرات الهليوكوبتر. وبصفة رسمية تدار «ديمونة» أو المفاعل النووي الاسرائيلي بغرض الاختبارات على الطاقة الذرية، ولكنها في الحقيقة مصنع لإنتاج الأسلحة النووية.

وتقطع أوتوبيسات الفولفو الطريق الى «ديمونة» ثلاث مرات يومياً، ومهمتها نقل الفنّيين وعددهم /٢٧٠٠/ بين علماء وفنّيين وإداريين يعملون في «دوريات»: الساعة ٧,٣٠ صباحاً، ٣,٣٠ بعد الظهر، و١١,٣٠ ليلاً.

وتتطلب اجراءات الأمن أن يظل معظم العاملين في «ديمونة» على «جهل» تام بالواجبات والأعمال التي يؤدونها داخل المفاعل، وعقوبة الحديث أمام الناس عن «ديمونة» تصل الى ١٥ عاماً في السجن!.

وعندما يغادر العاملون الأوتوبيسات، فإنهم يتوجّهون الى عدّة مستودعات سرّية تسمى «ماخونات» وعددها عشرة:

ـ ماخون رقم «١» هو المفاعل النووي نفسه وله قبّة فضّية ترتفع ٢٠ متراً.

ـ ماخون رقم «٤» هو الخاص بالنفايات النووية، حيث تغمر في القطران وتعبأ في برّاميل، ثم تدفن في الصحراء.

ـ أما ماخون رقم «٢» فلا يدخله سوى ١٥٠ عاملاً، وهو اللغز الحقيقي في ديمونة. فهو من الخارج مبنى عادي من الخرسانة بلا نوافذ، يضم طابقين، بأبعاد ٦٠ متراً طولاً، ٢٥ متراً عرضاً. ويظهر للعيان كمخزن غير مستعمل.

ولكن من يراقب حقيقة المبنى من الخارج يتضح له أمران:

الأول: سمك الحوائط الكبيرة المقاومة للإنفجارات.

الثاني: وجود برج مصعد على السطح، وهو يبدو غير هام للمبنى الصغير.

ولكن لمدة ثلاثين عاماً أخفت اسرائيل هذا المبنى الخرساني الذي لا يبدو عليه أي شيء، وفي حقيقة الأمر فإن أسرار اسرائيل العليا تكمن داخله، بعيداً عن عيون الأقمار الصناعية المتجسسة، أو أعين خبراء الطاقة النووية الأجانب الذين يأتون للتفتيش.

ويمكن كشف لغز هذا المبنى أو «ماخون رقم ٢» على النحو التالي:

حوائطه المزيفة في الطابق الأول فوق سطح الأرض تخفي داخلها

المصاعد اللازمة لخدمة العاملين، حيث تنقلهم الى ستّة طوابق تحت سطح الأرض، حيث يوجد أسفل مكوّنات الأسلحة النووية التي يتم انتاجها وتتحول إلى أجزاء تتكون من رؤوس نووية. . .

ولكن في ظل ما أفصح عنه اليهودي «مردخاي فانونو»، فالأمر يختلف الآن. فالأدلة تثبت أن اسرائيل أصبحت تحتل المرتبة السادسة في النادي الذرّي. وأن مخازنها تحوي مئة قنبلة نووية على الأقل.

وعندما كنا قد أشرنا سابقاً الى «موسادية» مردخاي فانونو (بمعنى ارتباطه بجهاز الاستخبارات الاسرائيلية)، يلتقط رئيس وزراء مصر السابق، السيد «كمال حسن علي»، رأس الخيط النووي الاسرائيلي، ويقول لمجلة «الأسبوع العربي» في القاهرة إن «اليهود يريدون تعقيم الشرق الأوسط. وهم يراهنون على استسلام العرب أمام «السوبر تكنولوجيا» التي يمضون في ورشتها بلا هوادة. وهذا الوضع أتى ثماره السريعة. فأنور السادات ذهب الى القدس المحتلة بحجّة أن المضي في الحروب يحول القاهرة والاسكندرية الى هيروشيما أخرى. . .»*.

ويلاحظ كمال حسن علي، أن ما نشر حول الترسانة النووية الاسرائيلية، هو عمل موجّه، في كل معنى الكلمة، ولا صحة للقول أبداً أن «مردخاي فانونو» طرد من عمله لأسباب مسلكية. اذ لا يعمل أي اسرائيلي في «مفاعل ديمونة» الا اذا كان موثوقاً، في صورة مطلقة. ويمضي أيامه في المراقبة المشدّدة. وهو ليس أكثر من عميل للموساد، فجرّ في العاصمة البريطانية قنبلة إعلامية لأسباب تتعلق بعمليات التسوية في الشرق الأوسط. واذا كانت قنبلة ترومان هي التي وضعت حداً نهائياً للحرب العالمية الثانية، فإن قنبلة ذرية أو نيوترونية هي وحدها القادرة، في العقل الاسرائيلي على وضع حد لمنطق الدول العربية».

بعد كل ذلك، يحق لنا نحن العرب، أصحاب البصر والبصيرة، أن يكون لنا موقف ورأي. اذ على ضوء التجارب الثورية في العالم، وفي وطننا

العربي بالتحديد، نستطيع القول، لماذا عجزت أميركا، والتي هي من أكبر الترسانات النووية في العالم، عن كسب حربها ضد فيتنام؟ ولماذا عجزت بريطانيا وفرنسا أيضاً، رغم امتلاكهما لأحدث الأسلحة النووية، في استمرار السيطرة الاستعمارية على الهند والجزائر مثلاً؟ كذلك كل القوى الاستعمارية الأخرى؟ لذلك يتوضح، أن الارادة الحديدية الصلبة، المؤمنة بقوة الحق، والمصممة على الانتصار بفضل التماسك والوحدة، كفيلة بتحطيم أعظم قوة نووية مهما كانت، والأمثلة كثيرة. فليتحد العرب وليتوحدوا، ليروا بأم أعينهم كيف سيمرّغ أنف اسرائيل في الوحل العربي، كما مرّغ أنف القوى الاستعمارية من قبل.

المراجع

١ ـ مجلة «الاسبوع العربي» البيروتية. العدد ١٤١٥. الاثنين في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦. ص ٤ ـ ٨.

والعدد ١٤١٧. الاثنين ٨ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٤٠ ـ ٤٥ مقال لـ «فؤاد أبو منصور» (سرّ الرقم ١٩ في مسار الحرب العربية ـ الاسرائيلية).

٢ ـ مجلة «العالم». العدد ١٤٣. السنة الثالثة. السبت بتاريخ ٨ ت٢/نوفمبر ١٩٨٦. ص ١١.

٣ ـ جريدة «الأنوار» البيروتية. العدد (٩٢٦٦). الخميس ١٣ نوفمبر سنة ١٩٨٦. ص ١٢.

٤ ـ جريدة «النداء» البيروتية. الخميس ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦.

٥ ـ جريدة «الشرق» البيروتية. الخميس ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦.

٦ ـ جريدة «الثورة» السورية. الاربعاء ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦.

٧ ـ جريدة «السفير» اللبنانية. العدد ٤٤٧٥. الخميس ١٣ نوفمبر ١٩٨٦.

٨ ـ وكالة «رويتر» و«يونايتدبرس» و«أسوشيتدبرس» ١٢ نوفمبر ١٩٨٦.

٩ ـ جريدة «النهار» اللبنانية. العدد ١٦٥٣٣. السبت ١٩٨٦/١١/١٥ وكذلك «السفير» والصحف اللبنانية الأخرى بنفس التاريخ.

١٠ ـ مجلة «الحوادث». العدد ١٥٦٨. الجمعة ٢١ نوفمبر ١٩٨٦.

ص ١٠ و٤٤ ـ ٤٥.

١١ ـ «السفير» العدد ٤٤٧٩. الاثنين ١٩٨٦/١٢/١٧ ـ وبتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٨٧. ص ١١ (نقلاً عن الـ «واشنطن بوست»).

١٢ ـ جريدة «المسلمون» (تصدر في لندن). العدد السادس والتسعون. من ٦ ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦. الصفحة الثانية.

١٣ ـ مجلة «أوروبا والعرب» (تصدر في لندن). العدد ١٤١. ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٢ ـ ١٤.

١٤ ـ طوني فرنسيس «الخطر النووي يخيّم على الشرق الأوسط أيضاً!». دار الفارابي. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٨٦. ص ٣٩ ـ ٥١.

١٥ ـ في الفترة الأخيرة صدر كتابان حول هذا الموضوع (موضوع فانونو) بعنوان: خيار شمشون. الكتاب الأول عن دار الأرض للنشر، والثاني عن دار الحمراء في بيروت للكاتب سيمور هيرش، يؤكد فيه على أن فانونو ليس عميلاً للموساد، وقد قام بفضح هذه المعلومات بناء على قناعة كانت لديه وبوحي من ضميره في سبيل السلام العالمي.

وثائق وملاحق
ملف الاستخبارات الاسرائيلية

١ ـ الخطة التي اقترحها تيودور هرتزل لإقامة كيان صهيوني.

٢ ـ شهادة فلاديمير جابوتنسكي أمام اللجنة الملكية لفلسطين سنة ١٩٣٧ (مقتطفات).

٣ ـ منظمة الأرغون تشرح أسباب قيامها.

٤ ـ انذار صادر من منظمة «شتيرن» الارهابية الى السكان العرب سنة ١٩٤٨.

٥ ـ مذكرة يسرائيل كنينغ بشأن «الخطر الديموغرافي» الذي يمثله عرب الجليل والوسائل الصهيونية لمعالجته.

٦ ـ سرّي للغاية: «التدريب في القوات المسلحة الاسرائيلية».

٧ ـ نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإدانة الصهيونية في تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٩٧٥.

٨ ـ ازدهر مع حرب لبنان وصار قضية: الجنرال «حشيش» في الجيش الاسرائيلي.

ملحق رقم «١»

١ ـ الخطة التي اقترحها تيودور هرتزل لاقامة كيان صهيوني(*)

الخطة بمجملها سهلة جداً اذ يجب أن تكون هكذا إذا أردنا تنفيذها.

امنحونا السلطة فوق قطعة من الأرض في هذا العالم تكفي حاجاتنا القومية المشروعة ونحن سنعمل ما تبقى.

ان خلق دولة جديدة ليس بسخيف أو بصعب. ألم نرى تكوين دول في عصرنا هذا علماً أنها ليست من الطبقات المتوسطة، إنها أكثر منا فقراً وأقل ثقافة وأكثر ضعفاً؟ هذا وإن الدول التي قاست من الحركة اللاسامية ستهتم كثيراً بمساعدتنا على الحصول على هذه السيادة السياسية.

الخطة سهلة في تصميمها لكنها صعبة التنفيذ، وستنفذها وكالتان: الجمعية اليهودية والشركة اليهودية.

ستنفذ الشركة اليهودية الخطة العلمية والمخططات السياسية التي ستقوم بها الجمعية اليهودية.

سيكون عمل الشركة اليهودية تصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة والأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد.

يجب أن لا نتصور خروج اليهود كشيء مفاجىء، إنما سيكون تدريجياً يستمر لمدة عدة عقود. سيذهب أولاً الأكثر فقراً لزراعة الأرض. وسيبنون

الطرق والجسور والسكك الحديدية والخطوط اللاسلكية، وسيعملون على تنظيم مياه الأنهار ويهيئون لأنفسهم بيوتاً، كل ذلك وفقاً لخطط مدروسة. إن أعمالهم ستؤدي الى تجارة والتجارة تؤدي الى أسواق والأسواق تجذب مستوطنين جدداً ـ لأن كل شخص سيذهب طوعاً على نفقته وعلى مسؤوليته ـ سيعطي العمل المستثمر في الأرض نتيجة، وسيكتشف اليهود بسرعة أن آفاقاً جديدة ودائمة قد فتحت أمام طموحهم الذي حتى ذلك الوقت كان يلحق بهم الكره والذل.

لا يتم تأسيس دولة الآن بالأسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل ألف سنة. فمن الغباوة العودة بمستوى الحضارة الى الوراء كما يقترح الكثير من الصهيونيين، فلنفترض على سبيل المثال بأننا أجبرنا أن نخلي بلداً ما من الوحوش. يجب علينا أن لا نقوم بهذا العمل وفقاً لأسلوب الأوروبيين في القرن الخامس. كأن نأخذ الرمح ونذهب كل على حدة للبحث عن الدببة، يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة ومن ثم نجمع الحيوانات كلها معاً ونلقي في وسطها القنابل المميتة.

وإذا أردنا أن نبني مباني يجب أن لا نقوم بنصب بعض الأكوام غير المتينة كتلك التي تقام على شواطىء البحيرات؛ إنما يتوجب علينا أن نبني كما يبني الناس الآن، يجب أن نبني بطريقة أقوى وأضمن من أي طريقة استعملت حتى الآن، لأننا نملك الوسائل التي لم تكن معروفة من قبل.

سيتبع المهاجرين الفقراء الأوائل هؤلاء الذين هم أعلى منهم درجة وهكذا يذهب أولاً هؤلاء الذين هم أسوأ حالاً، وبالتدريج الى أن يتبع المفكرون المتوسطون الذين ننتجهم بكثرة والذين هم المضطهدون في كل مكان.

ليكن هذا الكتيب فاتحة مناقشة عامة حول مسألة الهجرة اليهودية. هذا لا يعني أنه يجب اجراء تصويت حول هذا الأمر. فمثل هذا العمل سيقضي على القضية من أساسها. فمن يرغب في أن يبقى فليبق، اذ أن معارضة قلة

من الأفراد لا قيمة لها.

من يريد الذهاب معنا فلينضم الى رايتنا وليقاتل بالكلام والقلم والعمل من أجل القضية.

يتكتل اليهود الذين يوافقون على فكرة انشاء دولة الجمعية اليهودية، وهذا يعطيها القوة في أعين الحكومات لتنوب عن شعبنا. تمثل هذه الجمعية القوة الخالقة للدولة، في نظر القانون الدولي. وهذا يعني خلق الدولة.

ومتى أظهرت القوى الدولية رغبة في منحنا السلطة فوق قطعة أرض محايدة تدخل الجمعية اليهودية في مناقشات لاستملاك قطعة الأرض. هنا يتبادر الى الذهن منطقتان: فلسطين والأرجنتين، وقد أجريت تجارب لاستعمار كل من هاتين المنطقتين ولكن وفقاً لمبادىء مغلوطة. لأنها كانت مبنية على فكرة التسلل، لأنه لابد أن يأتي الوقت الذي تبدأ به الحكومات المعنية، تحت ضغط المواطنين الأصليين ـ والذين يشعرون بأنهم مهددون ـ بوضع حد لتسلل اليهود. اذن فالهجرة لا فائدة منها إلا اذا كانت ضمن السلطة المعطاة لنا.

ستعمل الجمعية مع السلطات الموجودة في تلك الأرض وتحت اشراف القوى الأوروبية، اذا وافقوا على الخطة. وستستفيد هذه السلطات بالمقابل، سندفع قسطاً من دينها العام ونتبنى اقامة مشاريع نحتاجها نحن أيضاً. كما ستعمل أشياء أخرى كثيرة. ستكون فكرة خلق دولة يهودية مفيدة للأراضي المجاورة لأن استثمار قطعة أرض ضيقة يرفع من قيمة المناطق المجاورة.

فلسطين أو الأرجنتين

أيهما أفضل فلسطين أو الأرجنتين؟ ستأخذ الجمعية اليهودية ما يعطى لها وما يفضله الرأي العام اليهودي. ستقرر الجمعية كلًا من هذين الأمرين.

ان الأرجنتين هي من أخصب بلاد العالم وتمتد فوق مساحات شاسعة

سكانها غير كثيفين كما أن مناخها معتدل. وسيكون من مصلحة جمهورية الأرجنتين أن تقبلنا في أراضيها. لقد سبب تسلل اليهود الى الأرجنتين بعض الاستياء لذلك، فمن الضروري تنوير الحكومة عن اختلاف نوعية الهجرة الجديدة لليهود.

فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يمكننا نسيانه. ومجرد الاسم هو صرخة جامعة عظيمة. لو يعطينا جلالة السلطان فلسطين لكنا نأخذ على عاتقنا إدارة مالية تركية كاملة مقابل ذلك.

ونقيم هناك جزءاً من حائط لحماية أوروبة في آسية يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية. ويتوجب علينا كدولة محايدة أن نبقى على اتصال مع أوروبة التي ستضمن وجودنا بالمقابل.

---

* مقتطفات من كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية» الصادر سنة ١٨٩٦. انظر أيضاً: «الفكرة الصهيونية ـ النصوص الأساسية» بيروت. مركز الأبحاث. سنة ١٩٧٠. ص ١١٧ ـ ١٢٠.

ملحق رقم «٢»

٤ ـ شهادة فلاديمير جابوتنسكي امام اللجنة الملكية لفلسطين، عام ١٩٣٧(*)

انني أريد الآن أن أقدم اعترافاً غريباً وهـو أن مطلبنـا بأن نشكـل أغلبية يهودية ليس الحد الأقصى بل الحد الأدنى، والمرحلة الحتمية التي يجب أن نصلها إذا ما سمح لنا أن نستمـر في عملية تخليص شعبنـا. وحتى لو أصبح اليهود أغلبية في فلسطين فلن يصل ذلك الى درجة التشبع، وذلك لأنه لو كـان هناك مليون يهودي الآن في فلسطين لأصبح اليهود يشكلون غالبية في البلاد، ولكن ما زال ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي في الشرق يطرقـون الباب بـاستمرار من أجل الدخول، أي من أجل الخلاص.

إن عنـدي عطفـاً عميقاً على القضيـة العربيـة شرط أن لا يبـالـغ بهـا. وأعتقـد بأن أعضـاء اللجنة استـطاعـوا أن يقـرروا فيمـا بينهم إذا كـان عـرب فلسطين سيواجهون صعوبات كأفـراد نتيجة لـلإستعمار اليهـودي. اننا جميعـاً نعتقد بأن الوضع الاقتصادي للفلسطينيين العـرب في ظل الاستعمـار اليهودي ونتيجة له قد أصبح مثـار حسد البلدان العـربية المجاورة، حتى أن العرب في تلك البلدان يبدون رغبة واضحة في الهجرة الى فلسطين. ولقد أبلغتكم بـأنه لن يكون هناك أي طرد للعرب، وبـالعكس، فإن فلسـطين المؤلفة من ضفتي نهر الأردن يجب أن تستوعب العـرب ونسلهم وعدة مـلايين من اليهود، مـا لا أنكر، في تلك العملية هو أن عرب فلسطين سوف يصبحون أقلية فيها، أما ما

لا أقره وأفهمه فهو أن يكون ذلك شيئاً صعباً، أنه ليس صعباً على جنس وعلى أمة لها عدة دول قومية الآن وعدد آخر من الدول القومية في المستقبل، ان جزءاً واحداً وفرعاً واحداً من هذا الجنس سوف يضطر للعيش في بلد عربية أخرى. وعلى كل فإن هذه هي الحالة مع جميع الشعوب القوية في العالم. انني لا أذكر واحداً من الشعوب الكبيرة التي لها دول وليس هناك فرع منها يعيش في دولة أخرى. إن هذا الشيء عادي وليس فيه أية «مشقة». وهكذا عندما نسمع المطلب العربي يواجه المطلب اليهودي فإنني أدرك بأن أية أقلية تود أن تصبح أغلبية، وبأن عرب فلسطين يفضلون أن تصبح فلسطين الدولة العربية رقم ٥ أو رقم ٦ أو رقم ٧، ولكن عندما يواجه المطلب العربي بالمطلب اليهودي للخلاص، يكون ذلك كمقابلة الشهيّة مع المجاعة. لم يحدث أن نظرت أية محكمة في قضية كان الحق فيها الى جانب واحد، أما الجانب الآخر فلم يكن له حق بأي شكل من الأشكال. إن أية محكمة تنظر في قضايا انسانية، بما فيها هذه المحكمة، يجب أن تعترف بأن لكل جانب وجهة نظر، ومن أجل العدالة يجب أن تأخذ المطالب الإنسانية للأفراد أو للجماعات بعين الاعتبار لا سيما مطلب الضرورة والحاجة الحاسم أعتقد بأن ذلك واضح.

سيدي الرئيس، أيها السادة، هنا نأتي الى بداية فصل محزن سأحاول أن أضعه أمامكم بأبسط ما يمكن، وآمل أن يحظى بصبركم وحلمكم. انسان سوف يخبركم الآن عن خيبة أمل عظيمة. لقد كنت دائماً أفكر، قبل أن آتي الى انجلتره بأنه إذا ما تسلمت حكومة متحضرة أمانة دولية، وفي مثل هذه الظروف ومثل هذه المضامين، أمانة تتعلق بشعب قاسى كثيراً وتأمل طويلاً، وأن آماله مقدسة بالنسبة لكل انجليزي، كنت أفكر أن مثل هذه الدولة ستعد خطة «لكيفية تنفيذ ما أوكل اليها». وبصرف النظر عن أي تفسير لوعد «الوطن» يجب أن تكون هناك خطة لبنائه ولكيفية «وضع بلد في ظل ظروف ادارية واقتصادية وسياسية من شأنها أن تسهل تأسيس» ما تعنونه بالوطن القومي اليهودي.

ذلك كان أول شرط ـ الخطة، أما الشرط الثاني فكان يقضي بأن يكون واضحاً للجميع بأن تلك الأمانة هي التي قبلوها وأن «هذا هو ما سوف نفعله». إن تلك الخطة يجب أن تبدأ بدراسة جيولوجية لضفتي نهر الأردن لمعرفة الأجزاء القابلة للزراعة والأجزاء التي يمكن اصلاحها. يجب أن تتضمن الخطة كذلك مخططاً للتحسين والاصلاح، وخططاً لقرض يموّله اليهود من أجل سد نفقات التحسينات والتقسيمات ولخلق أرض احتياطية على ضفتي النهر تستخدم لتلبية طلبات الراغبين، عرباً كانوا أم يهوداً، للإقامة في تلك الأراضي الزراعية. وبالإضافة لذلك، يجب أن تتضمن هذه الخطة مخططاً لتنمية صناعية تستطيع أن تسد حاجة عدد كبير من المهاجرين، ومخططاً لقوانين التعرفة والاجراءات الجمركية التي يمكن استخدامها لحماية تلك التنمية، ومخططاً من أجل انشاء نظام للضرائب ليساعد المستوطنين والقادمين الجدد كما في أي بلد يعيش في ظروف استعمارية.

وأخيراً، يجب أن تتخذ اجراءات لضمان الأمن. إن أمة كأمتكم عريقة في تجربتها الاستعمارية العملاقة تعرف بكل تأكيد بأن الاستعمار لن ينجح دون نزاعات مع السكان مهما يتطلب حماية البلاد، وبما أن اليهودي لم يطلب يوماً الحماية من أحد، فإن الخطة يجب أن تتضمن السماح لليهود بإقامة حرس خاص لهم في فلسطين أو في جزء كبير منها. وكذلك يجب أن يختار موظفو السلك المدني بعناية خاصة، بحيث يتميزون باللطف أولاً، وأن تكون لديهم الخبرة بمثل هذا العمل ثانياً، مما يتطلب اجراء امتحان خاص لاختيار هؤلاء الموظفين المدنيين. هذا ما كان يتوقعه كل شخص، ولكننا أصبنا بخيبة أمل عند سماعنا القول «أننا في حالة ارتباك»، وفي بعض المناسبات كان ينظر الى هذا الارتباك وكأنه الوسيلة الأفضل. وأحياناً كان ذلك يسمّى منهج التجربة وأحياناً منهج الحكمة البديهية. لا أدري ما اذا كان كل هذا يليق بالامبراطورية. وليس هنا مجال حكم عليها بل كل ما أستطيع أن أقوله هو أننا قاسينا نتيجة لعدم وجود خطة مرسومة، ونتيجة للإهمال المتعمد في التخطيط لمهمة جديدة وهامة ومسؤولة. لقد قاسينا كثيراً، ومع ذلك، فقد كنا نتلقى

في كل مرة نرفع فيه صوتنا بالشكوى الجواب التالي: «الشخص المسؤول الموجود في المكان يعرف أكثر». اسمحوا لي أن أقول بكل احترام بأن الانتداب قد منح لبريطانية العظمى من قبل خمسين دولة لأن الخمسين دولة هذه كانت تؤمن بضمير بريطانية وبحصيلة تجربتها، وخاصة في إشراف هذا الضمير وهذه التجربة المباشر على الرجل المسؤول. إن مراقبة أعمال الهيئات التنفيذية في الدولة هي فكرة انجليزية، ونحن الأوروبيين تعلمنا ذلك من الانجليز. وهكذا، فإن الحكومة لا يمكنها التغاضي عن واجبها المنتدبة له باختيارها شخصاً حتى ولو كان عبقرياً وتعيينه مسؤولاً عن الأمور. كان ذلك دائماً جوابهم: «لقد عيّنا رجلاً مسؤولاً ليقوم بالعمل، ولننتظر ونرى»، وأحياناً كنا نتلقى جواباً آخر «من المرجح أن تكون شؤون الحكومة سائرة على ما يرام لأن كلاً من العرب واليهود يرفعون شكاوى ومظالم». لم نفهم ذلك أبداً. هل أكون قد أديت واجبي نحو كل من أولادي أو من موكلي إذا ما كنت مكروهاً من كل منهم؟ لا أعتقد ذلك.

لقد أصابتنا خيبة أمل كبيرة لعدم وجود نظام وخطة، كذلك أصبنا بخيبة أمل لعدم وجود المطلب الثاني وهو: الوضوح. لم يبلغ العرب ماذا كان يعني اللورد بلفور والأشخاص الآخرين بالوعد الذي سمي بوعد بلفور. لم يبلغوا أبداً. وهنا يا سيدي أريد أن أحصر نفسي بإعادة الذاكرة الى قصة صغيرة عرفت بها هذه اللجنة في فلسطين، كمثال على الموقف البعيد عن الحقيقة. أما ما أريد أن أشير اليه فهو أنهم بدل أن يكتبوا على قطع العملة وغيرها «أرض اسرائيل» Eretz Israel فإنهم يكتفون فقط بكتابة الحرفين العبريين لـ «أ. أ.» (E. I.)، لماذا؟ ما معنى ذلك؟ اذا كانت البلاد سوف تسمى أرض اسرائيل، فيجب أن يطبع الاسم بكامله، أما اذا كان ذلك شيئاً غير محتمل الوقوع، فيجب عدم كتابته كلياً، ولكن هذا «المخرج» يوضح «النظام» كله، الذي يلمح الى أن وعد بلفور قائم وقد يكون فيه شيء ما، وقد لا يكون فيه شيء أبداً. لقد كان ذلك هو «النظام» من البداية الى النهاية. وإذا سئلت فإنني على استعداد لدعم هذه الملامة بعدة حقائق، ولكنني متأكد بأن اللجنة

الملكية قد أصبح لديها المعلومات الكافية لتكوّن حكمها في هذا الموضوع.

ان الاهتمام بالأمن هو عنصر مهم جداً في تطبيق نظام الانتداب. وإنني أفترض بأن اللجنة كان لديها الوقت الكافي لاستخلاص نتائجها حول ذلك، ولكنني أشعر أن من واجبي تذكيرها ببعض جوانب هذا الموضوع. لقد كنا مهددين بالمذابح في فلسطين، وقد أبلغنا الحكومة ذلك منذ سنوات، ولكنها استمرت في تخفيض عدد الجنود في فلسطين. لقد قلنا للحكومة: «تذكروا بأن لنا أطفالاً وزوجات، لذلك نريدكم أن تصبغوا حقنا في الدفاع عن النفس بصبغة الشرعية كما تفعلون في كينيا». ان كل أوروبي في كينيا كان مضطراً حتى وقت قريب لأن يتدرب في فرقة الدفاع عن المستوطنين، الى متى يظل اليهود في فلسطين يحاولون الدفاع عن النفس في الخفاء، كما لو كانوا يرتكبون جريمة ضد القانون؟ انكم تدركون ما تعني المذابح في التاريخ اليهودي، وإننا ندرك أيضاً ما تعني المذابح في تاريخ الانتداب في فلسطين. لم يسمح لليهود أن يستعدوا لذلك الواجب المقدس، واجب الدفاع عن النفس، كما كان يفعل كل شخص انجليزي، كان علينا أن نعد أنفسنا في الخفاء بأجهزة غير كافية وبتدريب ناقص وبطريقة غير محترفة. أنا لا أفهم كيف يمكن لحكومة أن تقبل بذلك بعد ثلاث تجارب، كانت احداها في ١٩٢٩ فظيعة جداً. انني آسف لما قد اعتراني من اضطراب وغضب وأعتذر للجنة وآمل أن يفهم أعضاؤها السبب لذلك، ومع هذا فإنني لا أعتقد بأنني تخطيت حدود المنطق في تقديمي لقضيتي أمام هذه اللجنة الملكية.

اذا خفضتم عدد القوات في فلسطين دون حد تأمين السلامة بدعوى أن دافع الضرائب البريطاني لا يريد تقديم أمواله وأبنائه، فإن ذلك شيء طبيعي، ولكننا نحن يهود كل الأحزاب ما زلنا نسأل منذ سنين: «لماذا سرّحتم الفرقة اليهودية؟ لماذا لا تسمحون لليهود بأن يتولوا زمام أمرهم بأنفسهم؟ لتكن أموالنا ورجالنا تحت تصرف القيادة البريطانية وتحت القانون العسكري البريطاني؟» انني لا أطلب «جيشاً يهودياً» قبل ايجاد الدولة اليهودية، ولكننا

نريد بقاء الفرقة اليهودية كما كانت خلال الحرب تقدم خدماتها الجليلة. لماذا تشيع في هذه البلاد الفكرة بأننا نريد جوني وتومي وبوبي بأن يدافعوا عنا؟ إننا لا نريد ذلك. اذا كان بناء فلسطين يحتاج الى العرق والذهب فإن ذلك يقع على عاتقنا نحن، واذا كان على المدافعين عن فلسطين أن يسفكوا الدماء، فلتكن دماؤنا وليس الدم الانجليزي. ولكن مثل هذا الاقتراح كان يرفض دائماً.

لقد سبق وقلت: انني أدرك موقف اللجنة في رفضها التركيز على أسباب الاضطرابات، وما عليّ إلا أن أنحني أمام ذلك وأقبله، غير أني من ناحية أخرى، أود أن أسأل هذه اللجنة عن وزارة المستعمرات وعن حكومة الانتداب: هل توجد لديكم خطة وخط عمل؟ في جنيف، وعد المستر ايدن مجلس العصبة بأن «لجنة ملكية» قد عيّنت للتحقيق في الاضطرابات السائدة، وأنها ستعمل على تقصي الحقائق، كذلك فقد تم اقناع اللجنة الدائمة للإنتداب بأن تمتنع عن تقديم أي سؤال حتى تتمكن «لجنة ملكية» ـ ليس هذه اللجنة بالذات ـ من التحقيق في الحوادث الجارية. بالطبع من حق هذه اللجنة الملكية الحاضرة أن ترفض ذلك وإنني أقدر دوافعها لذلك، ولكن يا سيدي أين هذه اللجنة الملكية التي ستحقق لتعرف من هو المذنب؟ ولأنني أؤمن بأن طرفاً ما هو المذنب، فإنني ألفت النظر الى أن كميات كبيرة من الذخائر قد تسربت الى العرب في فلسطين قبل وخلال الحوادث. وإنني أؤمن كذلك بأن اهمالاً في الواجب قد وقع في البحث عن أمر الضحايا الذين سقطوا في البدء. هناك أمر أريد أن أفهمه ولكنني لا أستطيع ذلك، وهو عدم قيام اضراب عام في حيفا كما حدث في يافا. أريد أن أفهم ما اذا كانت هناك اتفاقية جنتلمن بأن تقوم «ثورة مرخصة» في جزء من فلسطين وأن لا تقوم ثورة حيث لا يريدها المسؤولون أن تقوم.. أريد أن أعرف لماذا سمح للسيد القاوقجي بمغادرة فلسطين، ولماذا سمح للعصابات بأن تسرّح، ولماذا لم يتبع ذلك تجريد الأهالي من أسلحتهم. أريد أن أعرف لماذا تحدث كل هذه الأشياء في بلد ولا يكون هناك مذنب أو مسؤول.

وحسب نظرية الرجل المسؤول الموجود هناك في ساحة الحوادث، انني أريد من ذلك الرجل أن يقف أمام لجنة ملكية، أمام هيئة قضائية وأريده أن يجيب عن غلطاته. وأحياناً يكون لرجل متواضع مثلي الحق في أن يقول «اني اتهم». انهم مذنبون، مذنبون بتهمة السمسرة والتغاضي وإهمال الواجب. واذا لم أكن مخطئاً يجب أن يكون هناك شخص يجيب أمام اللجنة الدائمة للإنتداب التابعة لعصبة الأمم التي أعطتكم حق الانتداب. من الذي سيجيب؟ لقد علمت بأن تقريراً عن الحوادث سوف يقدم بطريقة عامة ضمن تقرير حكومة فلسطين الى عصبة الأمم، وذلك بدلاً من تقرير هذه اللجنة الملكية. وإن الفريق المتهم هو الذي سيقدم هذا التقرير. انني أقول لهذه اللجنة الملكية: يجب أن يكون بين أولى توصياتكم عن العلاج (لأنه مطلوب منكم أن تقدموا علاجاً) العمل على ايجاد المذنبين ومعاقبتهم، وكذلك الاستفسار عن المجلس الاسلامي الأعلى الذي يتألف من مجموعة الأشخاص الذين يرأسهم سماحة المفتي، والذين أعطتهم الحكومة نوعاً من الحصانة الديبلوماسية. لقد أجرت الحكومة مباحثات رسمية معهم. انني أطلب بكل احترام وبكل تواضع أن تقوم لجنة مستقلة عن وزارة المستعمرات وعن الرجل المسؤول في مكان الحوادث بالاستفسار والتحقيق في هذا الاتهام، لأنني أعتقد بأن هناك جريمة،وأنا أطلب بكل تواضع معاقبة مرتكب هذه الجريمة.

أما بالنسبة للعلاج، فإن العلاج الرئيسي في رأيي هو التخطيط ومجابهة الحقيقة. يجب ابلاغ العرب واليهود المضامين الحقيقية للإنتداب. وأنا أرى أن هناك طريقة واحدة لتفسير الانتداب. يجب أن تعد خطة ولنسمّها خطة السنوات العشر. وفي رأينا أن مثل هذه الخطة يجب أن تشمل اصلاحات زراعية وضريبية واصلاحات جمركية واصلاح الخدمة المدنية وفتح شرقي الأردن للتسلل اليهودي وتأكيد الأمن العام بتأسيس الفرقة اليهودية وجعل حق اليهود في الدفاع عن أنفسهم شرعياً.

لقد سمعتم بالطبع عن التسويات والحلول الوسطية التي قدمت بما في ذلك اقامة المعسكرات Cantonization، أو التقسيم بالتساوي Parity Scheme، أو التقارب الثقافي أو التساهل من جهة اليهود أو غير ذلك. أريدكم أن تثقوا بإخلاصي وبإخلاص كل الحركة وبإخلاص كل يهودي أتكلم عنه: نتمنى أن يكون الحل الوسطي ممكناً ولكن ذلك مستحيل، إننا لا نستطيع أن نقبل بإقامة المعسكرات، لأن كثيرين، وحتى أنتم، تعرفون بأن حتى كل فلسطين أصغر من أن تسد حاجة هذا الهدف الانساني. كيف يمكننا أن نرضى بزاوية أو مقاطعة صغيرة من فلسطين؟ إننا لا نستطيع ذلك ولن نستطيعه أبداً. حتى اذا أقسمنا لكم بأننا سنرضى، سنكون كذابين في ذلك. بأية نقطة يمكننا أن «نتساهل؟» ماذا يستطيع أوليفر تويست أن يقدم من «تنازلات»؟ إنه في وضع لا يؤهله لأن يتنازل عن أي شيء، إن القائمين على أمور البيت هم الذين عليهم أن يتنازلوا عن صحن حساء كامل. وليس هناك مهرب من ذلك. إننا لا نؤمن بأية تسوية على أساس تلك الخطوط. وإقامة المعسكرات أو التقسيم المتساوي هي مجرد كذبة لن تنطلي على أحد، وأن تكرارها لا يعني سوى تمديد الحالة التي أدت الى اضطرابات ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٩ و١٩٣٦، وسوف تؤدي الى النتائج نفسها في المستقبل.

هناك طريقة واحدة للتسوية، وهي أن تخبروا العرب بالحقيقة، فالعربي منطقي وذكي وعادل، إن العربي يستطيع أن يدرك أنه ما دام للعرب أربع أو خمس دول عربية صرفة، فمن العدل أن تحوّل بريطانية فلسطين الى دولة يهودية. وعندئذ سيحدث تحول في تفكير العرب، مما يساعد على ايجاد فرصة للتسوية، وبذلك يتحقق السلام.؛

* انظر «الفكرة الصهيونية ـ النصوص الأساسية». بيروت مركز الأبحاث. ١٩٧٠. ص ٤٣١ ـ ٤٤٢.

ويعتبر فلاديمير جابوتنسكي من أساتذة الارهاب والاجرام. حتى أن مناحيم بيغن يعتبره بمثابة «الأب الروحي» له.

ملحق رقم «٣»

منظمة الأرغون
(المنظمة العسكرية القومية) تشرح اسباب قيامها

شرحت الأرغون في تعميم نشرته على الصحافة الأوروبية في شهر آب/ أغسطس ١٩٣٩ أسباب قيامها فيما يلي:

١ ـ ان غزو بلد واستقلال أمة مظلومة لا يتوج أبداً بالنجاح الا حين تدعمه قوة عسكرية.

٢ ـ ان حوادث ١٩٢٠ ـ ١٩٢١، و ١٩٢٩ أثبتت بالتأكيد نيّة العرب في استعمال العنف المسلح لمقاومة انشاء دولة يهودية. وكان الموقف اليهودي السلبي أمام هذا العنف تشجيعاً للإرهابيين العرب.

٣ ـ لا يمكن لنا أن نعتمد على قوة الانتداب لقهر العنف العربي. فإن الإدارة البريطانية هي ضد الصهيونية وضد اليهودية تماماً وقد شجعت هذه الادارة العنف العربي لتبرر نسخ تصريح بلفور والانتداب. وقد بلغت هذه السياسة ذروتها في كتاب مكدونالد الأبيض في أيار/مايو ١٩٣٩.

٤ ـ ستكون فلسطين في حالة الحرب نقطة استراتيجية ذات أهمية بالغة للديمقراطية الغربية.

وفي أثناء الحرب سيكون حق اليهود التاريخي والقانوني والعاطفي في

فلسطين أقل احتراماً من جانب بريطانيا. وأنـه بالاحتفـاظ بقوة مسلحـة للدفاع عن فلسطين سيكون في مقدورنا أن نحتل مركزاً يجعل بـريطانيـا تقبل بـإيجاد دولة يهودية.

المصدر: بسام أبو غزالة، الجذور الارهابية لحزب حيروت، مركز الأبحاث، ص ٢٤.

ملحق رقم «٤»

٥ ـ انذار صادر عن منظمة «شتيرن» الإرهابية الى السكان العرب، عام ١٩٤٨(*)

انا المحاربون لتحرير اسرائيل «لوحمي حيروت يسرائيل» والمعروفون لديكم باسم منظمة «شتيرن» نتقدم اليكم بتحذيرنا هذا:

لقد حاربنا العدو البريطاني في خلال سنين لأننا كنا واثقين أنه هو عدّونا الحقيقي. حاربناه وانتصرنا عليه فعلاً. وبفضل حربنا ضد الانكليز اضطروا الى جلاء البلاد. غير أنهم قبل أن يتركوها حيث لا يرجعون، أخذوا يسعون بكل جهدهم لنقل الجبهة الموجهة ضدهم الى جبهة يهودية ـ عربية. ولقد أفلحوا بالوصول الى هذه الغاية بمساعدة فئة خائنة من زعماء العرب، فريق مأجور، يخدم الاستعمار البريطاني مدى السنين.

وعوض أن يهتموا في إيجاد سبيل للتفاهم مع اليهود والسلام في سبيل نضوج البلاد وعمرانها بجهود مشتركة، نراهم قد أورثوا البلاد مأساة دماء شنيعة. وما فتئوا يسعون الآن الى جذب الأهالي بجهلهم هذه المعمعة تارة بالتحريض وأخرى بالاغراء بإعلانات الجهاد الخلابة.

أيها العزب، جئنا بهذا ننذركم قبل فوات الأوان. إننا «المحاربون لتحرير اسرائيل» لا نعرف رحمة. فإن الانفجار الذي أحدثناه في يافا والذي أصاب لب قيادة المجرمين ما هو إلا بمثابة انذار أولي. أولئك الزعماء الذين

أبـلوكم بهذا الوبـال يستترون وراء الأسـوار البريطانية، بينمـا الجماهيـر تركت وشأنها عرضة للأخطار.

اعلموا أيها الجماهير، أنكم إن تواصلوا انقيادكم الى اقتراحات أولئـك المأجورين الخـائنين من الهيئة العـربية العليـا سوف لا تكـون لكم اقامـة ولا تستطيعـون انقـاذ أنفسكم. ويشهـد بـذلـك آلاف الـلاجئين من يـافـا وحيفـا والقدس. وإنما اذا تماديتم في السير بهذه الطريق سـوف لا يكون لكم مفـر. فقد تكونون جميعكم عرضة لهجومنا. كل مدينة وقرية وكل بيت وقلعة يصبـح هـدفاً لنـا، نمطر وابـل قنابلنـا عليكم جميعاً. فـلا جنين ولا رام الله ولا بئـر السبـع ولا نابلس أو غيـرها. . . لن تكـون احداهـا مقراً أمينـاً لكم ولن نكف ضـرباتنـا على رؤوسكم. ولن تكون جبهـة هنا وملجـأ هناك. فـلا تضلوا وراء الأقـوال في نجدة مـا من الدول العـربية المجـاورة. إن الكذب والخـداع قـد ملأت أفواههم.

الا فاعلموا أن المحـاربين لتحريـر اسرائيـل سيأتـونكم في ظلام الليـل وضوء النهار. ولن تعرفوا الى الراحة سبيلاً. إننا نـدعوكم، قبـل الختام، الى السلم والاخاء. فإذا شئتم أن تتركوا الخونة المتزعمين بالزعامة فتتمتعوا كلكم من الحـريـة ومن فضـائـل البـلاد. ولكنكم إن تتمـادوا في الإنجـراف وراء الدسائس البريطانية ومأجوريهم فلن تجدوا للراحة معنى».

الحياة والموت أمامكم. فاختاروا ما شئتم.
وها قد خيّرناكم وأنذرناكم!!

المحاربون لتحرير اسرائيل
«منظمة شتيرن»

صادر في فبراير سنة ١٩٤٨، الموافق في ربيع الأول سنة ١٣٦٢.

---

* دافيد نيف «تاريخ المنظمة العسكرية القومية» (بالعبرية) تل أبيب. كلاوزنر ١٩٨٠. الجزء السادس. ص ١٥.

وقد وردت صورة الانذار في كتاب عبد الحفيظ محارب: «هاغاناه، اتسل، ليحي: العلاقات بين التنظيمات الصهيونية المسلحة، ١٩٢٧ ـ ١٩٤٨» بيروت. مركز الأبحاث ١٩٨١. ص ٤١٨.

ملحق رقم «٥»

٨ ـ مذكرة يسرائيل كنينغ بشأن «الخطر الديمغرافي» الذي يمثله عرب الجليل والوسائل الصهيونية لمعالجته(*)

نص المشروع :

مقدمة :

١ ـ سادت الدوائر المسؤولة عن السكان العرب، حتى قبل وقت قصير للغاية، آراء تقول أن قبول هذا الجزء من السكان بوجود دولة اسرائيل هو كامل، وإن أكثريتهم تمر في مراحل متقدمة من التماثل مع الدولة والإندماج في مؤسساتها المختلفة. هكذا، على الأقل، اتضح «للمهتمين» (بالشؤون العربية من بين اليهود) والقريبين الى المراكز الاجتماعية للعرب، سكان الدولة ومواطنيها.

٢ ـ وقعت أخيراً عدة حوادث مست بهذه الفرضيات، ووضعت علامة سؤال كبيرة على ولاء جزء كبير من أولئك السكان للدولة ولمجرد وجودها.

لقد ظهرت حقاً شكوك حول طريقة التفكير في شؤون عرب اسرائيل ومعالجتها قبل بضع سنوات، لأسباب ستوضح فيما يلي، ولكنها كانت متعارضة مع مفاهيم «المستعربين» ولذلك اسكتت حالاً. ويبدو لنا أنه لا نقاش الآن حول ضرورة البحث في «بديهيات»، كانت تعتبر أسساً مسلماً بها حتى الفترة الأخيرة.

٣ ـ بعد إقامة الدولة، وجدت البقية التي بقيت من السكان العرب،

نفسها دون زعامة. وتكونت اقلية وجدت نفسها ملزمة بالتكيف مع واقع الدولة اليهودية، التي تعيش في حالة حرب مع جاراتها العربيات، وتثبيت نفسها من خلال استعمال القوة ضدهم.

أما الحكم العسكري، الذي تسلم أولئك السكان، فقد قوى سلطة «الوجهاء». وانسجم بذلك مع المجتمع العربي القائم على الحمائل والعائلات. وأدى الغاء الحكم العسكري الى اهتزاز نفوذ «الوجهاء» ومن دار في فلكهم. وأدى اهتزاز علاقة الفرد بالدولة ـ الحكم العسكري ـ الى شعور جيل الشباب بالقوة التي يمنحه اياها مجتمع ديمقراطي من ناحية، وتحول المجتمع العربي من مجتمع زراعي الى صناعي، مع ما يتبع ذلك من النواحي الاجتماعية.

وبالإضافة الى ذلك، أجبر تمرد جيل الشباب، أحياناً، المتقدمين في السن على الانضمام الى معسكر المتمردين، وجعل من الدولة هدفاً لنضالهم، إذ لم تكن الظروف جاهزة لارتباطهم بالمجتمع اليهودي والدولة بشكل سليم ومثمر، يضاف الى ذلك أن ساعدنا، من ناحيتنا، على الخروج عن الطوق بمحاولتنا كسب المتمردين «بوسائل» مختلفة.

خلال الخمسينات، كان المجتمع العربي مرتبطاً من الناحية الاقتصادية بالاقتصاد اليهودي، الذي انفتح تدريجياً أمام العرب على مصراعيه، نتيجة لهرب العمال اليدويين اليهود من العمل في مجال الأشغال اليدوية. وأدى ذلك الى نشوء طبقة ميسورة اقتصادياً، أصبح حسن سير اقتصاد الدولة متوقفاً عليها، الى حد بعيد.

٤ ـ مع الغاء الحكم العسكري، سلمت الدولة مجال الاهتمام بالقضايا العربية الى متحدثين بالعربية (من بين اليهود)، الذين اختاروا العناصر الشرسة (من بين العرب) وجعلوا منهم زعماء، من خلال تدعيم مراكزهم وقواهم للحصول على منافع مادية لهم وللمقربين منهم. وقاموا بذلك متجاهلين المشاكل الاجتماعية في الوسط العربي من ناحية، وانعدام

التخطيط للمدى البعيد بشأن خلق نموذج مواطن عربي موال للدولة من ناحيـة ثانية.

وكـانت المقاييس لتقييم العـاملين في المجال العـربي، على المستوى السياسي والعسكري وفي الشرطة وفي المجـال المدني، هي مقـاييس العقلية العـربية. ولم تـلاحظ على هؤلاء العاملين دائمـاً علائم المقـدرة على التفكير والتنفيذ بمستوى يفوق السكان الذين يفترض معـالجة مشـاكلهم، وكان ذلـك يجري بدلاً من المحافظة على مستوى التفكير المستقـل والقدرة على تحليـل الظواهر المزعجة من ناحية، ومحاولة حل المشاكل من خلال تفكير موضوعي يؤمن المصالح اليهودية ـ القومية على المدى الطويل من ناحية ثانية.

٥ ـ إن واقع لواء الشمال، حيث تعيش أكثرية عرب اسـرائيل، ومـوقعه الجغرافي ووضع السكان اليهود فيه يبرز بشكل ملموس المشاكل التي نشـأت حديثاً، وما قد ينجم عنها على المدى القريب والبعيد. واحدى الظواهر الأكثر اقلاقاً هي فقدان اليهودي لصبـره تجاه المـواطن العربي، وفي بعض الأحيـان يمكن أن نلحظ عداء، قد يـدفع بعـد تحرش بسيط الى انفجـار غير مـرغوب فيـه، وتصعب السيطرة عليـه، وتكـون لـه نتـائـج وأصـداء سلبيـة في البلد، وخصوصاً في الخـارج. (انظر قـرارات منظمـة الطلبـة العرب الجـامعيين في حيفا بشأن عدم القيام بحراسة مسـاكن الطلبـة. عندمـا سمح لهم بـدفع بـدل حراسة).

وهناك عامـل قوي يؤدي الى مضـاعفة هـذا التوتـر النفسي بين السكان اليهود، وهو اهتزاز التوازن الديمغرافي في المناطق، وهو اهتزاز يشعر بـه كل فرد (يهودي) ويخشاه.

وفي إطار هذه المـذكرة. سنشيـر الى عدد من المسـائل المعقـدة، من خلال شرح أرضيتها، ونقدم توصيات لحلها.

أما المواضيع التي ستبحث فهي:

(أ) المشكلة الديمغرافية، وظواهر القومية العربية. (ب) الزعامة العربية وانعكاساتها. (جـ) الاقتصاد والتشغيل. (د) التعليم. (هـ) تنفيذ القانون.

(أ) المشكلة الديمغرافية وظواهر القومية العربية.

١ ـ يبلغ التكاثر الطبيعي للسكان العرب في إسرائيل نحو ٥,٩٪ في السنة، مقابل تكاثر طبيعي للسكان اليهود بمعدل ١,٥٪ في السنة.

ان هذه المشكلة شديدة بشكل خاص في لواء الشمال، الذي يضم عدداً كبيراً من السكان العرب. ويبلغ عدد أولئك السكان، في منتصف ١٩٧٥، في لواء الشمال نحو ٢٥٠ ألف نسمة، بينما بلغ عدد اليهود نحو ٢٨٩ ألف نسمة. وإذا نظرنا بحسب الأقضية، نرى أنه في الجليل الغربي تبلغ نسبة العرب نحو ٦٧٪ من السكان. وفي قضاء يزراعيل (أي الناصرة) تبلغ نسبتهم نحو ٤٨٪ من السكان. وخلال سنة ١٩٧٤، زاد عدد السكان اليهود في لواء الشمال ٧٥٩ نسمة، بينما زاد عدد السكان العرب ٩٠٣٥ نسمة. وبحسب نسبة الزيادة هذه ستصل نسبة السكان العرب في هذا اللواء الى ما يزيد على ٥١٪ سنة ١٩٧٨.

ويشعر القوميون ـ وهذا تقديري أيضاً بالنسبة للسكان العرب ـ أن تكاثرهم في الجليل يكمن فيه الخطر الذي يهدد مجرد سيطرتنا على المنطقة، ويفتح المجال لدخول قوات عسكرية من الشمال الى اسرائيل، ويؤثر في تعاظم الشعور القومي لدى عرب اسرائيل واستعدادهم للمساهمة في ذلك.

٢ ـ حصل لدى السكان العرب في اسرائيل زخم قومي منذ حرب الأيام الستة. فسياسة الاتصال الحر مع الضفة الغربية وسياسة الجسور المفتوحة أدت الى تجديد اللقاء بين عرب يهودا والسامرة وفلسطينيي شرق الأردن من جهة، وعرب اسرائيل من جهة أخرى، وخلقت أساساً للوقوف بهامات مرفوعة، وخلقت أرضية لشعارات النضال القومي في اسرائيل. هذا التطور الحتمي وجد قوة دفع إضافية بسبب نتائج حرب يوم الغفران (حرب اكتوبر ـ

٧٣ ـ المترجم) وتدعم بسبب الأحداث السياسية الدولية التي تم التعبير عنها بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كحاملة للواء النضال من أجل القضية الفلسطينية.

ويتردد في الآونة الأخيرة ذكر قرار الأمم المتحدة حول حدود اسرائيل في العام ١٩٤٧ والذي بموجبه تقع أقسام كبيرة من هذه المنطقة خارج حدود دولة اسرائيل.

ان العربي الاسرائيلي لم يعد محمولاً، فقد انتقل الى حالة التعبير عن قوميته كلامياً فقط في هذه المرحلة. وقد ظهر هذا في عدة أحداث هذه أبرزها:

(أ) في أثناء زيارة رئيس الحكومة الى الناصرة قبل سنة.

(ب) الهتاف بشعارات تأييد لمنظمة التحرير الفلسطينية أثناء المظاهرات والمناسبات الأخرى.

(جـ) موقف الطلبة العرب في الجامعات من موضوع الحراسة.

(د) التعبير عن الشعور القومي عن طريق الاقتراع في انتخابات بلدية الناصرة التي جرت في ٩ ـ ١٢ ـ ١٩٧٥.

(هـ) تطوع سكان الناصرة غير العادي وغير المتوقع لمساعدة بلدية الناصرة عن طريق تسديد أقساط مستعجلة لخزينة البلد الأمر الذي يساعد حزب ركاح (القائمة الشيوعية الجديدة) في هذه المرحلة على تسيير ادارة المدينة.

(و) اجتماع احتجاجي شعبي في قرية سخنين بتاريخ ١٤ ـ ١٢ ـ ٧٥ وقد أعلن رئيس بلدية طمرة في هذا الاجتماع ان على اسرائيل أن تخشى عرب اسرائيل أكثر مما تخشى العرب خارج حدودها.

(ز) القرارات التي اتخذت خلال اجتماع عقد في الناصرة يوم السبت

الموافق ٦ - ٣ - ٧٦ وهي :

١ - اعلان الاضراب العام لدى سكان اسرائيل العرب ليوم واحد، وإعطاء ذلك اليوم اسم «اضراب يوم الأرض».

٢ - دعوة السكان العرب الى عدم الاكتفاء بالاحتجاج السلبي بل «الاحتجاج عن طريق النضال وانهاء النضال فقط في آخر الطريق. . .».

٣ - الاضراب عن الطعام أمام مباني الأمم المتحدة بأسلوب الاحتجاج نفسه الذي يجري بشأن سجناء صهيون.

٤ - «الحكومة بيتها من الزجاج وعلينا أن نكون أول من يرمي الحجارة لتحطيم هذا البيت».

٥ - قول رئيس بلدية معليا - مسعد قسيس - المعتبر شخصاً «إيجابياً»، وهو نائب سابق لقائمة تابعة للمعراخ (في اجتماع الناصرة المذكور): «. . . ما هو حق اسرائيل المعنوي في مصادرة الأراضي في هذه المنطقة التي تقع بموجب قرار التقسيم من عام ١٩٤٧، خارج دولة إسرائيل».

هذه الظاهرة تعتبر جديدة نسبياً وتشير الى رغبة جزء هام من السكان في الاحتجاج ضد الحكم الاسرائيلي ولو بنبرة منخفضة. وهذه حقيقة خطيرة جداً بالمقارنة مع سلوكهم في الماضي.

ان عهد انتصارات الفلسطينيين في العالم ومكاسب القوميين في اسرائيل تشير الى اتجاه نحو مواجهة مكشوفة مع المشكلة العربية في اسرائيل. وهذا الاتجاه سوف يتعاظم طالما انفرد حزب ركاح (القائمة الشيوعية الجديدة) في حمل لواء معارضة مؤسسة الحكم الاسرائيلية. (يجب أن نذكر أن كلمة «اسرائيل» لا تظهر في اسم ركاح وليست هذه مجرد صدفة).

٣ - توقعات

(أ) تكاثر السكان العرب (من ١٥٠,٠٠٠ نسمة سنة ١٩٤٨ الى ما

يـزيد على ٤٣٠,٠٠٠ نسمـة سنة ١٩٧٥) يعـطي القوميين العـرب احسـاسـاً بالقوة والأمل، بأن الوقت يعمل لصالحهم، وخصوصـاً في منطقـة مثل شمـال البلاد، حيث يشكل الوجود العربي الكثيف في مناطق متصلة، حاجزاً مانعاً.

(ب) ان سيـطرة حـزب ركـاح على مؤسسـات «شبـه حكـوميـة» مثـل المجالس المحلية ليعطي قاعدة قانونية لنشاطات قومية سياسية علنيـة وسريـة، من خلال تبني الأساليب التي كـانت متّبعة في التجمعـات السكانيـة اليهوديـة «قبل الدولة» وكذلك أساليب شيـوعية مـألوفـة في العالم. وفي الـواقع تـوجد اليـوم عـدد من المجـالس المحليـة تحت سيـطرة ركـاح وفي رأينـا أن هـذه المجالس غير مستغلة، عن سابق تعمد، للقيـام بالـوظائف المـذكورة، بسبب غياب كوادر كافية للتنفيذ، وبسبب فقدان الامكانات التنظيمية الكافية لـذلك. وفي رأينا أن عدد الطلاب في جامعـات أوروبا الشـرقية الحـاصلين على منح من ركاح يتزايد باستمرار بغرض إعداد هذه الكوادر.

(ج) هناك خوف جدي من أنه خلال العقد المقبل ستنفذ عملية استيلاء عربية من الناحية الديمغرافية والسياسية على عكا ومنطقة الناصرة.

(د) يجب الأخـذ في الحسبان أنـه في احدى مـراحل العمـل السياسي المعـادي قد يـطلب بشكل أو بـآخر اجـراء استفتاء عـام في شمال البـلاد في الوقت الذي يشكل فيه العرب أغلبية السكان.

هذا العمل سيحدث بتوجيه من الخارج، ولكن القائمين به قد يكونـون يساريين - قوميين من أوساط السكان العرب في الدولة.

(هـ) قـد يحدث في مـرحلة معينـة تنفيـذ عمـل استفـزازي مخـطط لـه بواسطة ركاح (أو بواسطة عرب) بغـرض حدوث هيجـان لدى عنـاصـر يهـودية غير منضبطة، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي الى عرض موضوع عرب اسرائيل على المنابر الدولية، ومن شأنه أيضـاً أن يدفـع المعتدلين من عـرب اسرائيـل الى حالة يضطرون فيها الى تأييد خطوات متطرفة داخل الدولة وخارجها.

(و) بدأت تظهر عمليات منظمة لشراء العرب عقارات في مناطق الشمال، ويظهر ذلك بشكل بارز في الناصرة العليا وعكا ويظهر بشكل مثير للقلق في مرج ابن عامر.

٤ ـ اقتراحات

(أ) يجب توسيع وتعميق الاستيطان اليهودي في المناطق التي تبرز فيها الكثافة السكانية العربية ويزيد فيها عدد السكان العرب على عدد السكان اليهود بدرجة تزيد عن الحد المقبول، ويجب درس امكانية تخفيف عدد السكان في التجمعات السكانية العربية القائمة.

يجب توجيه اهتمام خاص الى مناطق الحدود في شمال غرب الدولة ومنطقة الناصرة. التوجه وسرعة التنفيذ يجب أن يخرج عن اطار المألوف الذي كان متبعاً تجاه هذه المواضيع حتى الآن. وبموازاة ذلك يجب تطبيق قوانين الدولة بغرض تقييد «عمليات الاستيطان» العربية في أقسام الدولة المختلفة.

(ب) يجب في الوقت نفسه الاهتمام بإيجاد زعامة يهودية قوية وثابتة في الناصرة العليا (اليهودية) وفي عكا تكون قادرة على مواجهة التطورات الخطيرة المتوقعة.

(ج) اتباع سياسة الثواب والعقاب (ضمن القانون) بالنسبة الى القادة والقرى الذين يتكلمون بأية صورة معادية للدولة وللصهيونية.

(د) من أجل تجريد حزب ركاح من «الريادة» في حمل لواء النضال القومي وتمثيل عرب اسرائيل، ولإعطاء متنفس للجالسين على «الحافة» يجب تأسيس حزب شقيق لحزب العمل يكون التركيز فيه على مبادىء المساواة والانسانيات والثقافة واللغة والنضال الاجتماعي ورفع علم السلام في المنطقة. وعلى المؤسسات الحكومية أن تهيء نفسها من أجل أن يكون لها وجود خفي في هذا الحزب وأن تتحكم فيه.

(هـ) يجب اتباع سياسة تنسيق كامل ومطلق بين الوزارات والهستدروت والسلطات المحلية خصوصاً في المستوى التنفيذي على الطبيعة والاصرار على التنفيذ بصورة صارمة.

(و) بذل كل جهد ممكن من أجل التوصل الى وفاق قومي بين كل الأحزاب الصهيونية حول موضوع عرب اسرائيل بغرض اخراج هذا الموضوع عن مجال الصراعات السياسية الداخلية.

(ب) الزعامة العربية وتأثيرها

١ ـ المجتمع اليهودي الديمقراطي والذي وجد السكان العرب الذين بقوا في البلاد أنفسهم فيه بعد قيام الدولة لم يستوعبهم سواء من ناحية التقاليد أو الانفتاح. واليهود الذين أوكلت اليهم مهمة معالجة شؤون هؤلاء السكان العرب وكان هدفهم جعل هؤلاء السكان مخلصين لمجتمع اليهود الذي قام في دولتهم لم ينجحوا في ذلك. بل بالعكس، هناك دلائل واضحة على أن كل الخطوات اتبعت من أجل الحفاظ على طابعهم الخاص وعزلهم من جهة وعلى محاولات ترمي الى كسب اهتمام انتقائي ومعاملة خاصة ومميزة من جهة أخرى.

ومع ذلك سمعت التصريحات صباحاً ومساء حول المساواة والاندماج وغيرذلك، ولكن الأفعال كانت مناقضة تماماً. هذه السياسة لم تأخذ في الحسبان الطبيعة العربية الشرقية السطحية غير المتعمقة والتي تتميز بعمل الخيال أكثر من عمل العقل.

التعبير الحاد لهذه السياسة المتناقضة هو «تتويج» ممثلين وزعماء للسكان العرب. حتى اليوم لا يوجد أي مسؤول عربي «ايجابي» منتخب على المستوى المحلي.

ان المجتمع العربي في اسرائيل الذي يمر بمخاض الانتقال من

مجتمع زراعي ذي أسس قائمة منذ أجيال الى مجتمع صناعي، والى تحطيم الاطارات العائلية والدينية والاجتماعية، يعاني بالاضافة الى ذلك من الضياع القومي.

هذا الضياع يتميز بالخطورة ويضع كل فرد أمام قرارات حاسمة وأحياناً مصيرية. ان مجتمع فترة الانتقال في هذه المراحل في حاجة الى قادة قادرين على أن يكونوا نموذجاً شخصياً وأن يتملكوا الصفات التي تمكنهم من الاجابة عن أسئلة المرتبكين المخلصين، ومن سوقهم الى الحل المعقول على الصعيد الشعبي والشخصي.

ولكن كما ذكرنا في المقدمة لم يكن هذا الاختبار هو الأساس للحصول على شهادة «زعيم» بل ان الشخص العنيف صاحب السطوة الذي قلما يكون انساناً مستقيماً يصبح ممثلاً لرافعي لواء عرب اسرائيل.

٢ - الجيل الثاني الذي تربى في المجتمع الاسرائيلي ويحاول أن يكتسب ولو بصورة سطحية فقط أساليب الحياة الاسرائيلية لا يستطيع أن يتقبل هؤلاء الزعماء. لقد كان من الممكن ملاحظة علامات على ذلك منذ عشر سنين، وكان من الواجب على المسؤولين المختصين بهذه المواضيع أن يخلقوا شخصيات مقبولة بالنسبة للجيل الثاني وأن يخلقوا مع ذلك اخلاصاً تجاه الدولة. وفي رأينا أنه اذا كان هذا التقصير قد نجم عن عدم مقدرة أو عن تعمد، فإن نتائج ذلك من الممكن أن تنطوي على كارثة. إن أحد الدوافع الأساسية للتردي الواقع اليوم هو التحفظ على هذه الزعامة.

٣ - توقعات

(أ) الصراع بين ذوي المناصب المختلفة والجيل المتمرد سوف يتصاعد بينما سيكون الأوائل معتمدين في الأساس على مؤسسات الحكم الهستدروتية والحزبية.

(ب) ستكون النتيجة أن الصراع على السلطة والمنصب سيتحول الى صراع ضد مؤسسة الحكم والدولة، والأكثرية ستنتقل باستمرار الى جانب المتمردين.

(جـ) العناصر المعادية للدولة سوف تستغل بشكل واسع هذه الأزمة الاجتماعية وسوف تجيرها لمصالحها. واصداء ذلك سوف تستغل من على منابر مختلفة في الداخل والخارج كنضال اجتماعي وقومي.

(د) في رأينا، اذا استمر التدهور على الوتيرة الحالية، فسوف ينجح حزب ركاح بعشرة نواب في الانتخابات المقبلة للكنيست.

٤ ـ اقتراحات

(أ) يجب اتخاذ خطوات جريئة يجري بموجبها تغيير معظم العاملين في القطاع العربي التابعين للأجهزة الحكومية والشرطة والأحزاب بما في ذلك واضعي السياسة.

(ب) يجب التخلص من «الزعامة» العربية التي لا تمثل السكان العرب والتأكيد على عدم تضامن الحكم معهم.

(ج) على أولئك الذين توكل اليهم المهمة البدء مباشرة ببناء شخصيات جديدة ذات مستوى ثقافي واستقامة شخصية تتمتع بمواهب قيادية، ومساعدتها على تأسيس حزب عربي كما ذكرنا أعلاه.

(د) يجب تعيين لجنة خاصة (من الاستخبارات العامة) مهمتها تقصي السلوك الشخصي لقادة ركاح والشخصيات السلبية الأخرى ونشر هذه المعلومات أمام جمهور ناخبيهم.

(هـ) اتخاذ خطوات فردية ضد كل شخصية سلبية في كل المؤسسات والمستويات.

(جـ) الاقتصاد والعمل

١ ـ النمو والرخاء الاقتصادي اللذان مرا على سكان الدولة خلال سنوات وجودها شملا أيضاً السكان العرب. وفي الحقيقة يبرز هذا الأمر بشكل أوضح في ضوء كون معظم الذين بقوا في حدود الدولة بعد معارك ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ هم من الفقراء. إن الفارق الشاسع بين العرض والطلب على الأيدي العاملة في الاقتصاد بكل فروعه وخاصة فرع البناء وورش اصلاح السيارات وكل الأعمال اليدوية بشكل عام، والتبعية التي تميز فروع اقتصاد كثيرة مرتبطة بهذه الأيدي العامة، أعطت شعوراً بالقوة لعرب اسرائيل الأمر الذي استغلته الجهات المهتمة بذلك.

٢ ـ المساعدة المتبادلة المألوفة حتى اليوم بين أفراد العائلة، وعدم وجود وعي حول توظيف المال في مشاريع انتاجية أكبر من المشاريع متوسطة الحجم، أدت الى تراكم فائض أموال نقدية كبيرة جداً في أيدي السكان العرب. هذه الأموال تخفى عن سلطات الضرائب المختلفة. ويجب التأكيد على أنه بينما يشكل عدد السكان العرب ١٤٪ ولا تحصل لديهم ظاهرة «اقتلاع» الأيدي العاملة عن طريق التجنيد للخدمة العسكرية لمدة ٣ سنوات، فإن مجموع الضرائب التي يدفعها السكان العرب هو ١,٥٪ فقط. وهكذا يؤمن السكان العرب بصورة أساسية، مستقبلهم الاقتصادي. كذلك فإن تركيب الأعمار (تصف السكان شباب عامل) له مدلول هام: دخل عال لكل عائلة. وبالإضافة الى ذلك هناك منح حكومية (التأمين الوطني) للعائلات التي يزيد عدد أولادها على الاثنين (٩٥٪ من العائلات العربية في اسرائيل).

٣ ـ هناك موضوع بارز بشكل خاص في المنطقة الشمالية، بسبب التجمع السكاني العربي الكبير فيها، وهو المشاريع التي تقيمها الدولة في المنطقة وتوظف لها أموالاً ضخمة بغرض زيادة عدد السكان اليهود. هذه المشاريع تجعل عدد العمال العرب فيها يصل الى نسبة تتراوح بين ٢٥٪ و ٥٠٪.

الطمأنينة الاجتماعية والاقتصادية هذه، التي تحرر الفرد والعائلة من

القلق والهموم اليومية تمنحهم من حيث يدرون أو لا يدرون متسعاً من الوقت للتفكير في أمور «اجتماعية ـ قومية». وهذه الأفكار تستغلها عناصر معادية لتوليد ظواهر الغليان والتذمر على أنواعها ولخلق شعور بالقوة وبوجود امكانات الاحتجاج الشعبي.

٤ ـ توقعات

(أ) تجميع الأموال وخاصة السوداء منها (المهربة من الضريبة ـ المترجم) في أيد غير مرغوب فيها، وهي تقدر بمئات الملايين، من الممكن، بالاضافة الى الضرر الاقتصادي الناجم عن ذلك، أن تشكل قاعدة للتبرعات التي تجمعها عناصر معادية (ذكرنا كيف جرى التطوع لدفع الأقساط لبلدية الناصرة).

(ب) كثرة عدد العمال العرب في المصانع والمشاريع قد يؤدي الى الاسراع في عملية الاحتكاك بين اليهود والعرب، ومن شأن ذلك أن يتطور الى اصطدامات غير مسيطر عليها. وبالاضافة الى ذلك هناك امكانية سيطرة حزب «ركاح» على لجان العمال.

(جـ) ان تركيز السيطرة على قطاعات اقتصادية معينة يمكن العرب من الاضراب أو عدم التعاون مما سيؤدي الى أضرار اقتصادية بالغة للدولة، وعلى الخصوص أضرار سياسية عن طريق ابراز وزنهم كعامل مهم في اقتصاد الدولة.

(د) هناك مصاعب آخذة في التفاقم بالنسبة لاستيعاب مستخدمين يهود خاصة في الشمال حيث هناك اهتمام خاص بزيادة عدد السكان اليهود على أنواعهم.

٥ ـ اقتراحات

(أ) يجب وضع اتفاقات مناسبة مع كل ادارة مشروع أو معمل خاضع لـ «قانون استثمار رأس المال» في المناطق الحساسة (كما ذكرنا أعلاه) بحيث

لا يزيد عدد العمال العرب فيها على نسبة ٢٠٪.

(ب) على سلطة الضرائب اتخاذ خطوات سريعة لتعميق الجباية ولتنفيذها بصورة صارمة وبدون أي استثناء.

(جـ) يجب التوصل الى تسوية مع مصادر التسويق المركزية للمواد الاستهلاكية على أنواعها، يكون من شأنها تحييد الوكلاء العرب ووضع العقبات أمامهم خاصة في منطقة الشمال بغرض منع اعتماد السكان اليهود على الوكلاء العرب وخاصة في أوقات الطوارىء.

(د) على الحكومة ايجاد طريقة يمكن بواسطتها تجنب اعطاء المنح للعائلات عديدة الأولاد لدى السكان العرب أما بواسطة ربط المنحة بالوضع الاقتصادي أو بواسطة مصادرة هذه الأموال من التأمين الوطني وإعطائها للوكالة اليهودية أو المنظمة الصهيونية بحيث تكون مخصصة لليهود فقط.

(هـ) العمل على ايجاد وضع تهتم فيه المؤسسات المركزية بتفضيل ترسيخ الاطارات والأفراد اليهود مكان العرب.

(د) التعليم

١ ـ ان أهم وأبرز تغيير في مفاهيم وسلوك السكان العرب يعود الى تعميق وتوسيع شبكة التعليم في وسطهم.

ان التحسن في الوضع الاقتصادي والأمن الاجتماعي لدى الفرد والعائلة، دفع عدداً كبيراً من الطلبة الى المدارس الثانوية ومعاهد الدراسة العليا. هذا الاتجاه دفع الى تطبيق رسم التعليم المتدرج (٦٦٪) في المدارس الثانوية.. ان الدعم المالي وسياسة المنح لطلبة الجامعات اللذين خلقا مجتمعاً طالبياً مثقفاً ولو بصورة سطحية وريفية، يشكلان «الخميرة» لكل حركة قومية وخاصة في مثل ظروف عرب اسرائيل. هذا هو الوضع الحاصل (انظر أحداث الجامعات). لقد كان من الواجب على المسؤولين عن هذا القطاع توقع هذه الاحتمالات. ومن الواجب منذ الآن فصاعداً التخطيط الدقيق

من أجل التنسيق بين الأجهزة المختلفة ومن أجل القيام بالنشاطات الواجبة بالنسبة لمجموعة الخريجين على أنواعهم.

٢ - وضع أسس تفضيلية (علامات منخفضة) لقبول الطلبة العرب في الجامعات والمعاهد العليا على أنواعها والمواضيع التي يوجهون اليها (الآداب، العلوم السياسية، علم الاجتماع) وعدم وجود اهتمام وامكانات لاستيعاب الخريجين في العمل، كل ذلك أدى الى وجود مجموعة كبيرة من «المثقفين» المتذمرين والذين لديهم حاجة نفسية عميقة تدفعهم الى البحث عن متنفس لتذمرهم. هذا الأمر يجد تعبيراً له في معاداة مؤسسة الحكم الاسرائيلية والدولة.

هذه المشكلة تتخذ طابعاً خطيراً جداً اذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن عدد الخريجين يزيد على ٥٧٠٠ خريج وأن عدد الطلبة العرب في المعاهد العليا اليوم يصل الى حوالي ٢٥٠٠ طالباً.

٣ - توقعات

(أ) بسبب صعوبة الاعتراف موضوعياً بالتخلف المهني سوف يتعمق الشعور بالتذمر؛ وفي الوقت نفسه سوف يزداد باستمرار عدد الخريجين المتذمرين.

(ب) عند أخذ الطبيعة الشرقية بعين الاعتبار وبسبب الديناميكية الاجتماعية، سينتقل هذا المجتمع من الاتجاه نحو الداخل الى التعبير نحو الخارج، ويجب أن لا نتجاهل امكانات التنظيم والانتقال الى العنف والدلائل الأولية على ذلك أصبحت قائمة.

(جـ) رفع لواء النضال الاجتماعي والقومي والتأييد العلني لمنظمة التحرير الفلسطينية وحتى لمنظمات أكثر تطرفاً.

(د) هناك امكانية معقولة لنجاح بعض القادة على أساس انهم أبناء المجتمع المحلي التقدمي الذي نشأوا فيه. وما من شك في أن بعض هؤلاء

سيتمتعون بصفات القائد.

(هـ) يجب عدم تجاهل الصعوبات التي ستواجه الحكومة عندما تريد اتخاذ التدابير ضدهم في الأوقات الحرجة وذلك بسبب مستواهم الشخصي.

٤ ـ اقتراحات

(أ) يجب الاحتفاظ بأسس خاصة بالنسبة لليهود ازاء قبول الطلبة في المعاهد العليا وكذلك بالنسبة لإعطاء المنح الدراسية.

المحافظة على هذه القواعد سينشأ عنها انتقاء طبيعي وستقلل بشكل كبير عدد الطلاب، وهذا سيقلل عدد الخريجين ذوي المستوى المنخفض مما سيسهل استيعابهم في العمل بعد انهاء دراستهم.

(ب) يجب تشجيع توجيه الطلبة الى المواضيع الفنية والمواضيع الأساسية وعلوم الطبيعة. فمثل هذه المواضيع لا تعطي الا القليل من الوقت للإنشغال بالقومية، وفي الوقت نفسه مستوى الرسوب فيها مرتفع.

(ج) تسهيل السفر الى خارج البلاد بغرض التعليم.ووضع العراقيل أمام عودتهم وانخراطهم في العمل. فمثل هذه السياسة من شأنها أن تشجع هجرتهم.

(د) يجب اتخاذ تدابير صارمة في كل المستويات ضد المحرضين على أنواعهم في أوساط المعاهد العليا.

(هـ) إعداد خطة مسبقة لاستيعاب القسم الأكبر من الخريجين حسب مؤهلاتهم. هذه السياسة من الممكن تطبيقها حسب المهلة (عدة سنوات) التي بها يخطط المنفذون لخطواتهم.

(هـ) تطبيق القانون

١ ـ ان وجود القانون وتطبيقه بواسطة الحكم يعبر عن المصلحة الشعبية للمجتمع وتفضيلها على مصلحة الفرد. وفي اطار هذا الموضوع يكون

الحرص على الأمن الداخلي بكل ما ينطوي عليه من معاني المصلحة القومية والمصلحة اليهودية العليا عامة.

ان تطبيق قوانين الدولة في مجتمع يجري بناؤه كما هو الحال في اسرائيل انما هو مشكلة يجب من أجل حلها اتخاذ جانب من اللين والحذر ومنتهى الحكمة. ولكن الى جانب ذلك على السلطة التنفيذية العاملة في القطاع العربي أن تؤكد على مراعاة القانون وتطبيقه ومنع التدهور.

لقد ذكرنا أعلاه كيف اتبعت وسائل متناقضة تجاه هؤلاء السكان العرب. فهؤلاء السكان أصبحوا يعون استناداً الى وقائع أنه من الممكن خرق القانون بواسطة اقامة علاقات مناسبة مع أشخاص مناسبين. ان هذه العادات مع ما تسببه من ضرر بالمصلحة العامة بشكل عام، فإنها تظهر علامات ضعف في الحكم الاسرائيلي في أعين عرب اسرائيل مما، يجعلهم يتوقعون المزيد من التنازلات فيما اذا مارسوا المزيد من الضغط، والنماذج على ذلك كثيرة.

٢ - من الصعب ايجاد تفسير مقبول للجباية المنخفضة للضرائب، لدى كل طبقات السكان العرب بالمقارنة مع ما يجبى من السكان اليهود. وهكذا هو الحال بالنسبة للبناء غير القانوني. وعدم مراعاة القانون في هذا المجال قد يؤدي الى أضرار خطيرة بالنسبة للأمن الداخلي في مناطق واسعة في شمال البلاد وكذلك في المنطقة الوسطى منها.

يجب أن نتذكر وأن نتعلم من تجارب دول أخرى ذات أقليات قومية أن الليبرالية الزائدة وغير المراقبة لا تؤدي الى النتائج المرجوة بل الى العكس. وبصورة خاصة تنطبق هذه القاعدة على مجتمع مثل الأقلية العربية في اسرائيل كما فصلنا أعلاه.

٣ - توقعات

(أ) في مجتمع قائم على القانون، تنتج عن عدم مراعاة القانون

وبصورة علنية، ديناميكية لمخالفة القانون يتطلب لجم تدهورها جهنوداً مضنية فيما بعد.

(ب) يجب لفت الانتباه الى أنه مع الوقت قد يؤيد يهـود كثيرون بسبب دوافع مختلفة مجتمعاً يخالف القانون. واذا مـا حاول الحكم جعلهم يـطبقون القانون سيتهمونه بـ «الاضطهاد».

(جـ) يجب عدم تجاهل عدد السكان العرب ـ ١٤٪ اذ أن مخالفة هـذه النسبة من السكان للقانون قد تتخذ طابع «التمرد».

٤ ـ اقتراحات

(أ) يجب ارشاد كل العاملين في القطاع العربي الى عدم التغـاضي عن مخالفة القوانين وعلى وجوب تطبيقها كما جاءت في النص الحرفي.

(ب) يجب اتخـاذ تدابيـر قضـائيـة ضـد مـوظفي الـدولـة والمؤسسـات الأخرى الذين لا يؤدون واجبهم في تنفيذ القوانين.

(جـ) تقديم دعاوي وتنفيذ عدد من الأحكام خاصة في مواضيـع ضريبـة الدخل والبناء غير القانوني لكي يـرتدع السكـان العرب عن التفكيـر بإمكـانية التهرب من السلطات القانونية.

(د) يجب تعزيز وجـود قوات الشـرطة والأمن على أنـواعها في الشـارع العربي من أجل ردع أوسـاط متطرفـة و«محايـدة» قد تنجـر الى أعمال التمـرد والمظاهرات.

بعد ٣٠ آذار/مارس اقتراح رقم ٢

١ ـ كتتمة لمذكرتي السابقة وبموجب التـطورات وأحداث يـوم الثلاثين من آذار/مارس وما أعقبه أرى من واجبي تحليل ذلك وتقييمه وعرض التوقعات المحتملة في المستقبل القريب وعدد من المقترحـات التي أرغب في تنفيذهـا عاجلاً.

النجاح الكلي للإضراب في القطاع العربي هو حقيقة يجب درسها جيداً وأخذها حقيقة قائمة وكُمنطلق لكل بحث في هذا الموضوع.

ان نجاح الاضراب وحجمه كان لهما عدة عوامل يجب الوقوف عليها وهي:

(أ) لا توجد أية امكانية لفحص نسبة أو عدد العرب الذين حضروا للعمل خارج أماكن سكناهم.

مع ذلك فإنه داخل القرى والمدينتين، التي يتركز فيها السكان العرب كان الاضراب كاملاً.

(ب) سيطرة منظمي الاضراب على مؤسسات التعليم بكل أنواعها في القطاع العربي.

(جـ) حملة الاقناع بضرورة الاضراب بدأت بواسطة مصادر «رسمية» كرؤساء مجالس محلية وشخصيات عامة تعتبر عادة معتدلة ومتعاونة مع مؤسسة الحكم الاسرائيلية. يجب الاعتراف بأن هذه الأوساط فعلت ما فعلته بتأثير الانطباع أن موظفين حكوميين كبار يقفون الى جانبهم، وأن «تدخل» السكان العرب سيقنع الحكومة بأن تمتنع عن تنفيذ المصادرة «مصادرة الأراضي». وقد تنافسوا في هذه المناسبة على اطلاق التصريحات المتطرفة مفترضين أن من يكون كلامه أقوى ستكون مكاسبه أكبر.

(د) في مرحلة متأخرة جداً وبعد أن اكتشفوا خطأهم لم يستطع الزعماء الرسميون العرب - أي رؤساء المجالس المحلية وغيرهم - التراجع، اذ أن التدهور الذي تسببوا فيه جرفهم هم أيضاً.

ان محاولات اليهود الحيلولة دون الاضراب لم تنجح. وأدت الى تباين عميق بين السكان العرب وممثليهم المنتخبين بمجرد حدوث الاضراب والأحداث التي رافقته.

(هـ) قام منظمو الاضراب بحملة ارهاب شديدة ضد مخالفي الاضراب وصلت الى حد استعمال العنف ونجحوا في ذلك. ان وعود مؤسسة الحكم بتأمين حماية كاملة لكل من يخالف الاضراب لم تكن موثوقاً بها وامتنع السكان عن الاعتماد عليها.

٢ ـ مع أن الاضراب بكل ما سبقه ورافقه خطط له ونظم ونفذ على يد ركاح، حرص الحزب على عدم إبراز نفسه في هذا الدور بغرض الامساك بزمام القيادة عملياً في أوساط القوميين، وحتى يصبح في الوقت نفسه القائد لكل نشاط قومي وعربي في أوساط عرب اسرائيل في المستقبل.

يجب الاهتام بهذا الموضوع ودراسة دوافعه وعناصره:

(أ) ان حركة منظمة التحرير الفلسطينية التي تشكل حركة تحرر قومي لعرب فلسطين لم ترسم في برنامجها أهدافاً اجتماعية، فعدا جناح صغير وهامشي ـ جماعة جورج حبش ـ لا يوجد أي جناح يهتم بهذه المواضيع جدياً أو يشملها بتصريحاته.

(ب) دفع جماهير غير منتمية الى الحزب الى صدام علني وعنيف مع قوات الأمن والتسبب بأكبر عدد ممكن من الاصابات بين الجمهور، بغرض خلق مشاعر الحقد والنقمة لدى السكان والتوتر لدى الحكم تجاه السكان المعادين.

(ج) هناك عملية تقليدية ومألوفة لدى حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وهي الربط بين النضال القومي والاجتماعي، مما يساعد على تجنيد الجماهير لمتطلبات النضال وعلى تأييد الرأي العام العالمي. ومن البديهي أن هناك دولاً وكذلك دولة عظمى ذات توجه معين تجد نفسها متورطة ولو على سبيل الدعاية فقط في كل نضال يجري تحت هذه الشعارات.

في ضوء ما تقدم يجب توجيه الاهتمام الجدي لهذه الاتجاهات وللظواهر التي قد تنجم عن خلق هذا التجانس بين الرأي العام العالمي

والسكان العرب. لذلك سينستمر ركاح في اعتقادي باتخاذ مثل هذه الخطوات خصوصاً تحت غطاء قومي.

٣ ـ يجب التأكيد على عدة مكاسب هامة للقومية العربية التي يقودها ركاح كنتيجة ليوم الاضراب وللمشاغبات التي سبقته ووقعت فيه:

(أ) حدث لأول مرة منذ قيام الدولة وضع، تضامن فيه كل السكان العرب في اسرائيل عن وعي وبصورة علنية ضد طلب الحكومة ومع طلب سياسي ـ قومي عربي متطرف، واستعداد نفسي للعمل من أجل تحقيقه. بالاضافة الى ذلك فإن معظم السكان العرب أيدوا ويؤيدون الآن أيضاً من قاموا بأعمال الشغب وهاجموا قوات الأمن وهم يتضامنون معهم علناً ويصرحون بذلك علناً ويصرحون بذلك على الملأ.

(ب) عدد كبير من المجالس المحلية ورؤسائها استعملوا كوسائل وأدوات من أجل تطوير وتسيير النضال؛ وحتى أولئك الرؤساء الذين لم ينضموا الى المتطرفين في المرحلة الأخيرة بفعل الضغوط لم يعلنوا عن معارضتهم للإضراب بل طلبوا تأجيله لفترة ما، بغرض استخدام التهديد بالاضراب كوسيلة ضغط على الحكومة كي تخضع لمطالبهم.

(ج) نجح القوميون وحزب ركاح في تحريض وتوريط الجماهير في صدام عنيف مع قوات الأمن، مما أدى الى خلق رواسب عميقة وخطيرة لفترة طويلة. ومما يدل على أن المنفذين نجحوا في التخطيط الدقيق أنه رغم الهيجان الذي أصاب الجمهور نجح المخططون في اخراج المنظمين من الاصطدام العنيف وفي المحافظة على سلامتهم الجسدية وكذلك من الاعتقالات التي أعقبت الصدام.

(د) ان أعمال العنف العلنية على الرغم من النتائج المريرة التي جلبتها للسكان فإنها ملأتهم عزة وكبرياء. انهم يعتزون بأنهم كانت لديهم الشجاعة للتصادم مع القوات الرسمية للدولة. ويجب الا ننسى أن مثل هذا الاحساس لدى سكان مثل عرب اسرائيل وفي الجو الذي يعشيون فيه، هو احساس

يعطي امكانات كبيرة لإخصائيّي الدعـاية من أجـل ابراز «الكبـرياء الجـريحة» لعرب اسرائيل.

(هـ) لقد برزت القوة السياسية التي يملكها القوميون العرب. تلك القوة التي يعمل حزب ركاح على ابرازها لخدمة أهدافـه ومعاركـه السياسيـة المقبلة كما بينا أعلاه.

(و) لقد أدى الاضراب وأعمـال العنف الى عزل تلك الـزعامـة العربيـة الرسمية «المنتخبة» ورؤساء المجالس المحلية الذين لم ينضموا الى الاضراب أو اقترحوا تأجيله. لأن ذلك الاضراب جرى بصورة كاملة ضـد قرارهم الـذي اتخـذ في اجتماع شفـا عمـرو. بهـذا جـرى تسليم الجمهـور العـربي النشط وخاصة الشباب فيه الى أيدي ركاح ومعاضديه القوميين.

هنا لابد من التساؤل هل كان من الحكمة السياسيّة على المدى الطويل تـوجيه الضغط الى رؤسـاء المجـالس المحليـة في اجتمـاع شفـا عمـرو لكي يتصرفوا كما تصرفوا. تجب دراسة هذا الموضوع بكل تأكيد واتخـاذ القرارات المناسبة. إن النجاح التاريخي الذي حققه المنظمون وما يمثلونه هو التوحيـد المطلق لعرب اسرائيل الذي تم في «يوم الأرض» وكذلك الهـوة العميقة التي نجحوا في ايجادها كنتيجة لذلك بين السكان اليهود وبين السكان العرب. ان هذه الهوة نتج وسينتج عنها انعكاسات حادة سـواء على صعيد السكـان اليهود أو العرب. وما من شك في أن جهات معادية ستستغل ذلك الأمر.

(ز) ترك الاضراب انطباعاً قوياً لدى العامل ومؤسسـات الخدمـات، بأن حسن سيـر الاقتصاد يعتمـد على الأيدي العـاملة العربيـة. وفي الوقت نفسـه أثبت السكان العرب حيويتهم بالنسبة للإقتصاد الذي يـديره يهـود. هذا الأمـر أيضاً يستغل في المستقبل بغرض خلق مشاعر «الكرامة العربية» التي لابـد أن عرب اسرائيل سيستثمرونها وسيستغلونها.

توقعات:

(أ) الـظروف والمعطيـات التي تكونت في «يـوم الأرض» وبعده تعـطي

حزب ركاح والقوميين امكانات كبيرة لإثارة الشغب في الدولة ولخلق عدم الاستقرار والتوترات الطائفية. ويبدو بديهياً انهم سيعودون الى استخدام التكتيك نفسه والشعارات نفسها بغرض الهاب حماس الجماهير وإخراجها الى الشارع كل وقت يريدون.

(ب) سوف تتعزز حملة التخويف فتصل الى التهديد واستعمال القوة ضد العرب المتعاونين مع السلطة بغرض إسكات أي معارضة أو اجهاض أي أصوات معتدلة.

(ج) في ضوء الأصداء التي خلقتها الاصطدامات الأخيرة في الشارع العربي سوف تدفع الجماهير الى الشارع لغرض واضح: الاصطدام مع قوات الأمن والعمل على وقوع أكبر عدد من الاصابات لدى المواطنين من أجل خلق روح الثأر لدى السكان تجاه قوات الأمن ومن أجل حدوث أصداء في العالم حول عدم الاستقرار في اسرائيل واضطهاد السلطات الاسرائيلية المحتلة للسكان العرب.

(د) الاصطدامات الأخيرة ستقوي شعور تضامن عرب اسرائيل مع المتضررين. وهذا سيخلق منافذ للدخول الى أوساط كانت مترددة حتى الآن في الوقوف الى جانب المناضلين.

وبصورة عامة فإن مثل هذه النشاطات سيؤدي الى التطرف وتدهور الوضع. ويجب التذكير بأن النظرية السائدة لدى هذه الأوساط تقول أن الوضع الحالي سيء بالنسبة لعرب اسرائيل وفقط في حالة عدم الاستقرار الشامل في الدولة هناك امكانية للتغيير، وعلى المدى الطويل وربما على المدى المنظور قد يحدث تفكك اسرائيل من الداخل فتتحول تدريجياً الى دولة فلسطينية.

(هـ) يجب أن نأخذ بعين الاعتبار، كأمر بديهي، ان منظمة التحرير الفلسطينية أو قسماً ممن يشكلونها سيعمل على تحريك عمليات التطرف هذه

مع أن التحريك على الطبيعة سيقوم به ركاح الـذي سيعمل أعضـاؤه من وراء الستـار وبصورة غيـر منظورة. وسيتـركز الثقـل الأسـاسي لهـذه الأعمـال على القوميين العرب من بين السكان العرب في اسرائيل، وخاصة طبقات المثقفين الذين يتوقون الى العمل لإثبات «عروبتهم» واستعـدادهم للنضال ضـد الحكم الاسرائيلي.

(و) الهـوة التي خلقتها الأحـداث الأخيرة بين السكـان اليهود والسكـان العرب ستستغل كاملاً وسيبذل كل جهـد لتعميقها وتـوسيعها. يجب أن نـأخذ في الحسبان أنه من أجل تحقيق هذا الهدف ستنفذ عمليـات استفزاز من كـل نوع، بما في ذلـك الاضرابـات والمـظاهـرات وأعمـال العنف وحتى عمليـات التخريب. وفي رأيي أنه في الاصطدامات المقبلة سيجري استعمال الأسلحـة النـارية على نـطاق أوسع وذلـك لخلق تأثيـرات مـرسـومـة وخـطيـرة للخـطوة المذكورة.

(ز) هنـاك امكانيـة أيضاً لإقـامة تنـظيم قومي ذي تـوجه غـربي لغـرض الحصول على تأييد دول وأوساط معادية لليسار في العالم في كفاحهم.

(ح) سـوف تتصاعـد عملية السيطرة والتغلغل في المجالس المحلية من أجل استخدامها في أغراض الدعاية والتغطية والتمويل والظهور بمظهر التمثيل الـواسع. وفي «يـوم الأرض» أثبتت هذه الـوسيلة نجاحهـا الكامـل في خدمـة الأغراض المذكورة.

٥ ـ في ضـوء التدهـور السريـع والتوقعـات التي فصلتهـا في مـذكـرتي السابقة وفي هذه المذكرة اقترح ما يلي:

(أ) المباشرة بإقامة لجنة فكرية لكي تقترح على الجهات المقررة ثلاث خطط عمل:

١ ـ للمدى السريع.

٢ ـ للمدى المتوسط.

٣ ـ للمدى الطويل.

(ب) يجب المباشرة حالاً بإقامة لجنة تنسيق وزارية على مستوى المديرين العامين يشرف عليها وزير تعينه الحكومة لهذا الغرض ويساعده مستشار الحكومة للشؤون العربية.

(ج) بما أن وزارة الداخلية هي قناة الاتصال الرسمية والعملية الرئيسية مع المؤسسات الرسمية والمنتخبة عند السكان العرب، اقترح أن يترأس لجنة التنسيق المشكلة من مديرين عامين، مدير عام وزارة الداخلية.

---

* صحيفة عال همشمار (الصهيونية) بتاريخ ١٩٧٦/٩/٧. ترجمة مجلة «شؤون فلسطينية» العدد ٦٠. تشرين الأول ـ تشرين الثاني (اكتوبر ـ نوفمبر) ١٩٧٦. ص ١٦٧ ـ ١٨٤.

سرّي للغاية

ملحق رقم «٦»

ـ أ ـ
التدريب في القوات المسلحة الاسرائيلية

التدريب

سنتكلم في هذا القسم عن أساليب تدريب مختلف فئات القوات العسكرية الاسرائيلية في ذلك:

١ ـ الجنود.
٢ ـ ضباط الصف.
٣ ـ الضباط.
٤ ـ الطيارون.
٥ ـ البحارة.
٦ ـ أعضاء المنظمات الوطنية.

أولاً: الجنود:

أ) الخدمة الاجبارية:

١ ـ بعد اجراء الكشف الطبي يتسلم المجنّد أوامره ويتحرك الى معسكر التدريب الأساسي في صرفند.

٢ ـ يتلقى المجندون المستجدون تدريبهم الأساسي في معسكر صرفند لمدة

تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر ويكون التركيز في هذه الفترة على اللياقة البدنية واستخدام الأسلحة ومبادىء الجندية.

وفيما يتعلق باللياقة البدنية فإن القيادة الاسرائيلية تظهر اهتماماً كبيراً بتدريب المجندين على المشي الطويل (٦٠ الى ١١٠ كلم في مدد معينة) وهم محملون بكافة عتادهم والغرض من ذلك هو تعريفهم بطبيعة أرض البلاد.

٣ ـ الجنود المخصصون للأسلحة الميكانيكية وللخدمات الفنية يبقون في الخدمة مدة اضافية لاستكمال تدريبهم الفني.

٤ ـ بعد انتهاء فترة التدريب الأساسي يوزع المجندون على الوحدات العاملة حيث يستكملون تدريبهم في سرية خاصة بتدريب المستجدين. ويستمر الجندي المتخصص لمدة ٦ أشهر.

٥ ـ بعد استكمال مدة التدريب في الوحدات العاملة ينضم المجند الى احدى سرايا وحدته ويبقى فيها في معظم الأحوال، حتى نهاية مدة خدمته العسكرية الاجبارية.

٦ ـ اذا أبدى المستجد استعداداً جدياً للجندية في مدة تدريبه ينقل الى سرية خاصة للجنود المتفوقين يدربون فيها لمدة ٥ أشهر اضافية على قيادة الجماعات الصغيرة وذلك تحضيراً لترقيتهم الى رتب «جندي أول» ثم «نائب عريف».

ويعمل هذا الجندي عادة حوالي ٥٢ ساعة أسبوعياً اي حوالي ١٠٤٠ ساعة خلال الخمسة أشهر منها حوالي ٤٧٣ ساعة في التدريب مقسمة على النحو التالي:

ـ استعمال الأسلحة الخفيفة ١٢ ساعة نهاراً.
٤ ساعات ليلاً.

ـ قراءة الخرائط	٥٤ ساعة نهاراً. ٣٠ ساعة ليلاً.
ـ دوريات وكمائن	٢٢ ساعة نهاراً. ٨ ساعات ليلاً.
ـ مناورات مع الوحدة	٩٨ ساعة نهاراً. ٦٤ ساعة ليلاً.
ـ محاضرات عن قواعد القتال والتصرف الفردي	١٨١ ساعة
المجموع	٤٧٣ ساعة منها ١٠٦ ساعات في التدريب الليلي

ب) احتياط الخط الأول:

١ ـ تدريب فردي لمدة يوم واحد في الشهر على استعمال السلاح.

٢ ـ تدريب جماعي لمدة ٣٠ يوماً في السنة.

أي أن مجموع أيام الخدمة لجندي الاحتياط ٤٢ يوماً في السنة يزيد عليها ١٢ ليلة بمعدل ليلة كل شهر يبيتها الجندي مع وحدته.

جـ) احتياط الخط الثاني:

١ ـ تدريب فردي لمدة يوم واحد في الشهر على استعمال السلاح.

٢ ـ تدريب جماعي لمدة ١٤ يوماً في السنة.

ثانياً: ضباط الصف:

أ) الخدمة النظامية:

١ ـ يتم اختيار ضباط الصف من بين نواب العرفاء الممتازين بعد انتهاء مدة

خدمتهم العسكرية الاجبارية. ويوقعون حسب رغبتهم على عقد تطوع لمدة ٧ سنوات قابلة للتجديد حسب رغبتهم.

٢ ـ يحضر المتطوعون الجدد من صف الضباط دورة تدريبية لمدة ٦ أشهر مقسمة على النحو التالي:

ـ مناورات متنوعة	٣٤١ ساعة نهاراً
	١٢٤ ساعة ليلاً
ـ أعمال دوريات وكمائن	٤٠ ساعة نهاراً
	٨٢ ساعة ليلاً

ـ محاضرات على أساليب
القتال ودراسة الأرض
وقيادة المجموعات
والتصرف الذاتي

ـ أصول الحرب في الجبال أسبوعاً كاملاً

٣ ـ بعد استكمال الدورة التدريبية يلحقون بوحدات الجيش كل على حسب تخصصه.

٤ ـ يحضر ضباط صف المشاة وصف المدرعات دورة دراسة كاملة في مدرسة الضباط.

٥ ـ يحضر ضباط صف المدرعات بعد ذلك دورة تدريبية خاصة في مدرسة المدرعات.

٦ ـ باقي ضباط صف الأسلحة الأخرى يحضرون دورة دراسية مختصرة في مدرسة الضباط ثم يستكملون تدريبهم في مدارس الأسلحة.

ب) احتياط الصف الأول:

١ ـ تدريب جماعي ٣٠ يوماً في السنة مع الجنود النظاميين والاحتياطيين.

٢ ـ تدريب اضافي لمدة ٦ أيام في الشهر (٧٢ يوماً في السنة).

جـ) احتياط الصف الثاني:

١ ـ تدريب جماعي لمدة ١٤ يوماً في السنة.

٢ ـ تدريب اضافي لمدة ٧ أيام في السنة.

ثالثاً: الضباط:

أ) الخدمة النظامية:

١ ـ تنتقى الخامات الصالحة خلال دراسات الترقية الى رتبة نائب عريف. ويوضع هؤلاء تحت اختبار مستمر خلال مدة خدمتهم العسكرية الاجبارية وحتى تخريجهم من دورات الترقية لرتبة عريف. وبعد استكمال مدة الخدمة الاجبارية يعرض على المتميزين الاستمرار في الخدمة بتوقيع عقد لمدة ١٥ سنة.

٢ ـ يرسل المتطوعون الى مدرسة الضباط للدراسة لمدة سنتين.

٣ ـ بعد التخرج من مدرسة الضباط يلحق الضباط الجدد بالأسلحة العاملة.

ملحوظة:

يتم اختيار الضباط بطريقة أخرى من خريجي المدرسة الاعدادية العسكرية بعد قضائهم مدة سنة في الخدمة الاجبارية يلحقون بعدها بمدرسة الضباط لمدة سنتين.

هذا ويتخرج كل عام حوالي ٨٠٠ ضابط من مدارس الضباط.

ب) احتياط الخط الأول:

١ ـ تدريب جماعي لمدة ٣٠ يوماً في السنة مع الجنود من الوحدات الاحتياطية والنظامية.

٢ ـ تدريب اضافي لمدة ١٢ يوماً في الشهر (١٤٤ يوماً في السنة).

جـ) احتياط الخط الثاني:

١ ـ تدريب جماعي لمدة ١٤ يوماً في السنة.

٢ ـ تدريب اضافي لمدة ٧ أيام في السنة.

رابعاً: الطيارون:

١ ـ تنتشر نوادي الطيران في اسرائيل حيث يتدرب الشباب على الطيران الشراعي ثم على الطائرات المروحية الصغيرة. ويتم اختيار الطيارين لسلاح الجو من بين المتميزين من بين هؤلاء الشبان.

٢ ـ يتم تدريب معظم الطيارين في اسرائيل.

٣ ـ يرسل المتفوقون من بين الطيارين للدراسة بإحدى كليات الطيران في الخارج (في بريطانية غالباً).

٤ ـ يمضي طالب الطيران ٢٥ ساعة في التدريب الأولى على طائرات التدريب المروحية من طراز Bearcub أو بايبر Piper.

٥ ـ بعد ذلك يقضي فترة التدريب المتوسط من ١٥٠٠ ساعة على الأقل على طائرات ماجستير النفاثة.

٦ ـ وبعد ذلك يقضي فترة التدريب النهائي على طائرات اوراجون.

٧ ـ بعد انتهاء فترة التدريب يتخرج الطيار ويلحق بإحدى الأسراب حيث يتلقى تدريباً متخصصاً على نوع من أنواع الطائرات الملحقة بالسرب.

٨ ـ بعد استكمال الخدمة النظامية يعود الطيار الى وحدته يوماً واحداً كل شهر للتدريب على الطيران.

ملحوظة:

تستخدم اسرائيل في حالة الحرب عدداً من الطيارين المتطوعين من اليهود

وغيرهم من مختلف الجنسيات.

خامساً: البحارة:

يلتحق بالسلاح البحري مراكز ومدارس التدريب التالية:

١ ـ مدرسة البحارة في بيت جاليم.
٢ ـ مدرسة ضباط البحرية في عكا.
٣ ـ المدرسة الفنية في مخمورت.
٤ ـ مركز تدريب الضفادع البشرية في عتليت.
٥ ـ مركز تدريب خفر السواحل في عسقلان.

سادساً: المنظمات الوطنية:

أ) الجدناع:

لتلك المنظمة أكثر من ٣٠٠ نادٍ في سائر أنحاء اسرائيل. ويبلغ مجموع أعضائها حوالي ١٥,٠٠٠ شاب وشابة (تعداد سنة ١٩٦٤) يكون تدريبهم على النحو التالي:

١ ـ يتلقى الفتيان والفتيات تدريباً ابتدائياً لمدة ساعتين في الأسبوع (أو لمدة شهر في السنة) حسب تخصص كل منهم في جدناع البر أو الجو أو البحر.

٢ ـ يمضي الشباب في الصف الأول الثانوي ١٠ أيام في مخيمات الجدناع الصيفية.

٣ ـ يمضي الشباب في الصف الثاني الثانوي ١٠ أيام أخرى في العام التالي في احدى المستعمرات.

٤ ـ وبعد الصف الثاني الثانوي يتلقى الشباب تدريباً جماعياً لمدة أسبوعين

كل سنة في مراكز تدريب الجدناع. ويقومون برحلة سنوية لمدة أسبوعين أو ثلاثة للإشتراك في معسكرات العمل الصيفية.

ب) ناحال: (الرواد المحاربين الشباب):

يمكن للجندي أن يقضي فترة خدمته العسكرية الاجبارية في العمل في احدى المستعمرات الزراعية ـ الدفاعية ويتلقى التدريب التالي في صفوف منظمة ناحال.

١ ـ تدريب أولي لمدة ٣ أشهر على استخدام الأسلحة الخفيفة وأعمال المهارة في الميدان.

٢ ـ بعد استكمال فترة التدريب الأولي يرسل المجندون الى مستعمرات ناحال للتدريب على الحرف الصناعية والزراعية الى جانب استمرار تدريبهم العسكري وذلك لفترة ٦ أشهر.

٣ ـ يقضي المجند آخر ثلاثة أشهر من السنة الأولى في التدريب علي استخدام الأسلحة السائدة.

٤ ـ يتم اختيار المتفوقين خلال السنة الأولى ويضمون حسب رغبتهم الى الأسلحة المقاتلة لإكمال فترة خدمتهم العسكرية الاجبارية بها.

٥ ـ يلحق باقي المجندين بكتائب ناحال ويقضون باقي خدمتهم العسكرية في انشاء مستعمرات جديدة مع الاستمرار في التدريب العسكري. هذا وقد أنشئت كلية زراعية تعطي دروساً اضافية للمجندين المهتمين.

جـ) الدفاع الاقليمي:

تضم هذه المنظمة سكان المستعمرات ممن أنهوا مدة خدمتهم العسكرية الاجبارية في صفوف الناحال. ويشمل تدريبهم على استعمال الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والمساندة وأعمال المهارة في الميدان.

د) منظمة هاجا (الدفاع المدني):

١ ـ يجرى تدريب المتطوعين على أعمال الانـذار والانقاذ وإطفـاء الحـرائق والاسعافات الأولية.

٢ ـ تجرى من آن لآخر مناورات عامـة يتعاون فيهـا أفراد الـدفاع المـدني مع السكان.

٣ ـ تجـرى مناورات محـدودة لتوطيـد التعـاون بين الـدفـاع المـدني وقـوات البوليس والمطافيء وجمعية النجمة الحمراء (الاسعاف).

ملاحظات عامة:

١ ـ يلاحظ أن هناك تركيزاً جدياً واهتماماً كبيراً برفـع مستوى نـوعية التـدريب العسكري لجميع أفراد الشعب.

٢ ـ يـلاحظ كذلـك أن هناك تـركيزاً على تـدريب أفراد الجيش على أسـاليب القتـال الليلي وذلك نتيجـة لطبيعـة بيئة الصـراع الصحـراويـة حيث يكـون الظلام الساتر الطبيعي الوحيد.

٣ ـ يلاحظ كذلك الاهتمام الكبير بإعداد القيادات على كافة المستويات.

٤ ـ يلاحظ كذلك أن ضباط الجيش يتخرجون من تحت السـلاح وهذا يضمن كفـاءة طـرق اختيـارهم ورغبتهم الحقيقيـة في الخـدمـة ويضمن تجـاوب الضباط مع المجندين وقيادتهم بطريقة فعالة.

٥ ـ يـلاحظ كـذلـك الاهتمـام بتـدريب صف الضبـاط على مستـوى مقـارب لمستوى الضباط وذلك طبعاً لأنهم يشكلون همزة الوصل الفعلية بين القيادة والرتب.

٦ ـ يلاحظ كذلك التشديد في المحافظة على مستوى كفـاءة واستعداد قـوات الاحتياط من خلال التـدريب المستمر مـع وحداتهم وذلـك يضمن مستوى قتال فعال لقوات الاحتياط وينمي الترابط والتماسك والروح الجمـاعية بين الجنود في كل وحدة.

٧ ـ يلاحظ كذلك أن التدريب الذي يتلقاه الفتيان والفتيات في منظمة الجدناع يعدهم للحياة العسكرية بطريقة فعالة ويزرع في قلوبهم حب الجندية منذ الصغر.

- ب -
المعلقون الاسرائيليون يكشفون ثغرات التدريب على استدعاء الاحتياط

أجرى الجيش الاسرائيلي، يوم ٢٥ آب (اغسطس) ١٩٧٤، تدريباً على استدعاء قوات الاحتياط. وقد شمل هذا التدريب عشرات الألوف من أفراد الاحتياط في قوى البر والبحر والجو، ووحدات قتالية وأخرى مساندة. وفي الوقت الذي أثنت فيه الصحف الاسرائيلية على هذا التدريب، ذكرت بعض أسبابه ونواقصه. وأكدت هذه الصحف أن الجزء الأكبر من القوات، التي استدعيت الى الخدمة، سرح قبل انتهاء فترة الـ ٢٤ ساعة المخصصة للتدريب. وفيما يلي أهم ما ذكرته الصحف الاسرائيلية عن التدريب، وتعليقاتها عليه.

ذكرت يديعوت احرونوت (٢٦/٨/٧٤) أن تدريب التعبئة حقق نجاحاً بنسبة ١٠٠٪ لبعض الوحدات، على الرغم من أن هناك وحدات وصلت الى نسبة من النجاح أقل من ذلك. وأضافت الصحيفة أنه «لم تكن هناك عثرات جادة، ووصل جميع الرجال تقريباً الى وحداتهم خلال الساعات الأولى من الاستدعاء، وستنتهي المعطيات الأولى للتدريب اليوم (٢٦/٨)، وتنقل الى الحاسبات الالكترونية». وقالت الصحيفة أيضاً، ان وزير الدفاع ورئيس الأركان كانا في طور إعداد تقرير أولي. أما عن الثغرات، فقالت الصحيفة أن هذا التدريب لم يكن مفاجئاً، فقد سبقته استعدادات شاملة. كما أن كثيرين تكهنوا بموعده، وعرف كثيرون بتوقيته، وبالتالي ليس من السهل استخلاص

العبر منه، بالنسبة الى التعبئة الشاملة. كذلك قرأ المذيع من راديو اسرائيل رموز الوحدات التي استدعيت، مرة واحدة، وليس مرتين كما طلب منه. وأصلح الخطأ فيما بعد. وعند وصول رجال الاحتياط الى وحداتهم، طلب منهم ملء استمارات كان السؤال الأساسي فيها عن كيفية معرفتهم باستدعائهم. فأجاب معظمهم أنهم سمعوا رموز وحداتهم من الراديو.

وذكرت دافار (٧٤/٨/٢٦) ان عبر التدريب ستستخلص في الأيام المقبلة. واستخدمت وسائل جديدة لاستدعاء الاحتياط، منها أن طائرة خفيفة أخذت توزع مناشير فيها أسماء الوحدات التي استدعيت. كما أن سيارات الشرطة والمطافىء جابت الشوارع طالبة من الأهلين، بمكبرات الصوت، «الاصغاء الى اذاعة اسرائيل.

ونقلت دافار (٧٤/٨/٢٧) عن الجنرال مردخاي غور، رئيس الأركان، قوله أن التدريب كان ناجحاً، وأنه كلف نحو مليون ليرة اسرائيلية. واختبر الجيش الاسرائيلي الاستعداد الكامل لمختلف أسلحته ووحداته. وأضاف رئيس الأركان، أن التدريب استغرق وقتاً أقل مما كان متوقعاً، وانتهى الجزء الأساسي منه بعد ١٢ ساعة.

وقد انتقد ايتان هيفر، المعلق العسكري لصحيفة يديعوت حرونوت (٢٧/ ٨/ ٧٤)، رئيس هيئة الأركان الذي «تمادى في امتداح التدريب على تعبئة الاحتياط، ولا يجوز ان ننسى، لحظة واحدة، ان التدريب اختبر في ظروف بعيدة عن كونها واقعية». واضاف هيفر ان التدريب جرى في ظروف مثالية تقريباً: «سبقته بيانات كثيرة وصاخبة، اعدت الجمهور لمواجهة يوم صدور الأمر، وخلقت توتراً ممزوجاً بالفضول، وجرت استعدادات دقيقة في وحدات الجيش، وترتيبات خاصة لدى شركات المواصلات التعاونية ووضعت الشرطة في حالة تأهب سلفاً. وهكذا حدث انه لم يبق، ظهر امس الأول، سوى القليل من المفاجآت للجمهور الواسع، وللمدربين والمتدربين معاً».

وثمة مأخذ آخر سجله هيفر على التدريب، اذ قال أن استدعاء

الجمهور، بوسائل الأعلام، للإمتثال فوراً، معناه: «ان العدو بالذات، هو الذي فاجأ وبدأ الحرب، أو أنه ليس لدى الجانب الذي يستدعي الاحتياط وقت كاف لتوجيه دعوة صامتة وسرية. وهذا ما حدث، فعلاً، ظهر يوم الغفران. ونظراً الى أن المفاجآت كانت تامة، أذيعت دعوات لوحدات الاحتياط الى الامتثال فوراً، مع البيانات عن الهجوم المصري ـ السوري في آن معاً. لا في حرب سيناء ولا في حرب الأيام الستة ـ باستثناء ذلك الاستدعاء التعيس والخاطىء الذي أذيع من أجل التعبئة في ١ نيسان (ابريل) ١٩٥٩».

وأشار هيفر الى أحد أهداف التدريب العلني، وهو أن الجيوش العربية منظمة بصورة تمكنها، دائماً من القيام بهجوم مفاجىء، وقد لا يكون هناك متسع من الوقت لاستدعاء الاحتياط سراً. «لهذا الغرض جرت التعبئة العلنية، وليتنا لا نحتاج اليها». وأضاف أنه كان يجب أن يجري التدريب في ظروف أقرب الى الواقع، وعلى الرغم من ذلك «بالإمكان أن نتعلم منه كثيراً، ولكن لا تجوز المبالغة بالعبر، لأن الواقع قد يكون مختلفاً تماماً».

وأشار المعلق العسكري الاسرائيلي الى أهمية أخرى للتدريب، وهي أنه أضفى على الجمهور: «احساساً بالخطر والحرب التي تقترب، على الرغم من رغبتنا في السلام».

وعلقت دافار (٢٥/٨/٧٤) على التدريب بقولها: «ان التدريب مطلوب لملاءمة أساليب ووسائل تعبئة الاحتياط مع الوضع المرتقب للحرب المقبلة... التي ستكون، في جميع أوجهها الأساسية، مختلفة عن جميع الحروب التي وقعت حتى الآن، وخصوصاً تلك الأخيرة».

وقالت معاريف (٢٥/٨/٧٤) ان التدريب «اختبار لأعصاب المواطنين، ولقدرتهم على الانضباط، ولاستعدادهم للمساعدة المتبادلة، ولتحمّل قدر معين من العناء».

- ج -
التدريب

رأينا أن الجيش الاسرائيلي يتألف من نوعين من القوات:

ـ القوات العاملة وتشكل جزءاً صغيراً منه.

ـ القوات الاحتياطية وتشكل معظمه.

وحتى تواجه اسرائيل الكثافة العددية العربية، فإن المنطق الرئيسي لمناهج التدريب لديها هو الايمان بأن قوة السلاح إنما يقررها حامل السلاح والخبرة باستعماله. وبسبب اعتمادها على عنصر الاحتياط، فإن قيادة الجيش الاسرائيلي تولي التدريب عناية فائقة وعظيمة، بغية زيادة المقدرة الحربية لقواتها. وتقوم الخطط العسكرية الاسرائيلية على أساس مقابلة التفوّق العددي العربي بنوع آخر من التفوق يتمثل في:

١ ـ التدريب العسكري الكامل.

٢ ـ نشر الروح العسكرية بين المدنيّين.

٣ ـ التنظيم الدقيق الشامل لتعبئة جميع طاقات المجتمع وإمكاناته في جميع المجالات.

٤ ـ تقوية العوامل النفسية والمعنوية لدى الجندي والمدني الاسرائيلي.

ولهذا فإن اسرائيل تبذل جهداً دائباً مستمراً لرفع مستوى التدريب وأساليب القتال في جيشها، وتتبع أحدث النظم التدريبية الموجودة في العالم، وتتقصى وسائل التدريب الجديدة بغية اقتباس ما ينفع في تطوير تدريب قواتها

العسكرية ومنظماتها شبه العسكرية. ولهذا أيضاً فإن اسرائيل تكثر من ارسال الضباط القادة الى مختلف الدول ليطلعوا على تلك الأنظمة والأساليب والوسائل، فهم يشهدون الدورات التدريبية في معظم المدارس العسكرية للدول الكبرى، وبخاصة في فرنسا وانكلترا وأميركا. وينتسب الضباط ذو الرتب الصغيرة الى مدارس المشاة ومدارس المدفعية ومدارس الاشارة والكليات العسكرية والبحرية والجوية ومدارس المدرعات والهندسة.. أما الضباط القادة من رتبة رائد الى رتبة عقيد فيلتحقون بالوحدات العسكرية الأجنبية ويشهدون المناورات العسكرية، ويشتركون في كليات الأركان وفي دورات مدارس الضباط الأقدمين.

وجيش اسرائيل يتلقى آخر كتب ومحاضرات كليات الأركان ومدارس الضباط الأقدمين ومدارس الأسلحة المختلفة ومدارس التدريب الاداري من البلاد الأجنبية، وآخر ما يصدر من كتب ونشرات عن هيئات التدريب العسكري في الدول الأجنبية. وهكذا فإن جيش اسرائيل يواكب التقدم العسكري علمياً ويتلقى أحدث أنواع التدريب.

وقد بدأ اهتمام اليهود بالتدريب العسكري منذ بدأت هجرتهم الى فلسطين، وأخذوا ينفذون خططهم الاستعمارية. فشكلت، في بادىء الأمر، في بعض المستعمرات اليهودية، نوى من الشباب بدأت بالتدريب على القتال بغية صد الهجمات العربية عنها وبغية توسيع رقعة المستعمرات الجغرافية. ثم أنشئت الهاغانا التي قامت بفتح مراكز سرية للتدريب في عدة مستعمرات وبخاصة التدريب التكتيكي. وأهم مدرسة أنشأتها الهاغانا لهذه الغاية كانت قرب مستعمرة «ناتانيا» على طراز مدارس التدريب البريطانية.

وفي عام ١٩٣٦ شكلت النواة الأولى للقوة اليهودية من فصائل تحت اشراف الضابط البريطاني «الكولونيل وينجيت» ـ الذي مر ذكره ـ وقد دربها على القتال العنيف والقتال الليلي، ويضاف الى ذلك فواج اليهود الذين تم تدريبهم في جيوش الحلفاء وبخاصة الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية.

وحينما أصبحت الهاغانا تحمل اسم «جيش الدفاع الاسرائيلي» على إأثر اعلان قيام الدولة عام ١٩٤٨، انضم الى هذا الجيش أفراد المنظمات الارهابية وأفراد اللواء اليهودي الذي اشترك في الحرب العالمية الثانية. وعلى إأثر ذلك وضعت قيادة الجيش الجديد برنامجاً خاصاً مدروساً بعناية ودقة، لتدريب القوات تدريباً نظامياً موحداً يتفق مع أسس ومبادىء التدريب المتبعة في الجيوش الحديثة. وقد وضع هذا البرنامج من قبل عدة لجان اشترك فيها عدد من كبار الضباط الامريكيين والبريطانيين واليهود. يضاف الى ذلك أن القيادة طبقت خطة موسعة لإيفاد الضباط الأكفاء الى الخارج للتدريب والتعلم في مختلف الكليات والمدارس العسكرية. وقد عادت هذه البعثات ـ وهي مستمرة بصورة دائمة ضمن خطة موسعة ـ تحمل معها خبرات جيوش قوية وحديثة.

وقد وضعت اسرائيل برامجها التدريبية مستفيدة من برامج التدريب الأميركية والفرنسية والالمانية والانكليزية. وأضافت الى ذلك كله مواد خاصة تتلاءم مع طبيعة اسرائيل وجغرافيتها وأهدافها. وقد ركزت هذه البرامج على القتال الليلي وقتال المغاوير والمظليين.

وينص برنامج التدريب الحالي على جعل التدريب الزامياً للرجال والنساء من سن ١٥ عاماً حتى ٤٩ عاماً. ويتم هذا التدريب في المؤسسات التالية:

من سن ١٥ حتى ١٨	في نطاق الجدناع
من سن ١٨ حتى ٢١	في الخدمة العسكرية الالزامية
من سن ٢١ حتى ٤٩	في نطاق خدمة الاحتياط

ويأتي التدريب العسكري في الدرجة الأولى من الأهمية لدى جميع

أجهزة الدولة ومنظماتها وأحزابها ومختلف فئات سكانها. وقد هدفت خطة «عسكرة» اسرائيل الى خلق مجتمع عسكري متعصّب متيقّظ.

والى جانب هذا الهدف الرئيسي الذي سعت اليه الخطة، فإن هناك هدفاً آخر لها، ناتجاً عن طبيعة تكوين المجتمع الاسرائيلي. فقد نجمت عن الخليط الغريب المتعدد الأجناس ـ الذي يتألف منه هذا المجتمع ـ ظروف اجتماعية خاصة أدت الى جعل الخدمة الالزامية في اسرائيل وبرامج التدريب في جيشها ومنظماتها شبه العسكرية ترمي الى أغراض تختلف كل الاختلاف عما ترمي اليه في أية دولة أخرى في العالم. فإذا كانت الخدمة الالزامية وبرامج التدريب العسكري في مختلف أنحاء العالم تهدف الى جعل المواطن جندياً مقاتلاً قادراً على الاسهام في الدفاع عن الوطن، فإن هذه الخدمة والبرامج في اسرائيل تهدف ـ الى جانب ذلك ـ الى جعل الاسرائيليين جميعاً أعضاء مقاتلين في المجتمع، مشبعين بروح الغزو والعدوان، كما تهدف الى صهر هذه الفئات المختلفة المشارب المتعددة الثقافات، القادمة من مجتمعات بعضها جد متقدم وبعضها الآخر جد متخلف. وقد تعهدت العسكرية الاسرائيلية أن تصهر هذه العقليات والثقافات والعادات والمستويات المتناقضة المتضاربة في بوتقة واحدة هي بوتقة المجتمع العسكري الاسرائيلي الجديد. وللوصول الى هذه الغاية فقد وجهت الدولة اهتماماً عظيماً الى الجيش والمنظمات شبه العسكرية فجعلتها مدارس تطبيقية عملية تسهم ـ الى جانب التدريب وتأهيل العضو للعيش في المجتمع الجديد ـ في توفير الملاكات والعناصر التكتيكية والمهنية والحرفية اللازمة لمختلف قطاعات الدولة. أما في القطاع العسكري فقد حددت اسرائيل للتدريب غايتين:

الغاية الأولى: رفع كفاءة الجيش، كأفراد ووحدات صغيرة وكبيرة، لتبلغ دائماً مستوى حجمه أداة قوية ذات فعالية ضاربة عظيمة في الصمود أمام قوات تفوقه عدداً وعدة. وتعتقد قيادة الجيش الاسرائيلي أنها قطعت في هذا

السبيل شوطاً هاماً. وتقدر هذه القيادة أن الجندي الاسرائيلي ـ بعد اتمام تدريبه ـ يستطيع الصمود أمام خمسة جنود غير مدربين تدريباً جيداً.

الغاية الثانية: تحويل جميع السكان الى مقاتلين والى عناصر مفيدة في القتال.

ولهذه الأسباب فقد شملت برامج تدريب الجيش الأقسام السبعة التالية:

١ ـ التدريب العسكري: ويطبق على المجندين وعلى القوات النظامية والاحتياطية والمنظمات شبه العسكرية. ويتضمن استعمال جميع أنواع الأسلحة ووسائل القتال وأساليبه.

٢ ـ التدريب التكتيكي (الفني): ويرمي الى تزويد الجيش بالعدد اللازم من الاختصاصيين في الميكانيك والهندسة والكهرباء والاشارة والطيران وغير ذلك. كما يرمي الى تعليم الجنود الصناعات والمهن والحرف المختلفة التي تفيدهم بعد تسريحهم وتلبّي ـ في الوقت ذاته ـ حاجة القطاع الصناعي المدني من ذوى الخبرة.

٣ ـ التدريب على الرمي: ويهدف الى تدريب جميع سكان اسرائيل ـ بدون استثناء ـ على الرماية وإصابة الهدف واستعمال مختلف الأسلحة الفردية والجماعية الخفيفة.

٤ ـ التدريب الثقافي: ويتضمن تعليم اللغة العبرية الى حد الاتقان الكامل، ومساعدة العسكريين على تعلم اللغات الأجنبية ورفع مستواهم الثقافي والاجتماعي وتأهيلهم لنيل الشهادات المدرسية والجامعية المختلفة.

٥ ـ التدريب الرياضي: ويرمي الى تقوية الأجسام ونشر الروح الرياضية بين العسكريين.

٦ ـ التدريب الزراعي: ويرمي الى تدريب العسكريين على مختلف فنون

الزراعة وتربية الحيوانات والدواجن بقصد تحويلهم الى مزارعين بعد انتهاء خدمتهم العسكرية.

٧ ـ التدريب النفسي: ويرمي الى تلقين الجندي أنه فرد في «شعب الله المختار» وتثقيفه بالمبادىء الصهيونية وأهدافها، وتنمية الحقد والكراهية في نفسه.

واذا كانت برامج التدريب في هذه الأقسام السبعة شبيهة في معظم تفصيلاتها ببرامج التدريب في أغلب الجيوش في العالم، فإن هناك بعض النقاط القليلة الهامة التي تتطلب إلقاء الضوء عليها لأنها توضح خطة العقلية العسكرية الاسرائيلية في «عسكرة» المجتمع الاسرائيلي، بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ الحديث، وليس له ما يشبهه في دول العالم، ويبين الى أي حد انتشرت الروح العسكرية والنزعة التعصبية والعقلية النازية في المجتمع الاسرائيلي. ففي التدريب العسكري، تطبق البرامج على الفرد منذ بلوغه عامه الخامس عشر، ويستمر تطبيقها عليه حتى بلوغه الخمسين من عمره. إن هذا الفرد يبقى حاملاً السلاح، جاهزاً للخدمة، مؤدياً واجب التدريب بصورة مستمرة لا انقطاع فيها ـ لأي عذر من الأعذار أو سبب من الأسباب ـ مدة ٣٥ عاماً.

وتضم القوات العاملة المجندين من سن ١٨ الى ٢٦ عاماً. كما تضم أفراد الخدمة الدائمة من الضباط وضباط الصف والفنيين. وتقضي هذه القوات معظم أيام السنة في التدريب المستمر، ولا تكلف بأية أعمال أخرى حتى تتفرغ للتدريب. وملاكاتها كاملة من الأفراد والأسلحة والأعتدة. وهي على درجة عالية من التدريب والقدرة القتالية. وتعتبر مدرسة للحرب، تتدرب فيها الوحدات الاحتياطية على العمليات المشتركة. كما تجرب فيها النظريات التكتيكية الجديدة والأسلحة الحديثة.

وتتوزع قوات الاحتياط بين خطين. فتضم قوات الخط الأول المجندين من سن ١٨ حتى ٣٩ عاماً. أما ضباط هذا الخط وصف ضباطه وفنّيوه فهم

من ملاكات القوات العاملة. وأسلحة وحدات الخط الأول موجودة في معسكراتها، وهي كاملة وجاهزة ضمن حدود ٨٠ ـ ٩٠٪، ويمكن تعبئتها خلال ٤٨ ساعة. ويستدعى أفراد هذه القوات للتدريب على الشكل التالي:

ـ لمدة ٣ أيام كل ٣ أشهر. حيث يدرب الأفراد على التدريب الأولي والرمي.

ـ لمدة شهر كل سنة ويتم التدريب خلالها على التمارين التكتيكية في مستوى الكتيبة واللواء، ثم تشترك في احدى المناورات السنوية الكبرى.

ومستوى تدريب هذه القوات ـ بصورة عامة ـ متوسط. إلا إنه يوجد في كل منطقة لواء منها قدرته القتالية في مستوى جيد.

وتضم قوات احتياط الخط الثاني المجندين من سن ٣٩ ـ حتى ٤٩ عاماً. ويتألف ملاك الضباط وصف الضباط في هذه الوحدات من أفراد الخدمتين الدائمة والاحتياطية. وأسلحة وحدات الخط الثاني موجودة في المخازن الرئيسية للقوات المسلحة وهي كاملة وجاهزة ضمن حدود ٧٥٪ ويمكن تعبئتها خلال ٤ ـ ٥ أيام.

ويستدعى أفراد هذه القوات للتدريب على الشكل التالي:

ـ لمدة ٣ أيام كل ٣ أشهر حيث يدرب الأفراد على التدريب الأولي والرمي.

ـ لمدة ١٤ يوماً في السنة يتم التدريب خلالها في مستوى الفصيلة والسرية. وتخصص أيام قليلة للتدريب في مستوى اللواء.

ـ يتلقى الضباط وصف الضباط الاحتياطيون تدريباً اضافياً لمدة سبعة أيام.

وتقتصر مهمة وحدات الخط الثاني على أعمال الحراسة والدفاع عن الأراضي المحتلة. أما في الهجوم فتقتصر مهمتها على بعض الأعمال الثانوية

كالتطهير. وتقدر قدرتها القتالية علي العمليات المختلفة بنسبة ١٥ ـ ٢٠٪. أما نسبة قدرتها على مهماتها المخصّصة فتفوق هذا الحد. وتسمى هذه القوات «وحدات العجائز».

وتنقسم السنة التدريبية في الجيش الاسرائيلي الى فترتين:

(أ) الفترة الأولى: من شهر كانون الثاني (يناير) حتى نهاية شهر أيار (مايو) وتطبق خلالها برامج التدريب الفردي والمشترك حتى مستوى الكتيبة.

(ب) الفترة الثانية: من شهر حزيران (يونيو) الى نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) وتطبق خلالها برامج التدريب المشترك من مستوى لواء فما فوق. وتقسم هذه الفترة الى مرحلتين:

(أ) المرحلة الأولى: من حزيران (يونيو) حتى أب (أغسطس) وتجري خلالها مناورات الألوية العاملة ونصف عدد الألوية الاحتياطية. وتنتهي المرحلة بإجراء المناورة الصيفية الرئيسية للجيش.

(ب) المرحلة الثانية: من أيلول (سبتمبر) حتى تشرين الثاني (نوفمبر) وتجري خلالها مناورات النصف الثاني من الألوية الاحتياطية.

(ج) يعتبر شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام شهر اجازات للأفراد وصيانة للمعدات والتجهيزات ويتميز تدريب الضباط في اسرائيل، بضرورة تدريبهم على القفز بالمظلات. وكان الجنرال اسحق رابين أول من أدخل ذلك على برامج التدريب، وبخاصة للضباط ذوي الرتب الكبيرة. وقد طبق رابين ذلك على نفسه وكان أول القافزين في عمليات سيناء عام ١٩٥٦.

وهناك ناحية أخرى هامة تميز برامج التدريب الاسرائيلية عن غيرها، ذلك أنها تؤكد على قادة الوحدات بالابتعاد ـ قدر المستطاع ـ عن اجراء تبديلات مستمرة في ملاكات الوحدات. فقائد الفصيلة يجب أن يقضي أكبر مدة ممكنة في فصيلته، بحيث يتعرف على كل جندي وإمكاناته، مما يسهل عليه قيادته أثناء الحرب، كما يسهل له انتقاء الرجال المناسبين للمهمات التي

تكلف فصيلته بها. وينطبق هذا على بقية القادة. وكانت برامج التدريب تؤكد علي ضرورة توفر روح الانسجام والتعاون والالفة بين جنود زمرة الدبابة - مثلاً - لتتمكن هذه الزمرة من أن تعمل كمجموعة متفاهمة متساندة.

كما تهتم برامج التدريب اهتماماً كبيراً بالقفز بالمظلات، واللغم والنسف، والأعمال الفدائية والقتال الليلي، وقتال الشوارع، والقتال بالسلاح الأبيض، وعمليات المشاة المدرعة. وتدرج جميع هذه الفقرات في صنف «العمليات الهجومية». وحتى تتمكن القيادة من تخصيص معظم الوقت لهذه العمليات، فقد انخفض التدريب على «العمليات الدفاعية» في البرامج الى أدنى حد.

أما في الطيران فقد أولت القيادة اهتماماً خاصاً لتدريب الطيارين والفنيين. ففي الفترة الواقعة قبل الخامس من حزيران (يونيو) كان التدريب الجوي مستمراً مدة ٢٤ ساعة كل يوم.

بدلت القيادة الجوية برامج التدريب في كلية الطيران. فقد كانت البرامج القديمة تقضي بطيران الطالب ٢٤ ساعة على طائرة خفيفة ثم طائرة «هارفرد» المروحية، وبعد ذلك ينتقل الطالب الى طائرة «ميتيور» النفاثة. وقد ألغت البرامج الجديدة طائرة «الهارفرد» واستعاضت عنها بالطائرة النفاثة «فوغا ماجستير» حيث يطير بها الطالب ١٥٠ ساعة، ثم ينتقل الى الطائرات النفاثة المقاتلة.

كما تشكل المصالح الفنية لصيانة الطائرات أحد العوامل التي ساعدت الطيران الاسرائيلي على الاستمرار في العمل. فإذا لاحظنا أن مدة الصيانة بين مهمتين لطائرة الميراج - مثلاً - هي ٧ دقائق - كحد أدنى - بينما المدة المقررة من قبل المصممين الفرنسيين والمعمول بها في سلاح الجو الفرنسي هي عشرون دقيقة، نرى أن قيام الميراج بتنفيذ ١١ مهمة خلال اليوم الواحد كان نتيجة جهد فني. كما أن استبدال المحرك لم يستغرق، في بعض الحالات، أكثر من ساعتين بدلاً من الاثنتي عشرة ساعة المقررة مبدئياً لهذه العملية.

لقد وضعت القيادة برنامجاً للتدريب طوال السنوات العشر السابقة لحرب ١٩٦٧، واستفادت خلاله من المتطوعين الذين عملوا في مسارح حربية معاصرة، والذين كانوا يأتون اليها شهراً كل سنة للإشتراك في عمليات التدريب الشاملة. وكانت القيادة قد أقامت نماذج على الطبيعة لبعض المطارات المصرية في صحراء النقب، لكي تدرب الطيارين عليها وبخاصة بالنسبة لزوايا الاقتراب. ولقد أشار الى هذه المسألة عدد كبير ممن كتبوا في الخارج عن تفاصيل العمليات العسكرية. وأغلب الظن أنها صحيحة فلقد جاءت طائرات العدو من اتجاهات مضبوطة وانزلقت على الفور فوق أهدافها المحددة.

وفي التدريب الثقافي نجد أن برامج الثقافة العامة اتسعت حدودها، حتى شملت جميع وحدات الجيش. فإلى جانب التعليم اليومي الذي يجري بإشراف ضابط الثقافة في الوحدة، نجد المعسكرات الثقافية الخاصة تستقبل جموع العسكريين لتلقي مختلف العلوم. ويلي ذلك التعليم الخاص بتأهيل بعض العسكريين الأكفاء للحصول على الشهادات المدرسية والجامعية. أما الضباط فإن القيادة تشجعهم على الانتساب الى المراكز الثقافية لتعلم اللغات العربية والفرنسية والانكليزية وشؤون التخطيط. بالإضافة الى أن القيادة أنشأت مراكز خاصة بالضباط لتعليم اللغة العربية. وتمنح القيادة علاوة مالية شهرية لكل ضابط يتقن هذه اللغة. وتشجع القيادة الضباط على الانتساب الى الجامعات، مما يتيح للكثير من المدنيين المنضمّين الى الجيش النظامي متابعة دراساتهم الجامعية وهم في الخدمة، حتى بلغت نسبة الضباط الذين أتموا دراسات جامعية نحو ٨٠٪ من مجموع الضباط. ومن الجدير بالذكر أن أبسط برامج التدريب الثقافية للجنود تتضمن المواد التالية:

- تعلم اللغة العبرية حتى الاتقان.
- التوراة.
- التاريخ الاسرائيلي القديم.

- التاريخ الاسرائيلي الحديث.
- التاريخ العام.
- جغرافية اسرائيل.
- الجغرافيا العامة.
- الحساب.

ان نوعية الجندي الاسرائيلي لها قيمة قتالية تستحق الاهتمام. فقد كان بين الجنود الاسرائيليين أساتذة جامعات ومهندسون وأطباء دعتهم التعبئة العامة الى مواقعهم كجنود. وكانوا يعرفون وحداتهم من قبل، ويرتبطون بصداقة يصنعها التدريب المستمر والمنظم مع رفاقهم في السلاح. ان هذا الأسلوب لم يترك أثراً للتمايز الطبقي بين المحاربين.

وفي التدريب الرياضي نلاحظ أن برامجه تهدف الى جعل كل عسكري مغواراً قوياً صالحاً لتحمّل مشاق القتال وصعوبات الحياة العسكرية. وقد تضمنت هذه البرامج تدريباً على السير مدته، للعسكريين، أربعة أيام، ومسافته ٤٠ كم في كل يوم، وللمدنيين يومان ومسافته ٤٠ كم في كل يوم. أما النساء - بما فيهن العجائز - فقد جعلت المسافة ٣٠ كم يومياً لمدة يومين أيضاً. وتهدف برامج السير التدريجي الى تعريف سكان اسرائيل على مختلف بقاعها.

وتهتم قيادة الجيش الاسرائيلي بالروح المعنوية والتدريب النفسي للعسكريين، اهتماماً لا يقل عن اهتمامها بالتسليح والتدريب القتالي. فهي تلقّنهم - بواسطة المدربين العسكريين ورجال الدين الذين يشكلون سلكاً خاصاً بهم في الجيش - العقائد الدينية المعروفة، بأنهم شعب الله المختار، وأن الله منحهم فلسطين وفرض عليهم العمل لإنشاء مملكة اسرائيل فيها، وأنهم لا يستطيعون العيش خارجها بحرية تامة. واذا كان معظم اليهود، القادمين من أوروبا وأميركا لا يؤمنون بهذه المفاهيم الدينية، فإن الشوفينية العنصرية، والعصبية الصهيونية، والتاريخ الصهيوني تؤلف ركائز ايمانهم

بالصهيونية والعنصرية ايماناً يبلغ حد التعصب الأعمى الذي يفوق التعصب الديني.

وتتضمن برامج التدريب المعنوي نشر الثقافة الصهيونية بين الجنود، بغية صهر هذا الخليط العجيب المتنافر ـ الذي يتألف منه سكان اسرائيل ـ في بوتقة واحدة، لإزالة الفوارق الاجتماعية والفكرية بينهم، وتحبيبهم بالأرض وربطهم بها دينياً وقومياً وتاريخياً ومادياً. وتصور تلك البرامج العرب بأنهم الخطر الداهم الذي يريد القضاء على اسرائيل وإلقاء اليهود في البحر. وتنمّي في نفوس الجنود الأحقاد العميقة والضغائن ذات الجذور التاريخية ضد العرب جميعهم، لا فرق بين العربي القريب من حدود اسرائيل، والعربي المقيم على شاطىء الاطلسي أو حافة الخليج. ولهذا فإن العربي هو الخطر الوحيد الداهم الذي لابد من البدء بضربه قبل أن يبدأ هو بضرب اسرائيل. ومن هذه الفكرة بالذات تخلق القيادة في نفوس الجنود إرادة القتال ضد العرب، والقناعة والتصميم على الهجوم والبدء بمقاتلة العرب (أي العدوان).

وتنمّي برامج التدريب مظاهر التفاخر والكبرياء القومية، مستندة الى انتصارات الحروب الثلاث والى سمعة الجيش الاسرائيلي الصغير في حجمه، بالنسبة للجيوش العربية المحيطة به، وتنتهز القيادة هذه المناسبات لترسخ مفهوم الحق الالهي لليهود بفلسطين في أذهان الجنود ونفوسهم.

ويختلف الجيش الاسرائيلي عن غيره من جيوش العالم، بضعف مظاهر الانضباط العسكري بين الرؤساء والمرؤوسين، حتى ان كثيراً من تلك المظاهر لا تبدو واضحة في كثير من المناسبات. ومبعث هذه الحالة اعتقاد القادة بأن إزالة هذه المظاهر ـ مع اكتمال التدريب ومتانة الخلق وقوة العقيدة ـ أدّى الى تقوية العلاقات بين الرؤساء والمرؤوسين، والى التعايش اليومي العميق بينهم، والى مشكلات مرؤوسيهم عن قرب وبواسطة التجربة. ان هذا الأسلوب ـ باعتقاد القيادة الاسرائيلية ـ ينمّي الشعور بالمسؤولية لدى جميع

الرتب العسكرية ويكشف عن قيمة الرئيس بين مرؤوسيه، ومقدرته على قيادتهم في الحرب. ولقد أدى هذا الأسلوب الى الكشف عن عدد من الضباط لم يكونوا يصلحون للقيادة، لفقدان ثقة مرؤوسيهم بهم، فجردتهم القيادة من مناصبهم.

وتنمّي برامج التدريب في نفس الجندي المبادأة الشخصية التي يتميز بها الجيش الاسرائيلي بصورة خاصة. وقد دفعت فكرة المبادأة المسيطرة على عقول الضباط الى عدم التقيد بالأساليب التقليدية في التدريب والقتال تقيدا أعمى، وإنما نمّت في عقولهم نزعة البحث عن الحيل والخدع التي توصي التوراة باستعمالها.

وفي معرض الحديث عن التدريب في الجيش الاسرائيلي، لابد من التعرض الى «كلية الأمن القومي» وهي أبرز مؤسسة عسكرية اسرائيلية. فقد سلكت اسرائيل في تأهيل المستويات العليا من ملاكات الدولة سلوك الدول الكبرى التي أنشأت لنفسها معاهد خاصة لتأهيل كبار الموظفين والضباط الذين يعملون في مختلف الوزارات ذات الارتباط والعلاقة بشؤون الدفاع. وعلى غرار هذه المعاهد، أسست اسرائيل «كلية الأمن القومي» في مطلع عام ١٩٦٣، وحددت مهمتها بتحضير الملاكات اللازمة لإدارة شؤون الدفاع في مختلف أجهزة الدولة وتنسيقها وتنفيذ الخطط في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والبشرية والثقافية. كما تهدف هذه المؤسسة الى نشر المذهب العسكري الاسرائيلي وتلقين مفهوم الدولة عن الدفاع، وخلق عقلية واحدة يتفاهم بها جميع العاملين في ميدان الدفاع.

ويقبل في هذه الكلية الضباط من رتبة عقيد ـ فما فوق ـ والموظفون من مرتبة مدير ـ كحد أدنى ـ ويلقن فيها البرنامج التالي:

ـ الاستراتيجية السياسية والعسكرية الاسرائيلية.

ـ «الشعب» اليهودي في اسرائيل والعالم. وتنظيم الجاليات اليهودية في الخارج لمساعدة اسرائيل.

- مشكلات التعليم الأساسية في اسرائيل.
- مشكلات المهاجرين واستيعابهم.
- أهداف الدولة في جميع المجالات وبخاصة في الدفاع.
- الأحلاف في العالم.
- الجغرافيا السياسية لاسرائيل.
- علم الاجتماع المتعلق بالبلاد العربية.
- الشرق الأوسط.
- القومية العربية.
- القوات المسلحة العربية.
- جامعة الدول العربية والاتجاهات الوحدوية العربية.
- الحرب الاقتصادية العربية ضد اسرائيل.
- العلاقات الدولية.
- قوة الدفاع الاسرائيلية.
- التنمية الاقتصادية والانتاج.
- الاقتصاد الوطني واقتصاد الحرب.
- الطاقات العلمية والتكنولوجية في اسرائيل.
- العلوم والمجتمع.

ومدة الدورة في الكلية ٩ أشهر، ومدة الدراسة اليومية ٧ ساعات. ويقدم الطالب فحصاً للقبول الى الكلية، يلزم فيه على دراسة أربعين كتاباً تنتقيها الكلية، ويسأل المتسابق عنها في فحص القبول. وقد تخرّج منها عام ١٩٦٥ - على سبيل المثال - ثمانون شخصاً منهم ٩ من وزارة الخارجية، و ٦ من وزارة المالية، و ٣ من كل وزارة أخرى، و ٢٦ ضابطاً من مختلف أسلحة الجيش و ٣ من الصحفيين والمعلقين الاذاعيين.

ومن الجدير بالذكر أن العام التدريبي ١٩٦٦ - وهو عام الاستعداد لعدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ - تميز بنشاط التدريب وكثافة برامجه ودقتها

وانتقالها الى أعلى المراحل والمستويات. فقد استمرت اسرائيل في سياستها التدريبية فيما يخص إعداد الفرد وتأهيله ليكون محارباً في جميع الظروف مستغلاً امكانات سلاحه الى أقصى حد. أما في مجال تدريب القوات على الأعمال القتالية فيمكن حصر النشاط في ذلك العام في المجالات التالية:

(أ) في مجال تدريب الوحدات (سرية): ركزت القيادة في التدريب على المواضيع التالية:

- اختبار كفاءة الجماعة والفصيلة والسرية.
- استعمال النار والحركة واحتلال الأهداف المحدودة.
- أعمال الدوريات والاغارات.
- تمارين قتال الشوارع وتفتيش الأبنية.

(ب) في مجال تدريب القطاعات (كتيبة): اهتمت القيادة بالتمارين التالية:

- التدريب على القتال في المناطق الجبلية.
- التدريب على الأعمال القتالية الليلية مع الرمايات الحقيقية.
- تعاون صنوف القوات مع بعضها.

(جـ) في مجال الوحدات الكبيرة (لواء أو أكثر): أجرت القوات الاسرائيلية مناورات بمستوى لواء أو أكثر خلال عام ١٩٦٦. وقد عرف منها ما يلي:

- مناورة لواء جولاني بتاريخ ١٩٦٦/٧/٢١: نفذت في منطقة الجليل. واشتركت فيها مختلف الأسلحة بما في ذلك الطيران، وكانت الفرضية تقضي باحتلال أهداف محصنة وقد حدد فيها هدف واحد لكل كتيبة.

- مناورة لواء مدرع بتاريخ ١٩٦٦/٨/٣٠: أجريت في منطقة ديمونا بالنقب اشتركت فيها أسلحة مساندة وسلاح الطيران.

- مناورة لواء مظلي بتاريخ ١٩٦٦/٨/٣١: أجريت في منطقة النقب

وقد استمرت أربعة أيام اشتركت فيها عناصر من المدفعية والمدرعات والمهندسين وسلاح الطيران.

ـ مناورة مدرعات احتياط أجريت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ في النقب اشتركت فيها عناصر المدفعية وسلاح الطيران.

(د) تدريب القوات الجوية: أولت اسرائيل أهمية خاصة لتدريب سلاحها الجوي. لذا كان النشاط التدريبي متواصلاً، وفي كافة الأجواء ليلاً ونهاراً. وقد بلغ متوسط عدد الطائرات المحلقة يومياً خلال عام ١٩٦٦ حوالي ٣٠ طائرة. كما اشترك سلاح الطيران في جميع المشاريع والمناورات التدريبية التي نفذت في مستوى كتيبة فما فوق. والنقاط التي برزت في مجال تدريب سلاح الطيران هي:

ـ التدريب على أعمال الهجوم الأرضي والرمي من الجو الى الأرض.
ـ التدريب على عمليات الاعتراض النهاري والليلي وبالسرعات العالية والمنخفضة.
ـ التدريب على الطيران على الارتفاعات المنخفضة.
ـ التدريب على مساندة القوات البرية والبحرية والتعاون معها.

(هـ) تدريب القوات البحرية: استمرت قطع الاسطول الاسرائيلي بقيامها بتدريباتها المعتادة في المياه الاقليمية، وكان أبرز الأعمال التدريبية خلال عام ١٩٦٦ ما يلي:

ـ زيارة بعض قطع الاسطول الاسرائيلي لبعض موانىء الدول الأوروبية في فرنسا وايطاليا.

ـ اشتركت بعض وحدات الاسطول بالتدريب مع مجموعة من الاسطول الفرنسي في المياه الاقليمية الفرنسية.

ـ قام الاسطول الاسرائيلي بمناورة مشتركة في شهر نيسان (ابريل) ١٩٦٦ اشترك فيها سلاح الطيران.

(و) تدريب المظليين: جرى تدريب وحدات المظليين بأوقات مختلفة وعلى طول السنة. كما اشترك المظليون في عدد من المناورات التي أجريت في مستوى لواء. وبرز تدريب المظليين على الانزال فوق الماء حيث نفذت عمليتا انزال في البحر، احداهما في بحيرة طبريا والأخرى في البحر الأبيض المتوسط مقابل شاطىء تل أبيب وبقوة سرية مظلات.

(ز) الدورات التدريبية: لقد أعلن خلال عام ١٩٦٦ عن تخرج الدورات التالية:

- في أوائل شهر شباط (فبراير) تخرجت دورة من ضباط شعبة العمليات.
- بتاريخ ١٩٦٦/٢/١٥ احتفل بتخريج دورة ضباط أركان.
- بتاريخ ١٩٦٦/٦/٢ تخرجت دورة قادة فصائل مدرعات.
- بتاريخ ١٩٦٦/٦/٢١ تخرجت دورة ضباط اشارة.
- بتاريخ ١٩٦٦/٦/٢١ أعلن عن تخرج دفعة كبيرة من الضباط الأحداث من مدرسة الضباط.
- بتاريخ ٢١/ ١٩٦٦/٦ تخرجت دفعة جديدة من قادة الدبابات
- يوم ١٩٦٦/٧/٧ تخرجت دفعة جديدة من الطيارين.
- يوم ١٩٦٧/٧/٢٧ تخرجت دفعة جديدة من ضباط الطب.
- يوم ١٩٦٦/٧/٢٧ تخرجت دفعة جديدة من الضباط طلاب المدرسة العسكرية الداخلية.
- يوم ١٩٦٦/٨/١١ احتفل في مدرسة القيادة والأركان بتخريج الدورة رقم /١٢/ من طلاب مدرسة القيادة والأركان.
- يوم ١٩٦٦/١٠/١٢ احتفل بتخريج دورة جديدة من ضباط الاحتياط من ذوي المؤهلات العالية.
- بتاريخ ١٩٦٦/١٠/١٢ احتفل سلاح البحرية الاسرائيلي بتخريج دورة من الكوماندو البحريين الاسرائيليين.

هذا عن العام التدريبي ١٩٦٦، أما عن مدة الأشهر الخمسة الأولى من عـام ١٩٦٧ (من مطلع العـام حتى ١/٦/١٩٦٧)، فقد تميـز التـدريب خلالها بالوقائع التالية: .

(أ) افتتـح العـام التـدريبي بمنـاورة أجـراهـا اللواء الأول (جـولاني) بتـاريـخ ١٦/١/١٩٦٧ استمـرت يومين، وقـد اشتركت فيهـا بعض وحدات من الاحتياط.

(ب) في منتصف شهر أذار (مارس) ١٩٦٧ أجـرى الجيش الاسرائيلي منـاورة كبرى في منطقة النقب دامت عدة أيام استخدمت فيهـا الذخيـرة الحية، واشتـركت فيها وحـدات من سلاح المـدرعـات والمـظليين والمـدفعيـة والطيران. وقد ألقى اللواء اسحق رابين رئيس الأركان العـامة كلمـة في تلك المنـاسبة قـال فيها: «ان هـذه الوحـدات بعد أن أنهت تـدريبـاتهـا المـركزة أصبحت على مستـوى عال في فهم الفنـون العسكريـة والقدرة على القتال في المناطق الجبلية وعلى نقل مشاتها لأي مكـان في جميع الظروف».

(جـ) الدورات التدريبية: أعلن عن انتهاء الدورات التالية:

في مطلع شهر كانون الثاني (ينايـر) ١٩٦٧ احتفلت مدرسـة المشاة في اسرائيل بتخريج دورة من ضباط المخابرات.

- بتاريخ ٢٦/١/١٩٦٧ أعلن عن تخرج دورة ضباط بحرية وقيـل عنها أنها أكبر دورة تخرجت حتى ذلك التاريخ.

- بتاريخ ١/٢/١٩٦٧ احتفل بتخريج دورة جديدة من الضباط.

- بتاريخ ٣٠/٣/١٩٦٧ احتفل بتخريج دورة جديدة من ضباط الامـداد واللوازم.

ـ د ـ

اسرائيل مستمرة في دعم قوتها العسكرية

لا تزال اسرائيل تبذل الجهود الحثيثة لتعزيز قوتها العسكرية، وذلك بالحصول على أسلحة حديثة، وتطوير التكنولوجيا العسكرية لديها، واستغلال القوة البشرية على أفضل وجه، وإعادة تنظيم المؤسسات العسكرية، وتطوير القدرة الهجومية أو إعداد الجبهة الداخلية لمواجهة حرب جديدة، مستغلة بذلك الوقت الذي يفترض أن يمر حتى الوصول الى تسوية جزئية أو شاملة، لتحقيق تفوق عسكري، حتى لو تحقق لها السلام الذي تطلبه. ويجري هذا النشاط بنفس الوتيرة التي سار عليها في السابق، منذ توقيع اتفاقيات الفصل على الجبهتين المصرية والسورية، حيث تم خلال هذه الفترة إعادة تنظيم الجيش وتوسيعه وتعويض ما فقده من الحدود، واستيعاب دروس الحرب وتطبيقها (انظر أيضاً «قضايا اسرائيلية»، العدد ٥ (١٢)، ٧٥/٣/٦، ص ١٥٧).

زيادة القوى البشرية في الجيش:

يتم توسيع الجيش عن طريق تقليص دائرة المعفيين من الخدمة الاجبارية، بإلحاق الآلاف منهم في الجيش الدائم، والاحتياط، والدفاع المدني. وكانت هذه الحملة قد بدأت في أوائل سبتمبر ١٩٧٤ عندما أصدر رئيس مركز التجنيد في الجيش أمرا يدعو فيه جميع المعفيين، البالغ عددهم نحو ١٥٠ ألفاً، للحضور الى مراكز التجنيد وإعادة فحصهم. وقد دخلت هذه الحملة مرحلة جديدة عندما أعلن ضابط كبير (دافار، ٧٥/٣/١٠) في شعبة

القوى البشرية في رئاسة الأركان «بأن التجنيد بدأ بنسب عالية، أعلى من الماضي، حيث أصبح من الممكن الآن تجنيد أصحاب اللياقات البدنية المتدنية (حتى ٢١٪) والذين كانوا مصنفين حتى الآن على أنهم غير صالحين للخدمة العسكرية». كما سمح باستيعاب أصحاب الموانع الصحية في مناصب مناسبة في الجيش، بموجب برنامج وضعته شعبة الطاقة البشرية في رئاسة الأركان، بهدف تفريغ الجنود لمهمات ميدانية (ر إإ، ٧٥/٢/٥). وتم للغرض نفسه توسيع دائرة المهام التي تشغلها الفتيات في الجيش (المصدر نفسه ٧٥/٣/١٨).

ومن جهة أخرى، سيجري فحص جميع الذين كانوا معفيين في السابق لأسباب تتعلق بالحاجة اليهم في القطاعات الاقتصادية، وذلك لتحديد نسبة صلاحيتهم للخدمة، في ضوء احتياجات الوضع الاقتصادي في حالات الطوارىء. وبدأت مؤخراً أيضاً عملية إجراء دراسة لأوضاع الجنود الاحتياط. اذ تم توزيع استمارات على هؤلاء لتعبئتها، لاستيضاح أي تغيير طرأ على كل منهم، بما في ذلك المهن التي تعلمها أي منهم منذ تسريحه من الجيش (هآرتس، ٧٥/٣/١٠). وذكر أيضاً أن معالجة مسألة جنود الاحتياط الذين يعيشون خارج اسرائيل بدأت تعطي ثمارها، فقد تم حتى الآن تحديد طرق الاتصال بالجنود ذوي المهن الحيوية، الذين يعيشون بشكل مؤقت في مختلف الدول (المصدر نفسه).

أسلحة حتى التخمة:

ومن حيث التسليح، استطاعت اسرائيل منذ وقف اطلاق النار تعويض كل ما فقدته في الحرب وتأمين كميات اضافية كبيرة، تشمل أنواعاً لم تكن تملكها قبل الحرب. وقد عبر رئيس وزرائها، اسحق رابين، عن ذلك (في رده على ممثلي كتل المعارضة في الكنيست) بقوله: «. . . ان سياسة الحكومة أتاحت استغلال الوقت لضمان استعداد جيش الدفاع الاسرائيلي وتعاظم قوته بسرعة لم نشهدها من قبل. . . ويضمن أسلوب تسليح الجيش، سواء بصفقات الأسلحة من الخارج أو بالإنتاج المحلي، أنه خلال سنة

١٩٧٥، وحتى لو نفذت طلبات مصر من الاتحاد السوفياتي بأكملها، لن تتبدل نحو الأسوأ نسب القوى بيننا وبين الدول العربية، بوسائل القتال الأساسية، بالمقارنة مع نسب القوى عشية حرب يوم الغفران». وكانت نسبة الزيادة في المعدات التي حصلت عليها اسرائيل، كما ذكرها رابين كما يلي: بالدبابات ـ ٥٠٪، بالمجنزرات والمدرعات ـ ٢٥٪، بالطائرات المقاتلة ـ أكثر من ٢٠٪ وبالمدفعية ـ أكثر من ٨٥٪. وهذا بالإضافة الى تحسين نوعية المعدات والقدرة النارية والتنظيم والادارة واستيعاب معدات جديدة (المصدر نفسه).

وذكر خبراء كبار في البنتاغون بهذا الصدد أن كمية الأسلحة التي تملكها اسرائيل اليوم، تفوق ما تملكه أي دولة أخرى باستثناء بعض الدول الكبرى (دافار، ٢٨/١/٧٥). وبناء على تقديرات الخبراء تملك اسرائيل حالياً ٢٤٠٠ دبابة مقابل ١٧٠٠ دبابة في اكتوبر ١٩٧٣ و ٥٢٥ طائرة حربية مقابل ٤٨٠ طائرة عشية الحرب، كما ساعدت أميركا اسرائيل على أعداد احتياطي من السلاح يكفي ٢١ يوماً من القتال (يديعوت احرونوت، ١٨/٣/٧٥). واستمر تدفق السلاح الامريكي على اسرائيل لدرجة أن قادة في جيش الولايات المتحدة اشتكوا وتذمروا من النقص في الطائرات والدبابات وحتى بالذخيرة، اذ بقيت وحدات كاملة من الجيش الامريكي في وضع غير صالح لدخول معركة، وذلك بسبب تلبية طلبات اسرائيل، وتسليمها الأسلحة المعدة لتلك الوحدات (ر إ، ١٤/١/٧٥).

مناورات عديدة:

وكان الجيش الاسرائيلي، منذ أن انتهى من إعادة بناء نفسه تنظيمياً، قد أخذ يخصص جهداً كبيراً للتدريبات التي تطبق فيها دروس الحرب الأخيرة. بينما يجري التشديد على شكل المعارك المتوقعة في الحرب القادمة، فقام خلال هذه الفترة بعشرات المناورات، كان آخرها ما قام به تشكيل مدرع في صحراء سيناء، وتم تنفيذها بالذخيرة الحية، وجرى التدريب على اختراق

سلسلة من المواقع تستند الى مانع مائي. وتم التشديد في المناورة على التنسيق مع وحدات أخرى مثل سلاح الجو، وسلاح الهندسة، ووحدات مدفعية كانت تتابع القوات في جميع مراحل التقدم، بالإضافة الى وحدات من سلاح المشاة والمظليين استخدمت في مهام خاصة (معاريف ٧٥/٢/٢١).

تحصينات جديدة:

كذلك انتهت منذ مدة عملية بناء التحصينات على الجبهات المختلفة، وهي العملية التي بدأت قبل أن تباشر اسرائيل بالانسحاب الى تلك الخطوط، والتي وضعت بها كل المعرفة والدروس التي استخلصت من الخطوط السابقة. وذكر أن اسرائيل أنفقت في هذا المجال أكثر من مليار ليرة على الجبهة السورية، ومبلغاً مماثلاً على الجبهة المصرية، و ٣٥٠ مليون ليرة على الجبهة الأردنية (معاريف، ٧٤/١٢/١٨)، وذلك بالإضافة الى السياج الأمني الذي أقيم على طول الحدود اللبنانية. ولكن بالإضافة الى هذه التحصينات، ومن ناحية ثانية، ذكر ضابط اسرائيلي «بأن اسرائيل تركز دفاعها الآن على المدرعات والقوات الميكانيكية والمدافع ذاتية الحركة القادرة على الوصول بسرعة الى أي من نقاط الضعف». (يديعوت احرونوت، ٧٥/٢/١٧).

تنظيم جديد:

أما على صعيد استخلاص دروس حرب تشرين فقد انتهى الجيش منها منذ آب الماضي، عندما قدم أربعة من العمداء، هم قادة المخابرات والبحرية والجو ورئيس شعبة العمليات، تقريراً للحكومة حولها. وذكر، بمناسبة انتهاء لجنة اغرانات من تحقيقاتها، أن جميع التوصيات التي رفعتها على الصعيد العسكري ـ المهني، قد نفذت، حتى قبل صدور الجزء الأخير من التقرير (هآرتس، ٧٥/٢/٢) ويجري العمل حالياً على تنفيذ التوصيات المتعلقة بطريقة عمل الحكومة وجهاز الحكم والعلاقة المتبادلة بين القيادة السياسية والعسكرية وإعادة تنظيم الجهاز الأمني بفروعه المختلفة. ومن بين ما تم تنفيذه حتى الآن تشكيل لجنة وزارية لشؤون الأمن، وتوزيع الصلاحيات

بين وزير الدفاع ورئيس الأركان والبدء ببحث القانون الأساسي للجيش (انـظر أيضاً «قضايا اسرائيلية، العدد ٥ (١٢)، ٦/٣/٧٥، ص ١٥٧). وكان قد تم في وقت سابق إعادة تنظيم وزارة الدفاع، فقد أحـاط وزير الـدفاع نفسـه بهيئة أدمغة تضم كلاً من يوفيل نئمان، سعاديا عميئيل ويهـوشفاط هـركابي، الـذين سيعنون بالتخطيط الاستراتيجي على المدى البعيد. ومن الجـدير بـالذكـر أن نئمـان وعميئيل عمـلا في السابق في مجـال الذرة. وتضم هـذه الهيئـة أيضـاً «الجنـرالان» يسرائيـل طال وعـاموس حـوريب، كخبـراء من الـدرجـة الأولى للتكنولوجيا الحديثة. وكلاهما... يستطيع توظيف تجاربه في مجال التخطيط العملي والاستراتيجي... أما هود فهو خبيـر في مجال الـطيران، وهـو الذي قـاد سلاح الجـو في حرب الأيـام الستة وحـرب الاستنـزاف...» (يـديعـوت احرونوت، ٢٤/١/٧٥).

بـالإضافـة لهذا أقيمت في وزارة الـدفاع أكثـر من هيئة، منهـا مـا يعنى بدراسة نظريات القتال العربية، ومنها ما يعمل على تطوير التكنولوجيا وإدخال التحسينات على الأسلحة المستوردة والمصنوعة محلياً. والجـدير بـالذكـر أن اسـرائيل تعمـل على تحسين أسلحتها بـاستمرار كتعـديل تسليح الـدبـابـات والطائرات وغيرها، أو تـوصية منتجي هـذه الأسلحة بـإدخال التعـديلات التي تريدها. وقد نجحت مؤخراً في إدخال عدد من هذه التحسينات على أسلحتها كـان منها مثـلاً، نجاح الصنـاعة الجـوية في تحسين جهـاز لقيادة الـطائـرات المقاتلة، يعتبر بمثابة طيـار أوتومـاتيكي، يلعب دوراً في جميع مـراحل قيـادة تريدها. وقد نجحت مؤخراً في إدخال عدد من هذه التحسينات على أسلحتها. الطائرة مما يسمح للطيار بالتفرغ للمهام الرئيسية (دافـار، ٤/٣/٧٥)، وأعلن أيضاً عن اختراع كندي اشترته اسرائيـل يزيـد مدى إطـلاق المدفعيـة بـ ٥٠٪ (ر إ إ، ٣/١/٧٥)، وعن بـدلـة يستخـدمهـا جنـود المـدرعـات لـوقـايتهم من الاحتـراق (بمحانيـه، ١٩/٢/٧٥)، وعن أقنعـة واقيـة للعيـون مصنـوعـة من البـلاستيك، وذلـك بعد تـزايد حـالات هذا النـوع من الاصابـات وخطورتهـا (ر إ إ، ٢١/١/٧٥).

وتأخذ اسرائيل بالحسبان لدى تطوير أسلحتها وإدخال التحسينات عليها، مسألة التوفير في القوة البشرية. فاستطاعت، مثلاً، تشغيل نوع معين من المدافع بواسطة طاقم من ٩ جنود، في حين يتطلب تشغيل المدفع نفسه طاقماً من ١٣ جندياً في الجيش الأمريكي (دافار، ٧٥/١/٣٠).

خطط لتقوية الجيش الاسرائيلي:

بالرغم مما أنجزته اسرائيل في مجال تعزيز قوتها العسكرية، منذ توقيع اتفاقيات الفصل، فإن العمل لا يزال جارياً لتوسيع الجيش وتقويته، وذلك لعدة أهداف، لخصها وزير الدفاع، شمعون بيريس بقوله: «ان السياسة الاسرائيلية في المستقبل ستكون مستندة الى أربعة مبادىء أساسية هي:

المحافظة على ميزان القوى لمنع نشوب الحرب أو تحقيق الانتصار، اذا نشبت، وتقليل ارتباطنا بالخارج قدر الإمكان، وتحقيق تفوق من الناحية التكنولوجية، وأن نوضح للعرب بأن من يريد حشد جيوش ضدنا، عليه أن يوزع جيشه في بلاده لكي يدافع عن ممتلكاته» (دافار، ٧٥/١/٢١). وذكر بيريس أيضاً أن اسرائيل ستخصص للأمن مبلغ ١٠٠ مليار ليرة في السنوات الخمس القادمة، هذا عدا ما تقدمه الولايات المتحدة من مساعدات اذ تقدر الطلبات الاسرائيلية للسنة القادمة بـ ٢,٥ مليار دولار، منها ١,٧٦ - ١,٩١ مليار دولار كمساعدات عسكرية. وعلم أيضاً أن المذكرة الاسرائيلية تضم طلبات للمشتريات تزيد بأكثر من ٢٠٪ عن كل من السنتين السابقتين (معاريف، ٧٥/١/٣١). وذكر أيضاً أن اسرائيل استطاعت الحصول على أنواع جديدة من الأسلحة أثناء زيارة وزير الخارجية، يغئال الون، الأخيرة الى واشنطن (ر إإ ، ٧٥/١/١٦)، اذ أعلن أن الولايات المتحدة وافقت على تسليمها قذائف موجهة بأشعة لايزر، وذلك بعد مقابلة شلزينغر - الون. وكانت هذه القذائف، بالإضافة الى صواريخ لانس على رأس قائمة الطلبات الاسرائيلية في السنة الماضية (دافار، ٧٥/١/٢٨). ومن ناحية ثانية، ذكر أيضاً أن

بيريس قد يسافر الى فرنسا لشراء السلاح (يديعوت احرونوت، ٧٥/٢/٢٠).

ومن جهة أخرى، وفي مقابل الارتفاع في مصاريف الجيش، انخفضت أسعار الأعتدة الأمنية بعد قرار الغاء عمولات السماسرة عليها. ويصر وفد وزارة الدفاع الاسرائيلية في الولايات المتحدة على الغاء العمولة في الاتفاقيات الجديدة أيضاً (ر إإ ، ٧٥/١/١٤). كما صادق رئيس الأركان، اللواء مردخاي غور، على خطة شاملة، تهدف الى زيادة التوفير في المصاريف الأمنية، اذ ستقلص وزارة الدفاع مشترياتها من السوق المحلية بنسبة ١٠ ـ ٢٠٪، كما أن الجيش سيقلل من عدد المباني التي خطط لإقامتها. وستتخذ خطوات جادة للتوفير في الأغذية والوقود والورق (ر إإ ، ٧٥/١/١٩). بالإضافة الى تخفيض مستوى الحياة لمختلف الرتب في الجيش الاسرائيلي. وتدخل هذه الخطة حيز التنفيذ في بداية السنة المالية الجديدة اعتباراً من الأول من نيسان/ابريل ١٩٧٥ (معاريف، ٧٥/١/٦).

الاهتمام بسلاحي الجو والبحرية:

يبدو أنه بعد اعادة بناء سلاح المدرعات على أسس جديدة، هي دمج الدبابات والمشاة والمدفعية في تشكيلات مدرعة (دافار، ٧٥/١/٢٨) والانتهاء من المشروع الكبير لتصليح الدبابات التي أصيبت أثناء الحرب، وبعد أن ازدادت قوة هذا السلاح «بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الجيش الاسرائيلي» على حد قول قائده، العميد موشي بيليد، انتقل الاهتمام الى سلاحي الجو والبحرية. وتدور بين قيادة سلاح الجو وقادة القوات مجابهة حول تحديد الميزانيات والأولوية في التعاظم، كما ولا يزال النقاش حول مقدرة سلاح الجو على مواجهة قوات العدو البرية مستمراً، بينما يعلن قادة سلاح الجو أنهم اذا أرادوا المحافظة على التفوق في المعارك الجوية فإن عليهم تحسين نوعية الأسلحة التي بأيديهم. وسيعتمد سلاح الجو في الفترة الانتقالية على ما لديه من طائرات، بالإضافة الى سربين من طائرات ف ـ

١٥ ، بينما ستصبح الطائرة ف ـ ١٦ الطائرة الأولى في قائمة المشتريات في نهاية السبعينات (دافار، ٧٥/٣/٩) وذكر أن اسرائيل تستلم حالياً طائرات ميراج ـ ٥، التي توقفت عن استلامها منذ حزيران/يونيو ١٩٦٧ (معاريف، ٧٥/٣/١).

وبالرغم من أن سلاح الجو مقتنع بأنه غير قادر على تقديم الدعم للقوات البرية، كما في السابق، بسبب ظهور صواريخ سام والمدفع السوفياتي المضاد للطائرات ذاتي الحركة، إلا أنه يسعى لتحقيق أكثر من مهمة، وذلك في ضوء دروس تشرين وإزاء ازدياد قوة الدول العربية غير المواجهة لاسرائيل (يديعوت احرونوت، ٧٥/٣/١٣). ومن بين المهمات التي ذكر أن سلاح الجو يسعى لتحقيقها تأمين استمرار التفوق الجوي عن طريق تحسين نوعية الطائرات وتحسين تسليحها ـ وتم بهذا الصدد مثلاً، استبدال المدفع ٢٠ ملم في طائرة السكايهوك بمدفع ٣٠ ملم (معاريف، ٧٥/٣/٩) وذكر أيضاً أن سلاح الجو يبذل جهوداً كبيرة ليتمكن من تدمير الصواريخ المضادة للطائرات المعادية في المراحل الأولى من أي صدام عسكري في المستقبل، بالإضافة الى ضرب الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة، وذلك ازاء ما أنزلته هذه الطائرات من خسائر في صفوف القوات الاسرائيلية في ثغرة الدفرسوار (معاريف، ٧٥/٣/٩). وهو ما دفع سلاح الجو الاسرائيلي الى دراسة امكانية الحصول على رادار طائر. وعلم أن وزارة الدفاع الاميركية تعد تفاصيل صفقة يتم بموجبها تزويد اسرائيل بطائرات انذار متطورة تبلغ قيمة كل منها ٢٠ ـ ٢٥ مليون دولار (المصدر نفسه). وتعمل اسرائيل أيضاً على زيادة مدى طائراتها باستبدال اسطول الطائرات الناقلة للوقود القديمة بطائرات بوينغ ٧٠٧ تم تحويلها لهذا الغرض. كما تعمل على اقامة شبكة امدادات جوية واسعة، وذلك بزيادة طائرات النقل العملاقة، من أجل تقديم الامدادات للقوات البرية، والعمليات الجوية الأمامية، وذلك بعد أن أثبتت حرب تشرين أن عملية نقل المعدات التي وصلت بواسطة الجسر الجوي الاميركي، لم تكن سريعة بما فيه الكفاية. وكذلك يبذل سلاح الجو جهوداً كبيرة لزيادة قدرته

على القتال ضد الدبابات، والتي تقلصت جداً في حرب تشرين. وأعلن أيضاً أن اسرائيل حصلت على أعداد كبيرة من الطائرات بلا طيار، التي توجه من الأرض أو الطائرة الأم التي تستطيع اطلاق عدد منها لأهداف محددة (المصدر نفسه).

ويجري، جنباً الى جنب مع تطوير سلاح الجو، تطوير سلاح البحرية وتكليفه بمهام جديدة وتحويله من قوة طابعها الدفاع عن الشواطىء الى اسطول بعيد المدى، قادر على العمل بعيداً عن الموانيء الأم. وذكر ضابط كبير في هذا السلاح أن المهام الجديدة ستشمل مطاردة هجومية للعدو في قواعده وشواطئه، والقدرة على حماية السفن الاسرائيلية من صقلية حتى باب المندب. كذلك يشدد سلاح البحرية على احتمالات حرب برمائية على شواطىء مصر أو سوريا. ويركز لدى بنائه للسفن على الأطقم الصغيرة لأن أفراد الطاقم يصابون جميعاً، على الغالب، عندما تصاب القطعة البحرية بصاروخ (دافار، ٧٥/٣/٩).

ويقوم سلاح البحرية حالياً بتوسيع اسطول زوارق الصواريخ من طراز «ريشت»، التي يحمل كل منها ثمانية صواريخ غبريئيل، وهي معدة للعمل بشكل خاص في البحر الأحمر، ويبلغ مدى هذه الزوارق، التي خططت بكاملها في اسرائيل، ١٠٠٠ كم، وقد أقامت أحواض بناء السفن في اسرائيل خط انتاج آخر لبناء هذا الطراز من الزوارق، مما سيزيد من انتاجها ويقلص مدة بنائها بنصف سنة، ويبلغ ثمن الزورق الواحد ٤٠ مليون ليرة اسرائيلية تقريباً، كما تكلف الأسلحة التي يزود بها مبلغاً مماثلاً، (معاريف، ٧٥/٢/١٩). وتم أيضاً تدشين السفينة الأولى من طراز «دفور»، وهي طراز متطور عن الزوارق الأمريكية، تصنع في اسرائيل (دافار، ٧٥/٣/٩).

ومن جهة أخرى يدرس سلاح البحرية امكانية إدخال طائرات الهليوكبتر للقيام بمهام الهجوم والدورية، بدل طائرات الفانتوم التي يعتمد عليها حالياً، وكذلك سيستعين بالاسطول الاميركي للحصول على معدات للقتال ضد الغواصات.

إعداد الجبهة الداخلية:

لا تعمل اسرائيل على إيجاد الحلول لما برز من مشاكل في الحرب الأخيرة فحسب، بل تبذل جهوداً واسعة للتغلب على المشاكل المتوقعة في الحرب القادمة وأهمها التبدل البارز في قدرة الجانبين على ضرب المراكز المدنية المأهولة، ومشكلة صمود الاقتصاد الاسرائيلي في حالة الطوارىء، بالإضافة الى احتمال فرض حصار اقتصادي على اسرائيل، وإغلاق الطرق الجوية وربما البحرية. وقد ذكر وزير الداخلية، يوسف بورغ، أن جهاز الطوارىء للجبهة الداخلية في استعداد مستمر، كما أن جميع أدوات التنفيذ التابعة للحكومة مستعدة لإدارة اقتصاد الدولة في حالة الطوارىء. وأعلن بورغ أيضاً بأن تقدماً كبيراً تم في بناء الملاجىء العامة حيث بنيت حتى الآن ملاجىء تكفي لـ ٧٠٪ من السكان. كذلك أعدت وسائل دفاعية أخرى مثل الكمامات الواقية من الغاز السام وغيرها. وأوضح وزير الداخلية بأنه في حالة تجدد العمليات الحربية فإن الجبهة الداخلية قد تتلقى ضربات بالصواريخ، وتعمل بهذا الصدد لجنة خاصة من المدراء العامين لتنظيم الخدمات العامة في حالة الطوارىء. وبناء على اتفاق خاص مع الجيش لن يستدعى رؤساء السلطات المحلية الى الاحتياط، ليستطيعوا القيام بمهام رئاسة اللجان المحلية في حالة الطوارىء (دافار، ٧٥/٢/١٩).

وتحدث العميد يتسحاق زايد، قائد الدفاع المدني، عن وضع الجبهة الداخلية أمام المراسلين العسكريين فذكر بأنه تم تخصيص ٢,٥ مليار ليرة لإقامة الملاجىء والمنشآت الدفاعية الأخرى في السنوات الثلاث القادمة. وأعلن أيضاً أن لجنة أقيمت بعد حرب تشرين تمثل مختلف الوزارات برئاسة ممثل وزارة المالية، للإشراف على هذه الأعمال، وتم خلال سنة ١٩٧٤ بناء نحو ٦٠٠ ملجأ في جميع أنحاء البلاد، وتقي هذه الملاجىء من هجمات الصواريخ. وأشار العميد زايد، الى أنه خلال سنتين أو ثلاث سنوات ستكفي

الملاجيء لجميع سكان خطوط المواجهة و ٧٠ ـ ٨٠٪ من سكان المدن الكبيرة .وأضاف بأنه توجد في قيادة الدفاع المدني كمية من الكمامات الواقية من الغازات السامة تكفي لجميع سكان الدولة (دافار، ١٧/٣/ ٧٥).

وذكر مدير شعبة خدمات الطوارىء في بلدية تل أبيب، المقدم نوريرت سومفاف، أن البلدية اتخذت الخطوات المناسبة لمجابهة العقبات التي قد تبرز اذا نشبت حرب جديدة، وأشار الى أنه توجد اليوم في خدمات الطوارىء في المدينة قوائم دقيقة بأسماء المتطوعين وإمكانات لتشغيلهم. وتم أيضاً شراء كميات من صهاريج المياه والوقود وأعداد من المولدات الكهربائية لتكون بديلاً في حالة انقطاع المياه أو التيار الكهربائي (دافار، ١٩/٢/٧٥).

ملحق رقم «٧»

نص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة
بإدانة الصهيونية - في ت٢/ ١٩٧٥ -

ان الجمعية العامة اذ تذكر بقرارها رقم ١٩٠٤ (الدورة ١٨) المؤرخ في ١٩٦٣/١١/٢٠ الذي أصدرت فيه اعلان الأمم المتحدة بشأن ازالة جميع أشكال التفرقة العنصرية وخاصة تأكيدها «ان النظرية القائمة على التفريق بين الأجناس أو على التفوق العرقي هي نظرية خاطئة علماً ومدانة خلقياً وغير عادلة اجتماعياً، وهي خطرة»، ثم تعبيرها عن قلقها حيال «ظواهر التفرقة العنصرية التي ما زالت تلاحظ في العالم والتي يفرض بعضها من قبل بعض الحكومات بوساطة اجراءات تشريعية أو ادارية أو غيرها».

«واذ تذكر أيضاً أنه بقرارها رقم ٣١٥١ ج (الدورة ٢٨) المؤرخ في ١٩٧٣/١٢/١٤ ، قد أدانت الجمعية العامة بصورة خاصة التحالف المستنكر ما بين العنصرية في جنوب أفريقيا والصهيونية».

«واذ تأخذ علماً بإعلان مكسيكو بشأن المساواة بين النساء ومساهمتهن في التنمية وفي السلام المشار اليها في المؤتمر العالمي للعام الدولي للمرأة الذي عقد بتاريخ ٦/١٩ الى ١٩٧٥/٧/٢ في مكسيكو والذي أعلن المبدأ القائل بأن التعاون والسلام العالميين يتطلبان التحرير والاستقلال الوطنيين وإزالة الاستعمار والاستعمار الجديد والاحتلال الأجنبي والصهيوني والأبارتايد

والتمييز العنصري بجميع أشكاله، وكذلك الاعتراف بكرامة الشعوب وحقها في تقرير مصيرها بنفسها».

«واذ تأخذ أيضاً علماً بالقرار رقم ٧٧ (٨٨ x) الذي اتخذه مجلس رؤساء الدول والحكومات لمنظمة الوحدة الأفريقية المعقود في (كمبالا) بتاريخ ٧/٢٨ ـ ١٩٧٥/٨/١، والذي اعتبر أن للنظام العنصري في فلسطين المحتلة كما وللأنظمة العنصرية في زمبابوي وفي أفريقيا الجنوبية (منشأ) امبرياليا مشتركاً فضلاً عن تكوينها جميعاً لكل واحد له نفس البنية العنصرية وهي مترابطة فيما بينها بخط سياسي واحد يستهدف النيل من كرامة وكيان الشخصية الانسانية».

«واذ تأخذ أيضاً علماً بالاعلان السياسي في سبيل تعزيز السلام والأمن الدوليين وتقوية التضامن والعون المتبادل فيما بين البلدان غير المنحازة، هذا الاعلان الذي أقره مؤتمر وزراء الخارجية لدول عدم الانحياز المعقود في ليما (البيرو) بتاريخ ٨/٢٥ ـ ١٩٧٥/٨/٣٠ والذي أدان بشدة الصهيونية معتبراً اياها تهديداً للسلام والأمن في العالم وطالباً من جميع الدول أن تقف في وجه هذه النظرية العنصرية والامبريالية «تعتبر الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري». *

---

* العميد المتقاعد عبد الرزاق محمد أسود «الموسوعة الفلسطينية». الجزء الأول. الدار العربية للموسوعات. بيروت. الطبعة الأولى ١٩٧٨. صفحة ١٥٩ ـ ١٦٠. وكذلك السلسلة الوثائقية رقم ٤٥ من منشورات وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية ـ دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٥. ص ٧ ـ ٩.

ملحق رقم «٨»

ازدهر مع حرب لبنان وصار قضية:
الجنرال «حشيش» في الجيش الاسرائيلي

كانت اسرائيل تفخر دائماً بأنها ليست دولة لها جيش وإنما هي جيش له دولة. وعلى ذلك كانت قيادات اسرائيل تنظر دائماً الى الجيش كمؤسسة تنصهر وتذوب في اطارها معظم تناقضات المجتمع الاسرائيلي.

ولكن هل ظلت هذه النظرة بعيدة عن المستجدات والتطورات؟ بالتأكيد لا، فمثلما كان الجيش في اسرائيل معنياً بتلقي معظم تناقضات المجتمع ليصهرها في اطاره العسكري في مرحلة من المراحل، فإنه أصبح في مراحل لاحقة عامل ارسال لكثير من الأمراض، والنقائص الاجتماعية. فالقتلة، هم إما جنود احتياط في الجيش أو ضباط متقاعدون، وشبكات اللصوص وقطاع الطرق ومهربو السلاح هم أعضاء سابقون أو حاليون في الجيش، وظواهر التحشيش وتعاطي المخدرات بدأت بالانتشار في ثكنات الجيش لتنتقل بعد ذلك الى كثير من قنوات المجتمع الاسرائيلي.

وفي هذا الصدد يصف أحد الصحافيين المجتمع الاسرائيلي من باب الدعابة والدلالة الساخرة على «شعب الله المختار» بأنه مجتمع «المحششين المختارين».

الاحصاءات الرسمية تؤكد أن هناك أكثر من ١٠٪ من جنود الجيش يتعاطون الحشيش والمخدرات، وأكثر من ٢٠٪ يتاجرون بها. لكن القلق الذي

يبديه القادة الاسرائيليون ازاء انتشار ظاهرة التحشيش في الجيش، يؤكد أن النسبة أكثر من ذلك بكثير، فقد اضطر قادة الجيش الى الضغط على القضاء العسكري لإنزال أكبر العقوبات بالمتعاطين والمهربين والتجار على حد سواء وتشديد رقابة جهاز الأمن العسكري للحد من هذه الظاهرة. وقد تم في السياق نفسه اقرار عقوبة الحبس من ٣ الى ٦ سنوات ثم رفعت في ما بعد الى ١٠ سنوات لمدمني الحشيش والمهربين مع تنزيل الرتبة والطرد من الجيش.

وعن تفشّي هذه الظاهرة داخل أوساط الجيش الاسرائيلي، كتبت احدى الصحف الصهيونية تحت عنوان «الجنرال حشيش يحارب في صفوف جيش اسرائيل»: «ان القيادة العليا للجيش الاسرائيلي تعلم أن هناك نسبة «كبيرة» من أفراد الجيش يتعاطون المخدرات .ومنهم من يتاجرون بها.

وتعاطي المخدرات والاتجار بها أمر منتشر داخل قواعد الجيش انتشاراً كبيراً. ويشترك في هذا الأمر تجار موردون من القطاعين المدني والعسكري، ويتم التوزيع بطرق متعددة كالأماكن العامة (المقاهي، الصالونات، المطاعم) أو من خلال سائقي الضباط أو عن طريق السجّانين في سجون الشرطة العسكرية، والتي أبرزها السجن العسكري المعروف بالسجن رقم ٦. ولا يستطيع الناطق بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي، بناء على تعليمات صادرة له من السلطات العليا، اعطاء الرقم الصحيح للجنود المعروفين بتعاطي المخدرات. ويقال داخل أوساط القيادة العليا بأن الرقم الصحيح هو رقم خيالي».

والأمر لا يتوقف على الكبار، فظاهرة تعاطي الأطفال للمخدرات منتشرة أيضاً في المدارس عند الجنسين، وعند عدد كبير من رموز المجتمع كفنانين ورجال أعمال، ومنهم على سبيل المثال ملكة جمال اسرائيل التي قالت عن حالتها هذه: «كنت أنفق ٤٠٠ دولار يومياً على المخدرات وأحصل عليها من أعمال أخجل الحديث عنها. انتخبوني ملكة جمال اسرائيل عام ١٩٧٨ وأنا

أدمن على تعاطي المخدرات». وأدلي بيرس الرياضي الاسرائيلي المعروف، ألقي القبض عليه هو الآخر بتهمة تهريب المخدرات وتعاطيها.

ان انتشار هذه الظاهرة في أوساط الرياضيين يؤكد حقيقة أن الأزمات الاجتماعية داخل اسرائيل، ومنها الأزمة الاقتصادية، هي السبب الرئيسي في انتشار ظاهرة المخدرات، للهرب من جحيم «جنّة» اسرائيل. ولعل المهاجرين الجدد هم أول ضحايا هذه الظاهرة.

وهذه الظاهرة حظيت باهتمام الأوساط الثقافية، فالكاتب الصهيوني ميخائيل سيلع ذكر في مقال نشرته له صحيفة «حادشوت» أن الأوساط الكبيرة في اسرائيل خصوصاً في الاشكناز أي اليهود الغربيين يتعاطون المخدرات بشكل كبير الى جانب السفرديم الذين يتعرضون لاضطهاد كبير في اسرائيل في مجتمع يفتقر الى الانسجام. والقضية بسيطة، تقول احدى المدمنات إنها رأت والدها مرة يدخن سيجارة حشيش فحاولت أن تقلده ثم أصبحت مدمنة. وليس سراً القول بأن هناك ضباطاً وقادة كباراً يتعاطون المخدرات. بل أن هناك ضباطاً مرموقين وفي مناصب قيادية عليا يتعاطون المخدرات، لكن هؤلاء لا يطولهم القضاء العسكري أبداً، بل يطول الصغار دائماً حيث يزج يومياً بالعشرات بل وبالمئات منهم في السجن.

الضجة الكبيرة في هذه المسألة قامت ولم تقعد داخل الأوساط الصهيونية عندما اكتشف بأن «ابنة رئيس الأركان الاسرائيلي الحالي (سيفل ليفي ١٧ سنة) عضوة في عصابة مسلحة وتتعاطى المخدرات، وألقت الشرطة القبض عليها مع أفراد العصابة، بعد تبادل لإطلاق النار في الشمال، وذلك حسب تقرير للشرطة الصهيونية في شهر تموز (يوليو) الماضي.

ويقول أحد المراسلين: «لا أعزف لماذا لاذ قائد الشرطة العسكرية الاسرائيلي (العميد اميل المبيلع) بالصمت عندما سئل عن حجم ظاهرة المخدرات، لقد كان اجتماعاً مهماً لو أجاب عن السؤال».

ان انتشار تعاطي المخدرات داخل الجيش الاسرائيلي ينتشر كالنار في

الهشيم وهو لا يعرف صغيراً ولا كبيراً، فالضباط قبل الجنود يتعاطونه، لكن مع فارق في المادة المستخدمة حيث يتعاطى الكبار أنواعاً أرقى من الصغار الذين يتعاطون الحشيش عادة.

مفاجآت

ولقد أجمع أعضاء الكنيست في جلستهم التي عقدوها لمناقشة موضوع انتشار تعاطي المخدرات داخل الجيش على أن الأرقام التي اطلعوا عليها كانت احدى المفاجآت المرعبة بالنسبة اليهم.

فقد كانت «لجنة الكنيست لمحاسبة الدولة» هي أول المذهولين بما سمعته وما طرحته من حقائق، كان من بينها: «أن هناك حوالي ١٢٪ من مجمل الجنود (الذين شملتهم الفحوص الطبية) ثبت تعاطيهم المخدرات، وبالطبع لم يغمس الجيش بكامله فإن المغموسين هم بنسبة ٤٠٪ من مجمل عناصر الجيش.

وهناك حوالي ٨٠٠ جندي، من بين كل ٩٠٠٠ جندي في العام يفتح لهم ملفات تعاطي المخدرات، أي أن هناك ألف جندي من بين عشرة آلاف أو واحداً بين كل عشرة جنود، يتعاطون المخدرات، وهذه وحدها نسبة مرعبة».

وقد ذكرت صحيفة هآرتس في شهر حزيران (يونيو) الماضي أن التقارير أكدت بأن هناك تزايداً في عمليات تهريب وترويج المخدرات داخل البنية العسكرية الاسرائيلية، «ففي شهر واحد ألقي القبض على شبكتين محليتين متلبستين بتجارة المخدرات داخل اسرائيل، إحداهما تحمل ٢٠٠٠ وجبة هيروين و ٢٤٠٠ جرعة حشيش. والثانية تحمل ٦٠٠٠ وجبة هيروين، والنيّة بيعها لجنود اسرائيليين».

ويبذل الجيش وأجهزة الأمن المختلفة جهوداً كبيرة للحد من انتشار هذه الظاهرة ولكن دون جدوى. غير أن هذه الظاهرة تتسارع باستمرار، وذلك

لارتباطها بأسباب عديدة وجوهرية داخل الكيان الصهيوني ولا تزال قائمة.

أسباب مقنعة

ومن خلال استجواب المتعاطين الحشيش أو المتاجرين داخل صفوف الجيش الاسرائيلي، تبين أن هناك أسباباً رئيسية تقف وراء هذه الظاهرة:

١ ـ السبب النفسي: يقول الملازم الأول «برجيك» المتهم في قضايا تهريب المخدرات من لبنان الى اسرائيل، والذي حكم عليه بالسجن لمدة طويلة:

«لقد اشتركت في معركة في جنوب لبنان قبل أن أهرّب المخدرات، وقد قتل قائدي وصديقي العقيد ابراهام هيدهسماس وأصبت بجروح بالغة. وولّدت هذه المعركة حالة من الاضطراب النفسي الذي جعلني أقدم على اقتراف هذه الجريمة».

٢ ـ البيئة: تقول المجندة «تيكفا غاورد» في إحدى الصحف في شهر تموز (يوليو) الماضي «وُلدت في بيئة متدينة محافظة. في قواعد الجيش وجدت الانحلال الخلقي والفساد والرذيلة والاجرام البشع. خدمت في قاعدة رئيسها برتبة عقيد ركن يتعاطى المخدرات، ويتعامل مع المجندات بشذوذ. وبعد انتقالي الى قاعدة أخرى وجدت الشيء نفسه، ثم أغرتني احدى صديقاتي. فقررت التجربة ثم أصبحت مدمنة ثم مجرمة، أصبحت أسطو للحصول على المال ولأدخر ثمن المخدرات ولست وحدي فهناك غيري».

٣ ـ الحروب: يقول اللواء «يحزقيال كارتي» رئيس قسم التحقيق في الشرطة الصهيونية في مؤتمر صحافي عقده مؤخراً «ان تورطنا في حرب لبنان أدى الى تحول كبير وخطير في موضوع المخدرات وفي موضوع الحشيش على الأخص. لقد غمرنا بالمخدرات من لبنان. فبينما يحقق التجار أرباحاً خيالية، يعيش المدمنون وخصوصاً العسكريين، أوضاعاً مَرَضية سيئة. ان الحرب عامل ادمان أساسي بسبب ما فيها من ويلات».

٤ ـ الربح المادي: يقول اللواء كارتي: «كثير من المدمنين الذين نقبض عليهم نجدهم يتورطون في عمليات تجارة، خصوصاً العسكريين في لبنان، وذلك بقصد الربح المادي أو لتأمين ثمن ما يتعاطون».

٥ ـ المقاومة الفلسطينية: يقول الجنرال «اهارون بارتي» قائد قوات حرس الحدود الاسرائيلي في حديث صحافي له: «ان جنود حرس الحدود يعيشون وضعاً مأساوياً نتيجة ما يلاقونه من مصاعب من جراء هجمات المخربين الفلسطينيين عليهم. لذا فإما انهم يلجأون للمخدرات أو للإجرام».

٦ ـ المصادر الخارجية: ويقول الجميع داخل اسرائيل أن مصادر المخدرات التي تصل للجيش هي من الخارج. فـ (الهيرويين) يأتي من تركيا والحشيش والأفيون من لبنان. أما الماريجوانا والحبوب الشديدة (L.S.D) وحبوب الهلوسة فهي من أميركا والكوكايين من هونغ كونغ.

أحد المحللين الاسرائيليين يقول إن الجيش ينقسم في تعاطيه للمخدرات الى ثلاثة أقسام: فقسم يتعاطى المخدرات الدنيا ويشمل عموم الجنود والمجندات. وهذه المخدرات هي الحشيش والأفيون. أما القسم الثاني فيتعاطى الهيروين، وهذا القسم أرقى قليلاً من سابقه من الناحية الاجتماعية ويتعاطى الى جانبه (الماريجوانا) و(الحبوب). أما الضباط الكبار فهم يتعاطون (الكوكايين)، ولقد اشتهر عن (موشي ديان) تعاطيه لهذا النوع من المخدرات.

الجنود يهرّبون الهيروين والحشيش من لبنان، ويصلهم من تركيا عبر تجار مختصّين، أما الكوكايين فيصل من أوروبا عن طريق شبكات دولية ويقوم بترويجها بين الجنود تجار محليون صغار. لقد كشفت حوادث التحقيق عن كثير من مصادر طرق وصول المخدرات لأيدي العسكريين. لكن هناك الكثير من الطرق لم يتم معرفتها بعد.

طريقة اكتشافهم

يقول الصحافي «مائير عميكام» في مقالة له نشرت في صحيفة «بديعوت احرنوت» الاسرائيلية: «في السنة الماضية أخذت عيّنات بولية من ٩٥٦٩ جندياً وتبين أن ٧٧٨ منهم مشتبه بهم بتعاطي المخدرات وفتحت ملفات لهم كمتعاطين للمخدرات»: ومعروف أنه يجري فحص طبي كل عام لأكثر من نصف الجيش، وخصوصاً المستجدين. وبالإمكان تلخيص مسائل اكتشاف الحشاشين داخل الجيش الاسرائيلي بالنقاط الآتية:

- الكشف الطبي، وهذه الوسيلة لها الأفضلية ونتائجها مضمونة.
- المخابرات العسكرية، ولها دور كبير في هذا المجال.
- تجار المخدرات الذين يلقى القبض عليهم ويعترفون بأسماء زبائنهم.
- مراكز الحدود ونقاط التفتيش العسكرية التي تلعب فيها الشرطة العسكرية الدور الأكبر.
- الشكاوى من المجندين والمجندات الذين يكشفون عن مواقع وأعداد المحششين.

من هو صاحب المصلحة في انتشار ظاهرة التحشيش داخل الجيش الاسرائيلي؟.

الحاخام «درغي الياهو» الحاخام الأكبر لمنطقة حيفا، يقول في فتواه التي أصدرها في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي: «ان المخدرات تجعل متعاطيها أكثر تركيزاً على تبليغ تعاليم التوراة والتلمود، والشريعة اليهودية تسمح بالتحشيش اذا كان فيه خدمة للدين».

أما أحد القضاة العسكريين الاسرائيليين فيقول من جانبه لمراسل صحيفة «حادشوت»: «ان تعاطي المخدرات أثناء الخدمة في الجيش هو استمرار لعادات مألوفة قبل الخدمة ولا يمكن اجتثاثها».

وفي حديث لمراسل الاذاعة الاسرائيلية يقول أحد قادة التشكيلات المدرعة: «انني أتغاضى عما يدور داخل الوحدة من تعاط للمخدرات، لأنني لا أريد مواجهة مشاكل مع قادتي، أو مع جنودي على حد سواء».

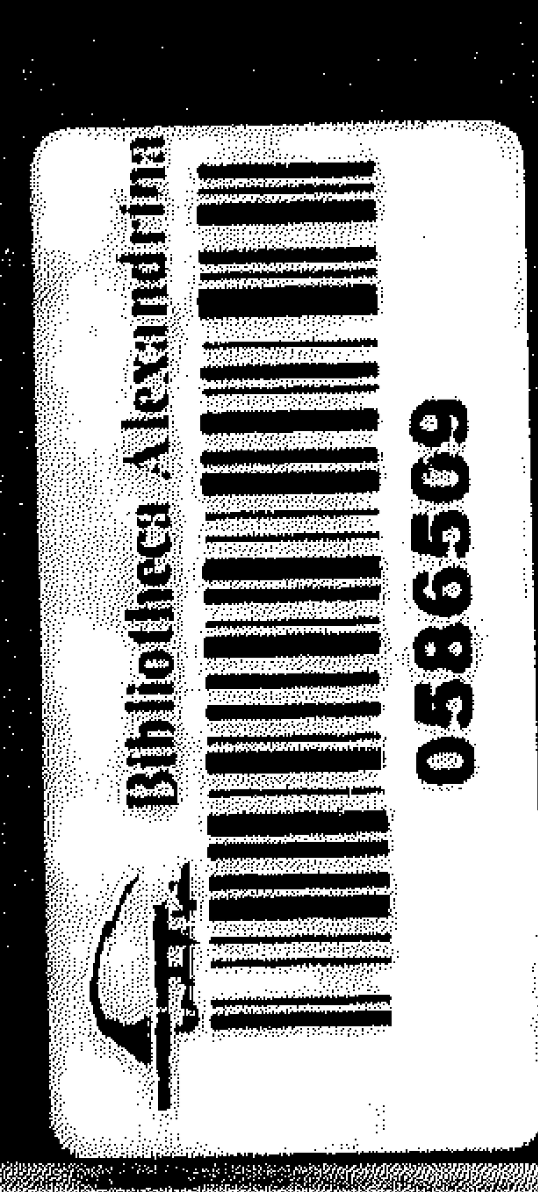
وعلى الجانب الآخر يقول أحد قادة المقاومة في الأرض المحتلة: «نقايض السلاح أحياناً بالحشيش... نحن بحاجة للسلاح وهم بحاجة للحشيش... كلا الأمرين مهم لتحرير أرضنا من الاحتلال، ولا نريد لهذا الجيش أن يصحو».

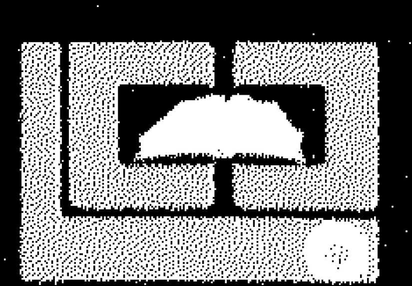
باريس - مكتب «الأسبوع العربي(*)»

تاريخ ١٩٨٦/١٢/٨

(*) هذا التقرير يؤكد ما ذهب اليه تقرير رئيس الموساد الى رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن بصدد هذه المسائل (ص. ز.).

الفهرس





المركز الثقافي اللبناني